العرب (الثقافي)

صوفي القصة القصيرة العربية

سعيد كفراوي: شخصيات الواقع ليست بالضرورة واقعية

إيتيل عدنان الدمشقية اليونانية في معرض باريسي

سعد القرش: الحي السري في المنامة

إبراهيم الجبين: مناهج الأزهر ونهج العنف

إسماعيل نوري الربيعي: الطائفية المعلنة

سعيد خطيبي: روايات فرنسية تحت البوركيني

ريتشارد فلاناغان: أسرى أستراليون في دمشق وبانكوك

ص 11 إلى 16

وجوه

سليمان الهتلان ص9
مثقف يبحر في فلك التنوير

ديفيد لاندس ص7
ثقافات سامة تعيق من يتمسك بها

إلهان عمر ص8
السوداء التي فازت يوم فاز الوحش الأبيض

موسى طيبا ص10
فنان يلعب ليكون الرسم خالصا

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/11/13 الموافق لـ 13 صفر 1438
السنة 39 العدد 10454

Sunday 13/11/2016
39th Year, Issue 10454

6 291100 752812

العرب

alarab.co.uk

الغرب يعيد تقييم موقفه من السيسي

● الرئيس المصري جاهز لدفع الثمن السياسي من شعبيته لإنجاح الإصلاحات الاقتصادية

❑ **القاهرة** – نجح الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي في نيل ثقة الغرب والمؤسسات المالية الدولية بسبب الخطوات الجريئة التي قطعها باتجاه إصلاح اقتصاد مصري ظل بحاجة إلى الإصلاح منذ عقود.

وأقرّ صندوق النقد الدولي الجمعة قرضا بقيمة 12 مليار دولار على ثلاث سنوات لمصر التي ستحصل فورا على قسط أول قيمته 2.75 مليار دولار.

وقال مجلس صندوق النقد الدولي إن القرض "سيساعد مصر في استعادة استقرار الاقتصاد الكلي وتعزيز النمو الشامل".

وأضاف أن "السياسات التي يدعمها البرنامج تهدف إلى تصحيح الاختلالات الخارجية واستعادة القدرة التنافسية، ووضع عجز الموازنة والدين العام على مسار تنازلي، وتعزيز النمو وخلق فرص العمل وفي الوقت نفسه حماية الفئات الضعيفة".

وقال مراقبون إن موافقة الصندوق على هذا القرض تعكس القناعة بوجود ضمانات جديّة لإنقاذ الاقتصاد المصري، وأهم هذه الضمانات هو شخصية الرئيس المصري الذي بدا حريصا تمام الحرص على أخذ القرار الذي تهرّب منه سابقوه.

وهذه هي المرة الأولى التي يمتلك فيها زعيم مصري الجرأة على قرارات من هذا النوع وبهذا الحجم.

ربما يبدو السيسي وكأنه لا يخسر شيئا طالما أن الوضع الاقتصادي متعثر، وأن تأجيل مهمة الإصلاح لم تعد ممكنة بعد أن تأجلت مرارا.

لكن تعويم العملة ورفع الدعم عن الوقود والسلع الأساسية (ولو جزئيا) وكذلك الشروع في تطبيق ضريبة القيمة المضافة، هي قرارات عميقة وخطيرة، ولهذا تجاوب صندوق النقد بسرعة.

وأصدرت مصر مجموعة من القرارات تخص خفض الدعم على المواد البترولية. وتم رفع أسعار السولار والبنزين والغاز الطبيعي، بالإضافة إلى مراجعة كشوف الحاصلين على الدعم الحكومي لحذف من لا يستحقون، والإبقاء على محدودي الدخل فقط ضمن المنظومة التموينية.

وقال محللون إن الرئيس المصري يبدو جاهزا لدفع الثمن السياسي من شعبيته على أمل أن الإصلاح سيثبت أنه كان على حق، وهو ما ظهر من خلال خطبه إلى الشارع المصري والتي اتسمت بالوضوح والتبسيط، ومصارحة المصريين بأن عليهم مواجهة التقشف لعبور الأزمة.

وتبقى أسئلة الفساد واقتصاد الجيش مؤجلة إلى أن تضع الحكومة المصرية إصلاحات موضع التنفيذ، وظهور مؤشرات إيجابية على نجاح خطة الإنقاذ.

وتزامنت موافقة صندوق النقد على القرض مع يوم 11/11 الذي كانت تخطط فيه جماعة الإخوان المسلمين لاحتجاجات توظف فيها مخاوف الفقراء والمهمشين المصريين من الإصلاحات.

وحملت الموافقة رسالة رمزية بوقوف المؤسسات المالية الدولية مع مصر ومنع استثمار وضعها الاقتصادي في أيّ لعبة سياسية، خاصة أن الأزمة لم تكن وليدة اليوم، وأنها امتداد لفشل حكومات سابقة في البدء بالإصلاحات.

وأشار المحللون إلى أن موافقة الصندوق على القرض هي بمثابة شهادة ثقة أو شهادة ضمان للاقتصاد المصري، وأن هذه الثقة ستفتح الباب أمام عودة المستثمرين، وتنفيذ الوعود التي تلقّتها مصر في مؤتمر الاستثمار الذي عقد بشرم الشيخ في مارس 2015، والتي بلغت 60 مليار دولار.

ويتحمل المواطن المصري حالياً ضريبة تردد الرؤساء السابقين في اتخاذ القرار الذي كان لا بد منه للخروج من الأزمة. وكان يمكن أن تتخذ مثل هذه القرارات في سبعينات القرن العشرين في فترة حكم أنور السادات، أو في فترة حكم حسني مبارك التي امتدت من ثمانينات القرن الماضي إلى 2010.

وكان السادات قد سعى إلى تطبيق خطة إنقاذ اقتصادية في 1977، وأعلنت مصر وقتها عن زيادة في أسعار السلع الأساسية مثل الخبز والبنزين والبوتجاز والسكر والأرز بزيادة تتراوح من 30 إلى 50 بالمئة، لكن الاحتجاجات الشعبية حالت دون ذلك، وسرعان ما تراجعت السلطة عن تلك القرارات.

ونجح السيسي في أن يتجاوز المحاذير التي دأبت على إطلاقها النخب المحيطة بالسلطة بخصوص الاحتجاجات الشعبية، والخوف من استثمارها سياسيا من الخصوم، في خطاب تخويف من المجهول.

وأرسل السيسي بذلك رسالة إلى الخارج، بقدرته على اتخاذ القرارات التي تطلبها مؤسسات التمويل الدولية، وأنه يحوز على التأييد الشعبي وليس كمثل الذين سبقوه.

ووجدت الرغبة المصرية في الإصلاح دعما خليجيا، حيث نجحت القاهرة في تأمين 3 مليارات دولار من السعودية والإمارات. ولم تخف دول الخليج وقوفها وراء استعادة مصر لاستقرارها منذ ثورة يونيو 2013 والإطاحة بحكم جماعة الإخوان المسلمين.

وتوقع صندوق النقد الدولي أن يحقق الاقتصاد المصري معدل نمو بنسبة 6 بالمئة بحلول عام 2021، على غرار المستويات المحققة في الفترة من 2005 إلى 2010.

وقال كريس جارفيس، رئيس بعثة الصندوق لمصر في بيان إن "برنامج الإصلاح الذي وضعته الحكومة ويدعمه الصندوق يهدف إلى رفع النمو، وتيسير العثور على فرص عمل أمام النساء والشباب، وحماية الفقراء وغيرهم من محدودي الدخل".

الالتفاف الشعبي سهل تمرير الإصلاحات الصعبة

رئيس وزراء فرنسا يتوقع هجمات جديدة

❑ **باريس** – أكد رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس أن "الإرهاب الإسلامي" سيضرب أوروبا مجددا، لكن القارة "ستنتصر"، في مقالة نشرها السبت العديد من الصحف الأوروبية، بعد سنة على اعتداءات 13 نوفمبر في باريس.

وكتب فالس في مقالة نشرتها صحف "البايس" و"لا ربوبليكا" و"ذي غارديان" و"لو سوار" و"لا تريبون دو جنيف" و"دي فيلت"، "بعد عام على 13 نوفمبر "أقدر التساؤلات التي تطرحها مجتمعاتنا. إنها قلقة. نحن مدينون لها بالحقيقة. نعم، الإرهاب سيضربنا مجددا. لكن لدينا كل الموارد للمقاومة وكل القوة للانتصار. نحن الأوروبيين سنتغلب على الإرهاب الإسلامي".

وكرر رئيس الوزراء الفرنسي في الأشهر الأخيرة أن بلاده ستكون هدفا لاعتداءات جديدة. ومنذ يناير 2015، تعرضت فرنسا التي تشارك في التحالف الدولي ضد داعش في العراق وسوريا، للعديد من الهجمات.

وقال فالس إن "التهديد موجود، وهو تهديد مقلق ودائم"، موضحا أنه يشمل "بدرجات مختلفة كل البلدان الأوروبية" التي دعاها إلى "التضامن" من أجل أمنها.

وأضاف أن التهديد يحصل "فيما يتضاءل التزام الولايات المتحدة حيال شؤون العالم. ولم يعد في وسع أوروبا أن تتبرأ من المسؤولية والاحتماء خلف حليفها الأميركي"، في إشارة إلى أن بلاده لا تراهن على تنسيق قويّ مع الولايات المتحدة في ملف الإرهاب في ظل الخطاب المنكمش للرئيس الجديد دونالد ترامب.

وكرر فالس دعمه لاقتراح بروكسل اعتماد وثيقة عبور لكل مسافر يريد العبور من الأراضي الأوروبية، على غرار وثيقة "إستا" المعتمدة في الولايات المتحدة.

ويرى مراقبون أن فرنسا، مثل غيرها من الدول الأوروبية، تحتاج إلى أن تبني استراتيجيتها لمكافحة الإرهاب على عناصر متنوعة، وألا تقف عند المعالجة الأمنية التي لم تمنع وقوع هجوم نيس الذي خلف العشرات من القتلى في يوليو الماضي، ونفذه شخص غير موجود على لائحة المطلوبين.

ويشير المراقبون إلى أنه طالما أن الدول الأوروبية ما زالت تواجه الأفكار المتشددة والجمعيات التي تتبناها بليونة، فإن خطتها لتطويق الإرهاب ستظل متعثرة، ولن تمنع تحرك الذئاب المنفردة لداعش مستقبلا مثلما توقع ذلك فالس نفسه.

واستفادت التنظيمات المتشددة من فشل أوروبا في إدماج الجاليات والسماح بأن تتحوّل تجمعات المهاجرين إلى غيتوات مغلقة ما ساعد بشكل كبير على انتشار الجريمة المنظمة، ولاحقا تحوّلت تلك التجمعات إلى بؤر للتشدد.

الهجمة الإيرانية على لبنان

خيرالله خيرالله

ص5

الحكومة اليمنية تطرح مبالغ بالدولار في مزاد لتوفير السيولة بالعملة المحلية

● تداول مبالغ ضخمة خارج الجهاز المصرفي السبب الرئيسي للأزمة ● الحوثيون يدفعون فاتورة استنزاف السيولة في المجهود الحربي

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – تعرض الحكومة اليمنية اليوم الأحد في عدن حوالي 20 مليون دولار أميركي للبيع بالمزاد وذلك بغية الحصول على سيولة بالعملة المحلية تمكّنها من تغطية العجز في صرف مرتبات موظفي القطاع العام للثلاثة أشهر الماضية.

وقال بيان صحافي صادر عن البنك الأهلي الجمعة إنه وبناء على طلب جهات حكومية مختصة سيقوم بعرض مبالغ بالدولار للبيع بالمزاد العلني للراغبين من التجار وشركات ومحلات الصرافة والبنوك التجارية.

ووفقا لمحللين اقتصاديين يعد المزاد الذي أعلن عنه البنك الأهلي اليمني، وهو بنك تجاري مملوك للدولة ومقره عدن، المزاد الأول لبيع النقد الأجنبي الذي يجرى خارج صنعاء.

ويأتي المزاد في ظل أزمة سيولة غير مسبوقة يعاني منها القطاع المصرفي اليمني الذي يقدر حجم السيولة النقدية من العملة المحلية المتداولة خارج القطاع المصرفي بنحو تريليون و300 مليار ريال.

ورغم أن رئيس الوزراء اليمني أحمد بن دغر كان قد تعهد في أكتوبر الماضي بصرف مرتبات موظفي الدولة عن طريق العملات الأجنبية المتوفرة (الدولار الأميركي والريال السعودي) نظراً لشح السيولة بالريال اليمني، إلا أن الحكومة اليمنية قررت أخيراً إعادة الأوراق النقدية من العملة المحلية لدورتها الطبيعية داخل الوعاء المصرفي عبر شرائها بالمزاد مقابل الدولار الذي يتوقع أن تزداد الهوة في سعر شرائه مقابل الريال اليمني الذي كان قد وصل إلى 305 ريال لكل دولار مقارنة بـ214 ريالا لكل دولار في سبتمبر 2014.

وقالت لجنة الخبراء الأكاديميين الحكومية إن تداول مبالغ نقدية ضخمة خارج الجهاز المصرفي هو السبب الرئيس في أزمة السيولة وعدم تمكن الجهات الحكومية من صرف رواتب موظفيها، حيث قدرت الزيادة في النقد المتداول خارج الجهاز المصرفي خلال النصف الأول من العام 2016 بما يصل إلى 298 مليار ريال.

ويرى رئيس مركز الإعلام الاقتصادي مصطفى نصر، أن هذا التراجع في سعر صرف الريال اليمني مقابل العملات الأجنبية يضاعف من التأثيرات السلبية على المواطن اليمني وعلى القوة الشرائية لمدخولاته بالريال، متوقعاً انهياراً للريال بمستوى أعلى بكثير ممّا وصله حتى الآن.

وقال نصر في تصريحه لـ"العرب" إن "أزمة السيولة للعملة المحلية وتخزينها أدى إلى تخفيف حدة الانهيار في العملة".

ويواجه اليمن مشاكل اقتصادية جمة منذ اجتياح الميليشيات الانقلابية صنعاء في الـ21 من سبتمبر 2014، إذ تراجعت الاحتياطات النقدية إلى 700 مليون دولار من أصل 4 مليارات دولار قبل الانقلاب خلال بقاء البنك المركزي تحت سلطة الحوثيين.

ورغم التراجع الكبير في سعر صرف الريال اليمني مقابل العملات الأخرى فإن مصطفى نصر يرى أن الانهيار الكبير لم يحدث بعد، وأن هذا الانهيار ربما يبدأ مع بداية حالة الاستقرار الاقتصادي والسياسي.

وقال رئيس مركز الإعلام الاقتصادي إن "حالة الانكماش والركود الاقتصادي الكبير ساعدت على عدم انهيار الريال اليمني، وأعتقد أن الأوضاع الاقتصادية ستنهار أكثر مع نهاية الحرب نظراً لحالة زيادة الطلب على الدولار التي ستنشأ حينها".

وإضافة إلى الاستنزاف الذي طال البنك المركزي اليمني في صنعاء من قبل الحوثيين تحت ذريعة دعم "المجهود الحربي"، فإن خبراء اقتصاديين يعتقدون أن الأزمة المتفاقمة التي انتهت إلى الحرب تسببت في هروب رؤوس الأموال وتوقف المشاريع وفاقمت من حالة التدهور الاقتصادي والمالي، إضافة إلى توقف تصدير النفط الذي كان يشكل 70 بالمئة من إيرادات الدولة.

ويبدو أن الرئيس عبدربه منصور هادي وحكومته عازمون على مواصلة إجراءاتهم النقدية فيما يخص البنك المركزي.

وأصدر الرئيس اليمني في اليومين الماضيين قراراً بتعيين وكيل لمحافظ البنك المركزي للعمليات المصرفية الخارجية بعد تمكن البنك المركزي في عدن من نقل (السويفت) من تحت سيطرة البنك في صنعاء، وهو ما يعني أن التحويلات الخارجية أصبحت تحت سيطرة الحكومة.

ويدفع المتمردون الحوثيون بدورهم فاتورة استنزاف السيولة في المجهود الحربي. وأفاد شهود عيان بأن مسلحين حوثيين فرقوا السبت، مظاهرة للعشرات من المحتجين المطالبين بتسليم رواتبهم المتأخرة في صنعاء.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الأمن والإصلاح الاقتصادي يعززان فرص نجاح «تونس 2020»

دول الاتحاد الأوروبي الحاضر الأبرز في المؤتمر الدولي للاستثمار

تستعدّ تونس لحدث مهم، وهو انعقاد المؤتمر الدولي للاستثمار نهاية الشهر الجاري، ويعتبر البعض من الخبراء أن فرص نجاح هذا المؤتمر قوية، خاصة بعد الإصلاحات الاقتصادية التي تحققت، واستقرار الوضع الأمني والسياسي رغم اللغط الدائر حول الموازنة العامة وقانون المالية لعام 2017.

التونسيون على موعد مع حدث مهم

□ **تونس** – يعلق التونسيون آمالا كبيرة على المؤتمر الدولي للاستثمار الذي سينعقد يومي 29 و30 نوفمبر الجاري تحت شعار "تونس 2020"، للنهوض بالاقتصاد التونسي الذي لم تتجاوز نسبة نموه هذا العام الـ1 بالمئة.

وقطعت الحكومة التونسية أشواطا كبيرة في الاستعداد لهذا الحدث المهم الذي سيشهد مشاركة واسعة لمستثمرين أجانب، فضلا عن حضور وازن لمسؤولين سياسيين من دول الاتحاد الأوروبي خاصة.

وقد نجح رئيس الحكومة يوسف الشاهد خلال الزيارة التي أداها مؤخرا إلى باريس في الحصول على تعهدات من الجانب الفرنسي بتقديم دعم كبير لهذا المؤتمر، بالنظر لما تحمله العلاقة بين البلدين من بعد استراتيجي.

وأكد رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس، خلال لقائه بالشاهد أنه سيترأس وفد بلاده في هذا المؤتمر، مشددا على أن فرنسا "ملتزمة تماما بالوقوف إلى جانب تونس وحكومتها، من أجل مساعدتها على تطوير إصلاحاتها والمساهمة في إنجاح انتقالها الديمقراطي".

وأوضح فالس "لقد أكدت لرئيس الحكومة أنني سأزور تونس موفى الشهر الجاري، من أجل إجراء لقاءات ثنائية والوقوف إلى جانبها خلال هذه الندوة الدولية، لأنه على فرنسا أن تضطلع بدورها كاملا كقيادية".

وتربط بين تونس وفرنسا علاقات استراتيجية، تتجاوز البعد الاقتصادي إلى الأمني والسياسي، وهو ما يفسر حرص باريس على تقديم كلّ الدعم لتونس لإنجاح تجربتها الديمقراطية الناشئة.

> رغم وجود عوامل ومحفزات قوية لنجاح المؤتمر الدولي للاستثمار في تونس، إلا أنه يبقى هناك تخوف مرتبط بالتجاذبات القائمة حول الميزانية العامة وقانون المالية لسنة 2017

وتعدّ تونس البلد الوحيد الذي حافظ نسبيا على استقراره بعد موجة الربيع العربي التي انطلقت منه، ويبدي حلفاؤه الأوروبيون حرصا على دعمه خاصة وأن الوضع داخله يبقى هشا، في ظل الوضع الاقتصادي الصعب الذي يعيشه.

ومعلوم أن السبب الرئيسي في اندلاع ثورة 2011 التي أتت على حكم الرئيس زين العابدين بن علي كان تردّي الشأن الاقتصادي وارتفاع معدلات البطالة بشكل كبير خاصة في صفوف حاملي الشهائد العليا.

ورغم مرور خمس سنوات على نهاية حكم بن علي فإنه لم يطرأ أيّ تحسن على المشهد الاقتصادي، لا بل العكس حيث تشهد نسب النمو تراجعا لافتا من سنة إلى أخرى، فضلا عن تضاعف عدد العاطلين عن العمل، الأمر الذي يثير مخاوف داخلية وخارجية من انتكاسة جديدة في تونس.

ويأمل خبراء اقتصاديون تونسيون أن يشكل المؤتمر الاستثماري، فرصة لتحقيق انتعاشة اقتصادية، وأن يحسن صورة تونس في الخارج، التي تضررت كثيرا على مرّ السنوات الماضية بفعل العمليات الإرهابية التي وقعت في بعض المناطق التونسية، والاعتصامات المتكررة التي أدت إلى فرار العديد من المستثمرين.

وأعلن رئيس الحكومة يوسف الشاهد أن حوالي 2500 شخص من رجال أعمال وأصحاب مؤسسات عبّروا عن نيتهم في المشاركة في المؤتمر الدولي، معربا عن الأمل في أن يرتفع هذا العدد خلال الأيام القادمة.

ويقول الخبراء إنّ فرص نجاح هذا الحدث متوفرة في ظل المناخ الأمني والسياسي المستقر نسبيّا، فضلا عن الإصلاحات الاقتصادية التي تحقّقت عبر سنّ جملة من القوانين والتشريعات التي لطالما نادى بها المستثمرون.

وفيما يتعلق بالجانب الأمني فقد سجّل تراجع كبير للعمليات الإرهابية، بفضل العمليات الاستباقية التي قامت بها الأجهزة الأمنية والعسكرية والتي تمكنت خلالها من الإيقاع بالعديد من الخلايا المتطرفة.

ومن شأن هذه النجاحات الأمنية أن تعزّز ثقة رؤوس الأموال الأجانب وتشجّعهم على القدوم والاستثمار في هذا البلد.

أما على مستوى الإصلاحات الاقتصادية، فقد تم إنجاز الجزء الأكبر منها والمتمثل في الانتهاء من سنّ قانون الاستثمار وقانون البنوك، وقانون البنك المركزي.

ويحفز قانون الاستثمار الجديد في تونس رؤوس الأموال، للعمل في السوق المحلية ضمن حزمة تسهيلات، تستهدف استعادة الثقة بالاقتصاد المحلي. وقد لقي ذلك إشادة من صندوق النقد الدولي، الذي قال في بيان له الجمعة "يرحب الفريق بما تحقق من تقدم جيد في اعتماد السياسات الضرورية، مثل قانون الاستثمار الجديد، وخطط العمل الموثوقة في البنوك العامة".

ويدعم صندوق النقد الدولي، البرنامج الاقتصادي لتونس الذي يمتدّ حتى عام 2020، بتقديمه قرضاً مالياً في مايو الماضي بقيمة 2.9 مليار دولار، وحصول البلاد على الشريحة الأولى من القرض البالغة 319.5 مليون دولار.

ورغم وجود عوامل ومحفّزات قوية لنجاح المؤتمر الدولي للاستثمار في تونس، إلا أنه يبقى هناك تخوف مرتبط بالتجاذبات القائمة حول الميزانية العامة وقانون المالية لسنة 2017، حيث تسجّل تحفظات كبيرة من طرف كل من منظمة الاتحاد العام التونسي للشغل (أكبر منظمة نقابية في البلاد) ومنظمة الأعراف وبعض الأسلاك خاصة منها الأطباء والمحامون تجاه بعض البنود، ومنها تأجيل الزيادة في الأجور، والإجراءات الضريبية.

وأكّد خبراء اقتصاديون أنه من الأجدى التوصل إلى توافقات سياسية حيال النقاط الخلافية في أسرع وقت، حتى ينعقد هذا المؤتمر في جوّ سياسي واجتماعي مريح.

هل تعيد زيارة سلال الدفء إلى العلاقات الجزائرية السعودية

□ **الجزائر** – يقوم رئيس الحكومة الجزائرية عبدالمالك سلال بزيارة رسمية إلى المملكة العربية السعودية يومي 15 و16 نوفمبر الجاري، في خطوة قد تعيد الدفء إلى العلاقات بين البلدين التي شهدت فتورا في السنتين الأخيرتين، بشهادة المتابعين.

ووفق وكالة الأنباء الجزائرية، فإن هذه الزيارة تأتي بغرض تعزيز العلاقات الثنائية والتشاور حول مختلف القضايا ذات الاهتمام المشترك، ولا سيما العربية منها.

ويتوقع متابعون أن يتصدّر ملف النفط المباحثات بين سلال والمسؤولين السعوديين، حيث سيحاول الأخير إقناع الرياض بضرورة تفعيل ما تم التوصل إليه في اجتماع أوبك بالجزائر في سبتمبر.

وتعاني الجزائر من وضع اقتصادي صعب جرّاء تهاوي أسعار النفط، وتسعى اليوم إلى إعادة الاستقرار للسوق والنأي بهذا الملف عن الحسابات السياسية.

ويرجّح أن تشمل المباحثات السعودية الجزائرية القضايا المشتعلة في المنطقة بدءا بسوريا مرورا باليمن ووصولا إلى ليبيا.

وهناك تباينات متفاوتة بين المملكة العربية السعودية والجزائر فيما يتعلق بالملفات الثلاثة، فالأخيرة تؤيد ضمنيا نظام دمشق، وإن كان مسؤولوها يؤكدون على سياسة النأي بالنفس تجاه الوضع في سوريا، بالمقابل تدعم الرياض المعارضة السورية معتبرة أنه لا يمكن للرئيس بشار الأسد أن يحكم البلاد مستقبلا.

كما يتّسم الموقف الجزائري حيال الملف اليمني بالضبابية، وقد رفضت في السابق أن تشارك في التحالف الذي يضمّ العديد من الدول العربية بقيادة السعودية لإنهاء الانقلاب الذي قاده المتمردون الحوثيون بدعم من الرئيس السابق علي عبدالله صالح على السلطة الشرعية الممثلة في الرئيس عبدربه منصور هادي.

وعزت الجزائر سبب رفضها الانخراط في التحالف إلى وجود موانع دستورية تحول دون مشاركة جيشها في مهمات خارجية.

ولا يتوقع متابعون أن تسجل اختراقات كبيرة في مواقف البلدين حيال هذين الملفين، بيد أنه من الثابت أنّ الجانبين سيعملان على إيجاد مساحة تفاهم في عدة مسائل ملحّة أخرى لعلّ من ضمنها المسألة الاقتصادية ومكافحة الإرهاب.

وكان رئيس أركان الجيش السعودي الفريق أول ركن عبدالرحمن بن صالح البنيان قد قام منذ فترة بزيارة إلى الجزائر تناولت حالة التعاون العسكري الثنائي.

ويتوقع متابعون أن تعلن السعودية خلال وجود عبدالمالك سلال في الرياض عن موعد محدد لزيارة الملك سلمان بن عبدالعزيز إلى الجزائر.

يذكر أن الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة قد توجه بدعوة، في أبريل، إلى العاهل السعودي لزيارة الجزائر، وذلك عبر موفده الخاص الطيب بلعيز.

المغرب بالمرصاد لتحالف الإرهاب والمافيا

محمد بن امحمد العلوي

□ **الرباط** – مع تنامي التهديدات الإرهابية وتطوير التنظيمات المتطرفة لوسائل عملها وتنظيمها وتكتيكات تنفيذ الهجومات، إما من خلال الذئاب المنفردة أو خلايا ميكروسكوبية كامنة سواء فيما يتعلق بالأهداف المرصودة للهجوم أو طرق التمويل والتواصل، عملت المصالح الأمنية المغربية على تشكيل بنك معلومات يهتم بهذه المتغيرات، وساعدها في ذلك تراكم خبرات واسعة في التعامل مع خطر الجماعات الإرهابية ورصد تحركات أفرادها داخل المملكة وخارجها.

ونظرا للضغط المُمَارَس على هذه التنظيمات، سواء القاعدة أو داعش، عسكريا من خلال الحرب على مراكزها في العراق وسوريا وليبيا وغيرها من أماكن تواجدها، ولوجيستيا بتجفيف مواردها المالية ومراقبة شبكة اتصالاتها وتواصلها على مدار الساعة، فإن قيادات تلك التنظيمات تحاول التعامل مع هذا الواقع ببراغماتية حيث استطاعت تطوير شبكة مصالح مع المنظمات "المافيوية" الدولية.

ونظرا لخطورة هذا التحالف بين التنظيمين أخذت السلطات المختصة بالمغرب حذرها باستخلاص معلومات تفيد الترابط الوثيق بين المجموعات المتطرفة ومنظمات الجريمة المنظمة كأحد المصادر الرئيسية لتمويل الإرهاب.

واستطاعت الأجهزة الأمنية المغربية بالتنسيق مع المكتب المركزي للأبحاث القضائية التابع للمديرية العامة لمراقبة التراب الوطني (المخابرات الداخلية)، تفكيك شبكة إجرامية، الجمعة 11 نوفمبر، تتكون من 4 أفراد بمدينتي طنجة (شمال) ووجدة (شرق).

وفي تفاصيل العملية أفاد بلاغ لوزارة الداخلية بأن من بين عناصر هذه الشبكة مفتش عنه في قضية تتعلق بالاتجار الدولي في المخدرات، ومعتقلان سابقان في قضايا الإرهاب، أحدهما كان على صلة بعناصر متشددة بالخارج، وآخر قاتل بالساحتين السورية والعراقية ضمن صفوف جماعة متطرفة خططت لتنفيذ اعتداءات إرهابية بالمملكة.

وحول الأسباب التي دعت التنظيمات الإرهابية إلى الانفتاح على منظمات الجريمة المنظمة يعتقد عبدالإله السطي الباحث المغربي في الجماعات الإسلامية، أن ذلك يعكس حالة الأزمة التي تعيش فيها هذه الجماعات، عبر تضييق مجالات تحركها وتجفيف منابع تمويلاتها الخارجية.

ومن وجهة نظر مصطفى زهران الخبير المصري في شؤون الجماعات الإسلامية، فإن علاقة التنظيمات الجهادية بالمافيات الدولية التي تعمل في مجال تجارة الأسلحة والبشر والمخدرات، ليس جديدا بل يعود إلى سنوات خلت، ولكن لم يسلط عليها الضوء إلا في الآونة الأخيرة.

وأورد البلاغ الصادر عن وزارة الداخلية المغربية أن الشريك الرابع لهذه العصابة الإجرامية، والموقوف على خلفية تفكيك هذه الشبكة، قد تم ترحيله إلى المملكة سنة 2014 انطلاقا من بلجيكا بعدما قضى عقوبة بالسجن في إطار قضية تتعلق بالاختطاف والقتل العمد والاتجار في المخدرات. ومن تجميع لمعلومات دقيقة، حسب وزارة الداخلية المغربية، فإن أفراد هذه الشبكة الإجرامية نفذوا عملية اختطاف، واحتجاز أحد الأشخاص بأحد المنازل بمدينة طنجة، حيث استحوذوا على سيارته التي خططوا لبيعها بمدينة وجدة، قبل أن تحجزها المصالح الأمنية.

وفي تقييمه للعملية النوعية، أكد عبدالإله السطي أن الأجهزة الأمنية المغربية أثبتت مرة أخرى يقظتها وقوة استشعارها للمخاطر المحدقة بالمغرب، من طرف تنظيم الدولة الإسلامية الذي ما فتئ يبعث برسائل تهديد إلى المملكة.

واعتبر السطي أن الخطورة الكامنة في هذا المنحى لهذه الخلايا أنها لم تعد تهدد مؤسسات الدولة فقط، بل أضحى الأفراد وممتلكاتهم في مرمى المخططات التخريبية.

وتتقاطع التنظيمات الإرهابية مع المافيا الدولية في الخطر الذي يشكله كلاهما على استقرار وأمن الدول على كافة المستويات ومن ضمنها المغرب، وأيضا استغلالهما لوسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت والأقمار الصناعية لتسهيل أنشطتهما كتجارة المخدرات والسلاح والآثار والاتجار بالأشخاص والأعضاء البشرية وغسيل الأموال.

ونظرا لانتشار التنظيمات الإرهابية بمنطقة الساحل والصحراء والتي انضاف إليها في السنوات الأخيرة فرع داعش، والخطورة التي أضحت تشكلها هذه التنظيمات على استقرار المنطقة فقد أكد الخبير المصري في الجماعات الإسلامية، أن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي دخلت خلال العقد الأخير في علاقات مع عصابات إجرامية تمارس الاتجار بالبشر والمخدرات حتى غدت بمثابة جماعات وظيفية تقوم بأدوار وخدمات هامة للتنظيمات الجهادية.

وتتمثل تلك الخدمات حسب محدثنا، في التيسير لخطف الرهائن واغتيال الشخصيات المستهدفة وذلك لمعرفتهم بدروب الصحراء الوعرة وللخبرة الطويلة والمتراكمة لهذه العصابات المتكونة من شبكات هرمية وعنقودية يؤهلها بأن تعرف كل شاردة وواردة في شبكة العلاقات الدولية السرية والغامضة.

الإرهاب لن يمر من هنا

وتتعامل هذه الجماعات المافيوية مع التنظيمات الجهادية بشكل براغماتي وفي مصالح متداخلة تهدف للحصول على المال الوفير الذي تحصل عليه هذه التنظيمات جراء خطف الرهائن الغربيين، وتعتبر أحد التمويلات والعائدات المالية الضخمة للتنظيمات الجهادية على مدار العقدين الأخيرين.

وباعتبار الخطورة الناتجة عن مزج الجماعات الإرهابية بين التطرف والتمويل المافيوي واستفادتهم من سهولة تنقل الأشخاص عبر حدود الدول وتطوير آليات الجريمة المنظمة وانتشارها، إلى جانب ما يمكن أن تعرفه الخلايا الإرهابية من اختراقات تخدم أجندات تخريبية وفوضوية، كل هذا قوّى درجة التعاون والتنسيق الأمني والاستخباراتي بالمغرب سواء بين الأجهزة الداخلية نفسها أو مع الأجهزة الدولية.

وهذا الأمر استدعى حسب الباحث المغربي عبد الإله السطي، مجموعة من البلدان سواء على المستوى الإقليمي أو الأوروبي بفرنسا وبلجيكا وأسبانيا خصوصا، أن تطلب المساعدة الاستخباراتية من طرف المغرب، حيث تكلل هذا التعاون في كثير من الأحيان بتفكيك خلايا إرهابية كانت تهدد سلامة وأمن هذه البلدان.

حرب شوارع شرسة بين داعش والقوات العراقية في الموصل

الجيش يتقدم في الأحياء الشرقية للمدينة رغم هجمات الانتحاريين

يبدي مقاتلو تنظيم الدولة الإسلامية استماتة في المعركة الجارية في الموصل الأمر الذي من شأنه أن يعقّد مهمة القوات العراقية، ورغم ذلك فقد سجّل السبت تقدم مهم ترجم في السيطرة على حيين استراتيجيين فيما يستمر القتال على أشده في عدن.

مفتاح الفرج

□ **بغداد** – تخوض القوات العراقية حرب شوارع "شرسة للغاية"، منذ السبت، ضد عناصر تنظيم الدولة الإسلامية في حيّ عدن، فيما تمكنت من السيطرة على حيي الأوربجية والقادسية الثانية (شرقي الموصل).

وبدأت معركة تحرير الموصل تأخذ منعطفاً آخرا متمثلا في حرب شوارع ضد عناصر التنظيم الذين يفضّلونها كونهم يعرفون جغرافية المنطقة بشكل جيّد ويعتمدون على شبكة أنفاق تمنحهم حرية الحركة والمناورة بسهولة، فضلا عن اتخاذهم المدنيين العزّل دروعا بشرية ما يتسبّب في إعاقة العمليات العسكرية الجارية ضدّهم، بحسب تصريحات رسمية سابقة.

وقال الرائد سلوان فواز، من قوات الردّ السريع (تابعة للداخلية)، إن "قوّات جهاز مكافحة الإرهاب شرعت في تمام الساعة الـ6:30 صباح السبت، في عملية اقتحام حيّ عدن في الجانب الأيسر شرق الموصل من محورين، إلا أنها اصطدمت بمقاومة شرسة للغاية من قبل مقاتلي التنظيم الذين اعتمدوا بنسبة كبيرة جدا على إرسال العجلات المفخخة والانتحاريين".

وأشار فواز "لغاية الآن، الاشتباكات مستمرّة وقد جرى تفجير 3 عجلات مفخخة وقتل انتحاريين اثنين، قبل وصولهم إلى القوات المسلحة"، موضحاً أنه "لا يمكن إعطاء حصيلة دقيقة بحجم الخسائر البشرية والمادية بين الطرفين الآن، جراء احتدام المعارك". وأضاف أن "نجاح القوات في السيطرة على حيّ عدن سوف يمكّنها من سهولة اختراق مناطق الموصل ضمن محور الجنوب الشرقي والسيطرة على مباني شقق الخضراء والتي يتخذها التنظيم لتنفيذ عمليات القنص".

وفي وقت سابق أكد قائد حملة تحرير الموصل، الفريق الركن عبدالأمير رشيد يارالله، عبر بيان بثه التلفزيون الرسمي، أن قوات مكافحة الإرهاب التابعة لوزارة الدفاع "سيطرت على حيي الأوربجية والقادسية الثانية (شرقي الموصل) بعد قتل العشرات من الإرهابيين".

وكان تنظيم داعش قد نشر على مواقع تابعة له مقاطع مصوّرة، تظهر نشوب حرب شوارع بينه وبين القوات العراقية، وكان آخرها مساء الجمعة، وتوضح الاشتباكات بين الجانبين داخل الأحياء السكنية في شرقي المدينة.

49
ألف شخص على الأقل نزحوا من الموصل منذ بدء الهجوم على المدينة

وتوغلت القوات العراقية قبل أيام شرقي مدينة الموصل التي يقطنها نحو 1.5 مليون شخص، وتحولت أزقة وشوارع المدينة من الناحية الشرقية إلى ساحة معارك عنيفة منذ ذلك الوقت.

وانطلقت معركة استعادة الموصل في الـ17 من أكتوبر 2016، بمشاركة 45 ألفاً من القوات التابعة لحكومة بغداد، سواء من الجيش، أو الشرطة، مدعومين بالحشد الشعبي (مليشيات شيعية موالية لإيران)، وحرس نينوى (سنّي)، إلى جانب البيشمركة (قوات الإقليم الكردي).

وتدعم ضربات جوية تقودها الولايات المتحدة القوات العراقية باستخدام مقاتلات وطائرات هليكوبتر من طراز أباتشي في حين يرافق مستشارون عسكريون غربيون القوات على أطراف الموصل.

واستعادت القوات العراقية والمتحالفين معها، خلال الأيام الماضية، العشرات من القرى والبلدات في محيط المدينة من قبضة داعش.

ولكنّ خبراء ومحللين يرون أن سياق المعركة وشراسة عناصر التنظيم الذين يبدو أنهم استعدوا جيدا لها، ستعرقل عملية تحرير المدينة، مرجّحين أن تستغرق المعركة أشهرا.

ومع احتدام المعارك في عمق المدينة، سجل خروج مدنيين، بعضهم يحمل رايات بيضاء إلى أطراف الموصل، وتجمعوا قرب شاحنة عسكرية عراقية لتقلهم إلى خارج المدينة.

ويثير مصير المدنيين في الموصل قلق المنظمات الإنسانية التي تدعو إلى فتح ممرات آمنة لهم. وقالت المنظمة الدولية للهجرة السبت إن أكثر من 49 ألف شخص نزحوا من الموصل منذ بدء الهجوم على المدينة.

وكانت المفوضية العليا لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة قد كشفت الجمعة، بأن تنظيم الدولة الإسلامية أعدم خلال الأيام الماضية ستين مدنيا على الأقل في الموصل وضواحيها، متهما أربعين منهم بـ"الخيانة" والعشرين الآخرين بالتعامل مع القوات العراقية.

وسيطر تنظيم الدولة الإسلامية في العام 2014 على مساحات واسعة شمال وغرب بغداد، ولكن القوات العراقية نجحت في استعادة معظمها.

ويقول خبراء، إن استعادة القوات العراقية للموصل سيشكل ضربة قاسمة للتنظيم المتطرف، وهو ما يفسر استماتة عناصره داخل المدينة.

النظام المصري يضيق الفجوة بينه وبين الشباب

أحمد حافظ

□ **القاهرة** – بدأ النظام المصري خطوات فعلية لعقد مصالحة سياسية مع الشباب، بعد فترة من الجفاء في العلاقة بين الطرفين، حيث من المقرر أن يتم الإفراج عن أول دفعة من المحبوسين احتياطيًا على ذمة قضايا متعلقة بالتظاهر السلمي خاصة.

وقالت رئاسة الجمهورية في بيان، السبت، إن الرئيس عبدالفتاح السيسي ملتزم تمامًا بالتوصيات التي سوف تخرج عن اللجنة المكلفة بفحص ملفات الشباب المحتجزين على ذمة قضايا، واتخاذ ما يتناسب من إجراءات في حدود صلاحياته الرئاسية المخولة له وفقا للقانون.

وأضاف بيان الرئاسة، أن السيسي حريص على دعم الشباب بكافة السُبل الممكنة وتشجيعهم على المساهمة بإيجابية في جهود التنمية الجارية والاستفادة ممّا لديهم من قدرات ضخمة على العمل والابتكار والمبادرة من أجل تحقيق صالح الوطن وتقدمه.

وعلمت "العرب" أن إجراءات العفو سوف تشمل الشباب الذين شابت إجراءات القبض عليهم أخطاء إجرائية أو الذين اخترقوا قانون التظاهر بشكل سلمي، فضلا عن عدد من الصحافيين الذي يحاكمون في قضايا نشر ورأي وتعبير، ويصل عدد الدفعة الأولى إلى نحو 500 شخص.

وتوقع محمد عبدالعزيز عضو اللجنة المشكلة لفحص قضايا الشباب المحبوسين، أن يتم إطلاق الدفعة الأولى من الشباب، الاثنين، نافيًا وجود تدخلات في عمل اللجنة.

وكان السيسي قد قرّر خلال مؤتمر الشباب في شرم الشيخ، نهاية الشهر الماضي، تشكيل لجنة يكون عملها لمدة 15 يومًا لمراجعة قضايا الشباب المحبوسين، لكنه مدّد عمل اللجنة إلى أن تنتهي من جميع الحالات، بحيث لا ترتبط بمواعيد محددة لانتهاء أعمالها.

وأشار عبدالعزيز، وهو أيضا عضو المجلس القومي لحقوق الإنسان، إلى أن معيار لجنة فحص حالات الشباب المحبوسين للعفو عنهم، لن يشمل من اشتركوا في أحداث عنف، لكن سيكون التركيز الأهم على الحالات الصحية والإنسانية والاجتماعية، بهدف حدوث انفراجة سياسية بين فئة الشباب ومؤسسات الدولة.

وتأتي هذه الخطوة، ضمن خطوات سابقة سعى خلالها النظام المصري لتحسين صورته أمام الشباب.

وقال حسن نافعة، أستاذ العلوم السياسية في جامعة القاهرة لـ"العرب"، إن تحرك النظام نحو الإفراج عن الشباب، بداية للاعتراف الضمني بأن الأزمة الحالية "سياسية" وليست اقتصادية، وهذا ما كان غائبًا عن الدولة طوال الفترة الماضية، موضحًا أن هذه الانفراجة في العلاقة بين الشباب والنظام ستكون اللبنة الأولى للاستقرار السياسي.

انقلاب الانقلاب.. الخيار المؤجل في اليمن

عزت مصطفى
كاتب صحافي يمني

□ أنباء عن محاولة حوثية ثانية لاغتيال علي عبدالله صالح في صنعاء، تخرج أخبار العمليتين من بين زوايا أحيطت بالكتمان، فيما لا يبدي أيّ من الحوثيين أو علي عبدالله صالح أيّ ردة فعل حول هذه الأنباء بالنفي أو التأكيد، فالاكتفاء بالمحاولات من قبل الحوثيين والصمت من قبل صالح يعطي مؤشرا على مدى وصول الصراع البارد بينهما.

حاول الحوثيون منتصف 2011 التوغل داخل المؤتمر الشعبي العام كحامل سياسي لانقلابهم، هذا الحزب الكبير والقويّ الذي بدا بعد الانتفاضة الشعبية على نظام علي عبدالله صالح مثل فيل ضخم وتائه إذ وجد نفسه لأول مرة بعد ثلاثين عاما من إنشائه خارج السلطة وبلا خبرة بالمعارضة تتنازعه مصالح النفوذ المسكوب ومخاوف الفساد البائن، إلا أن "المراوغ" الذي بدا مغشيا إثر انتزاعه من خلوته بالسلطة وعقب محاولة اغتياله في مسجد قصره التي لم يكن من المتوقع أن ينجو منها وانهمك بعدها بلعق جراحه التي ظُنّ أنها لن تلتئم قبل سنوات من شدة ما أصابه في التفجير، سارع مجددا إلى امتطاء حزب المؤتمر الذي يرأسه ليقطع على الحوثيين الطريق في توجيه فيله إلى مسعاهم.

> علي عبدالله صالح الذي عرف بقدرته على التقاط السهام الموجهة إليه والاحتفاظ بها في جعبته وإعادة الرماية بها، وجد في الحوثيين قناعا مناسبا للتخفي وراءه في محاولة تسلله إلى دار الرئاسة مجددا

علي عبدالله صالح الذي عُرف بقدرته على التقاط السهام الموجهة إليه والاحتفاظ بها في جعبته وإعادة الرماية بها، وجد في الحوثيين قناعا مناسبا للتخفي وراءه في محاولة تسلّله إلى دار الرئاسة مجددا، وبانكشاف مخططات الطرفين لكلاهما، وجدا من المناسب أنن يتعاونا معا في هدفهم المشترك.

كان هدف كلٍّ منهم الانقلاب على السلطة الشرعية بقيادة الرئيس عبدربه منصور هادي، بدافع الأحقية التي كان يراها علي عبدالله صالح في استعادة ما فقده (حقه كما يراه) وكما كان يراها الحوثيون في وجوب الولاية في البطنين (حسب المذهب الإثنى عشري)، لكن سعيهما لإسقاط السلطة الشرعية وإن بدا مشتركا بينهما إلا أن له هدفين مختلفين ومتباينين، هدف استراتيجي يخص علي عبدالله صالح وحده، وهدف استراتيجي يخص الحوثيين وحدهم.

لقد كان مقررا منذ البداية لتحالف علي عبدالله صالح والحوثيين أن ينتهي بانقلاب أحدهما على الآخر بمجرد نجاح خطتهما المشتركة بإسقاط السلطة الشرعية ممثلة بالرئيس عبدربه منصور هادي، إلا أن الخطوة التي لم تتم أجّلت الانقلاب بينهما على بعضهما والتي كان بالإمكان أن يشعلها الحوثيون بمبرر انتقامهم من علي عبدالله صالح جراء حروبه الست ضدهم، وكان بالإمكان أن يبدأها عبدالله صالح متقمصا دور المنقذ لليمن والإقليم من خطر الميليشيا المسلحة التي تعتبر ابنة بيولوجية للحرس الثوري الإيراني.

لقد اتخذ شكل الصراع بين الطرفين بلجوء كل منهما إلى ركل ودفع الآخر داخل الخندق الواحد الذي يتمترس داخله في مواجهة الحرب لاستعادة الشرعية في اليمن، ولم تنته أو تنتفي أسباب إمكان توجيه كل منهما سلاحه إلى خاصرة الطرف الشريك بل بقي هذا الخيار مؤجلا لكليهما.

هذا الخيار المؤجل كان سيحين في حالتين، والحالتان تشكلان وصولا إلى نهاية مطاف الانقلاب، الحالة الأولى الحسم العسكري للمعركة وكسر الانقلاب من قبل الجيش الوطني اليمني والتحالف العربي، وسيكون مبرر الصراع بين طرفي الانقلاب تحميل كل منهما الآخر لمسؤولية المآل، والحالة الثانية الوصول إلى تسوية سياسية بين الشرعية والانقلابيين، إذ سيحاول كل طرف في الانقلاب الاستئثار بالنصيب من التسوية على حساب شريكه مكتفيا بالمشاركة في السلطة عوض الاستحواذ عليها كاملة، وهذا ما يفسر عرقلة الانقلابيين لأيّ تسوية سياسية حتى الآن، فجانبهم المفاوض مشكّل من فريقين وليس فريقا واحدا مقابل فريق المفاوضات عن الشرعية، ولكلّ فريق انقلابي رئيس ومفاوضون عنه لا عن الانقلاب كفعل مشترك.

في كلتا الحالتين فإن الحوثيين يستبقون ساعة الصراع بينهم وبين علي عبدالله صالح، لسبب أنهم يستطيعون الوصول إلى رأس شريكهم في الانقلاب، بينما لا يستطيع هو ذلك، ولذا تأتي محاولاتهم المستمرة في سحب البساط من تحت أقدامه في السيطرة على قوات الحرس الجمهوري والتشكيلات العسكرية الموالية له، وسبق ذلك سحب البساط من تحته في معظم الجهاز الإداري لمؤسسات الدولة، بينما يكتفي علي عبدالله صالح لأول مرة في حياته بمحاولات الدفاع وعرقلة وصول شركائه إلى رأسه.

يبقى الصراع بين الحوثيين كميليشيا عقائدية وبين علي عبدالله صالح كنظام عميق وما تبقى له من حزب المؤتمر على مستويين، الأول في المستوى الأعلى، وهذا الصراع يدور بين صالح شخصيا وعبدالملك الحوثي أو من يمثله كمحمد علي الحوثي أو صالح الصماد، وموضوع الصراع في هذا المستوى هو السيطرة والسلطة وهو مؤجل مع بعض محاولات الحوثيين الفاشلة حتى الآن، وفي المستوى الأدنى يدور الصراع بين أعضاء حزب المؤتمر الموالين لعلي عبدالله صالح (يطلق عليهم الحوثيون تسمية المتحوثين للتمايز عنهم) وبين أعضاء حركة الحوثي الأصليين (السادة الهاشميون) ويدور الصراع في هذا المستوى على المال والتسابق في الفساد وهو على أشده الآن والتراشق بالاتهامات في أوجه بينهما.

> المتمردون الحوثيون يستبقون ساعة الصراع بينهم وبين علي عبدالله صالح، لسبب أنهم يستطيعون الوصول إلى رأس شريكهم في الانقلاب، بينما لا يستطيع هو ذلك

المعادلة التي غيرت مجرى الانقلاب في اليمن تمثلت في التدخل العسكري للتحالف العربي الذي لم يكن في حسابات أيّ من طرفي الانقلاب، وأربك كل خططهم، وقد حوّل التحالف العربي الانقلاب في اليمن من فرض أمر واقع على الأرض إلى مزحة، وللمزحة هنا حكاية حدثت في خمسينات القرن الماضي حين نشرت صحيفة الفضول الساخرة التي كان ينشرها الشاعر الوطني عبدالله عبدالوهاب نعمان عنوانا عريضا "انقلاب عسكري في اليمن" ما دفع بالقرّاء إلى شراء كل أعداد الصحيفة التي كان الخبر المفصّل فيها يحكي عن سقوط عسكري من على ظهر حماره وانقلابه على رأسه، فضحك الناس من الانقلاب الذي فلق رأس صاحبه.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

قلق إيراني من خروج لبنان من الفلك الإيراني السوري

طهران ترفع مستوى الضغط على بيروت تحسبا لمفاجآت العهد الأميركي الجديد

لم يتوضح بعد إن كان العهد الجديد، في الولايات المتحدة الأميركية، سيحمل تغييرا للبنان، لكن، ما هو واضح إلى حد الآن مساعي إيران إلى تضييق خناقها قدر الإمكان على لبنان، وجعله يدور في الفلك الإيراني السوري، تحسبا لأيّ تغيرات، لبنانية، وإقليمية ودولية، من شأنها أن تؤثر سلبا في ما حققته في المنطقة في فترة الفراغ الرئاسي في لبنان واهتمام الرئيس الأميركي باراك أوباما بتحقيق الاتفاق معها على حساب بقية المنطقة.

النفوذ الإيراني في لبنان عرضة لمخاطر جمة

شادي علاء الدين
كاتب لبناني

❏ **بيروت** – برز منذ تولي الجنرال ميشال عون لسدة الرئاسة نقاش حاد حول توجه هذا العهد الرئاسي. وحرصت بعض الأطراف من قبيل تيار المستقبل والقوات اللبنانية على تصويره بوصفه عهدا صنع في لبنان وأنه لم يكن نتيجة لإملاءات خارجية أو توافقات إقليمية ودولية. وتؤكد هذه القوى أن الأمور، على العكس من ذلك، وأن دور الخارج كان وربما للمرة الأولى في تاريخ لبنان الحديث مقتصرا على التصديق على ما يتوافق عليه اللبنانيون وحسب.

يقف في وجه هذا التصور تصور آخر مناقض تماما يرى أن هذا العهد ليس صنيعة الخارج وحسب بل إنه تتويج واضح وحاسم لانتصار المحور السوري الإيراني في سوريا وهزيمة السنة. وأن هذا العهد ليس سوى النتيجة الحتمية لواقع هذا الانتصار الواضح، والذي لم يترك للأطراف الأخرى في لبنان وخصوصا سعد الحريري سوى خيار الخضوع لخيارات حزب الله، والإتيان بخصمه السياسي وخصم طائفته، رئيسا للجمهورية.

> مقابل محو الذاكرة الذي يتعامل به العهد مع النظام السوري فإنه يتعامل مع خصومه وحلفائه من المسيحيين عبر عملية معاكسة تقوم على إحياء ذاكرة الصراعات والبناء على الاختلافات

تكرّس الواقع الذي يعبر عنه أصحاب وجهة النظر الأخيرة مع الترحيب الإيراني الرسمي بانتخاب ميشال عون، والتأكيد على أنه يمثل انتصارا واضحا لإيران وحزب الله ومحور الممانعة. ومع الزيارتين التي قام بهما كل من وزير الدولة لشؤون الرئاسة السورية منصور عزام ووزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف إلى بعبدا للقاء الرئيس المنتخب، يضاف إلى ذلك أن حزب الله لم يلحق بالخطاب التسووي الشعري للعهد الرئاسي كما تبلور في خطاب القسم، وهو لا يزال يحرص على رسم صورة لعهد ميشال عون الرئاسي تعكس نجاحه في فرض شروطه على جميع اللبنانيين.

تجتمع جملة من العناوين العريضة والمؤشرات الواضحة لترسم صورة للعهد بوصفه عهدا يدور في الفلك الإيراني السوري.

محو الذاكرة

لم يكن حدثا عابرا أن يعمد الرئيس المنتخب ميشال عون في أول إطلالة جماهيرية له في قصر بعبدا إلى تجهيل الفاعل الرئيسي في أحداث عام 1989 أي الجيش السوري الذي كان قد أخرجه من بعبدا بالقوة في ذلك العام.

حلّ مكان هذا الفاعل المعلوم فاعل آخر هو القوات الأجنبية. وأظهر هذا التجهيل ميل الرئيس، ليس إلى تصميم خطاب مصالحة مع النظام السوري وحسب، بل إلى اصطناع خطاب يوحي بالمسؤولية الإسرائيلية عن تلك الأحداث ويبرئ النظام السوري من تهمة المشاركة فيها.

يسعى هذا الخطاب إلى خلق حالة من الانسجام مع ما جاء في خطاب القسم ومع الدعاية التي افتتح بها الجنرال ميشال عون عهده الرئاسي، والذي يقدم فيها نفسه على أنه "بَيْ الكل" أي والد الجميع، وكذلك مع تسميته للقصر الرئاسي بـ"بيت الشعب".

يريد الجنرال ميشال عون أن يفتتح عهده بتسوية مع التاريخ، وذلك لا يتم إلا بعملية مونتاج عاجلة له، تحذف منه الوقائع التي لا تنسجم مع الأطروحات العامة للعهد، والتي لا يوجد أي دليل على قدرته على تنفيذ الحد الأدنى منها في ظل واقع توزع القوى السياسية الحالي وإحجامها.

بعد ذلك جاءت الزيارة الخاصة لوزير الدولة لشؤون الرئاسة السورية إلى الرئيس والتي أطلق الموفد السوري إثرها مواقف تشي بأنها ليست محاولة لفتح علاقة مع الجنرال وعهده الرئاسي، بل هي استكمال لتاريخ من العلاقات التي تتسم بالثقة.

بدأت هذه العلاقات مع عودة الجنرال من منفاه الباريسي إلى لبنان ليكون قطبا في حركة 14 آذار المناهضة للوجود السوري قبل أن ينضم إلى فريق 8 آذار الموالي للوجود السوري ويزور سوريا عام 2008 حيث استقبل استقبال الفاتحين، ويساهم في منح حزب الله شرعية وطنية ومسيحية بعد أن كانت حدوده لا تتجاوز حدود الطائفة الشيعية.

في مقابل محو الذاكرة الذي يتعامل به العهد مع النظام السوري فإنه يتعامل مع خصومه وحلفائه من المسيحيين عبر عملية معاكسة تقوم على إحياء ذاكرة الصراعات والبناء على الاختلافات.

أطلق الوزير جبران باسيل، الذي يمكن اعتباره الناطق الرسمي بلسان العهد، تصريحات اعتبر فيها أن من كان رافضا للتسوية فإنه لا تحق له المشاركة في الحكومة، في تعبير واضح عن نزعة لمعاقبة الكتائب على موقفها السلبي من انتخاب الجنرال عون. كذلك لا يبدو العهد ميّالا للدفاع عن مطلب القوات اللبنانية بتولي حقيبة سيادية في وجه رفض حزب الله القاطع لهذا الأمر على الرغم من الحلف المعلن بينهما.

هكذا فإن دخول مسيحيي 14 آذار إلى حكومة العهد الجديد سيكون ضعيفا وهشا وموازيا للإقصاء، في حين أن حصة مسيحيي فريق 8 آذار محفوظة سلفا عبر تأكيد رئيس الحكومة المكلّف سعد الحريري والرئيس نبيه بري على ضرورة وجود تمثيل لسليمان فرنجية، كما أن حصة الجزء الآخر من فريق 8 آذار المسيحي أي التيار الوطني الحر محفوظة وهي مفصولة عن حصة الرئيس. هكذا يبدأ العهد نشاطه بعملية محو ذاكرة تنكيل النظام السوري بالمسيحيين لصالح الانسجام مع طبيعة المرحلة، كما يعمل على فتح جروح الذاكرة قريبة العهد مع الأطراف المسيحية جميعها والتي تشكل إما حلفا معلنا معه أو حلفا محتملا.

محاربة التكفيريين

طرح وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف خلال زيارته إلى لبنان، والتي التقى فيها الرئيس المنتخب، العديد من العناوين عريضة وأبرزها كان محاربة التكفيريين. ولكن البعد العميق لهذا العنوان لا يمكن فهمه إلا من خلال الكشف عن المعنى الذي يحمله وفق التصور الإيراني له، والذي يربطه بشكل مباشر بمحاربة السنّة.

هكذا يأتي وزير الخارجية الإيراني الذي تحارب بلاده السنّة في كل المنطقة إلى لبنان ليطرح هذا العنوان، كما يفهمه، بوصفه عنوانا يُجمع عليه اللبنانيون، في حين أنه يشكل عمليا العنوان الفعلي والبارز للصراع في المنطقة، والذي يهدد بانفجار لبنان في ظل احتدام أزمة اللجوء السوري.

تكمن المشكلة في أن زيارة ظريف اتخذت عنوان التأكيد على نضوج التسويات فهو كان قد أدلى بتصريحاته حول محاربة التكفيريين والإرهاب إثر لقائه برئيس الحكومة المكلّف، وكأنه يريد التأكيد على أن هزيمة السنّة استتبعت منطقا من التعاطي لا يمكنهم فيه مناقشة المفاهيم كما تطرحها إيران، حتى إذا كانت تمسّهم مباشرة.

من هنا فإن عنوان محاربة الإرهاب والتكفيريين، بما يعنيه من تأكيد صريح على استمرار حزب الله، الذي تدعمه إيران، في المشاركة في الحروب ضد السنّة في سوريا والعراق، وفي أماكن كثيرة غيرهما، لم يعد سياسة فريق واحد من اللبنانيين، بل اكتسب مع إطلاقه من بيت الوسط سمة الشرعية الوطنية العامة التي انضم إليها سنّة لبنان كذلك، والتي تطبع العهد.

مخاوف نفطية

رافق ظريف في زيارته وفد اقتصادي كبير مكوّن من 45 شخصا، وكان من اللافت كذلك تزامن هذه الزيارة مع شروع إيران في الخروج من عزلتها الاقتصادية إثر استثمار شركة توتال الفرنسية في قطاع النفط الإيراني بمبلغ مليارات دولار.

ما تريده إيران إذن في هذه الفترة هو تفعيل حالة خروجها من عزلتها الاقتصادية، والتي كانت قد شرعت فيها منذ فترة عبر نجاحها في إنجاز صفقات مع عدد من الدول الأوروبية بمليارات الدولارات، لذا لن يكون ممكنا أن نفهم الجانب الاقتصادي من زيارة ظريف خارج هذا التوجه.

والمجال الأكثر قابلية لكي تستثمر فيه إيران نفوذها اقتصاديا هو النفط اللبناني، الذي يبدو أنه هو ما يرسم خريطة الصراعات والنزعات والتفاهمات بين مختلف القوى في لبنان.

وكان رئيس المجلس النيابي نبيه بري، المعترض على وصول الجنرال عون إلى سدة الرئاسة، قد أنجز قبل فترة اتفاقا مع التيار الوطني الحر عبر الوزير جبران باسيل، سمّي بالاتفاق النفطي، كما أن الشروط التي يضعها من أجل مشاركته في الحكومة وتسهيل ولادتها لا تقتصر على ضرورة بقاء وزارة المال في عهدته، ولكن في تسليمه كامل إدارة الملف النفطي.

أوكل حزب الله أمر التفاوض الحكومي إلى نبيه بري، ما يؤكد على أن الملف النفطي والإمساك به هو مطلب إيراني يريد حزب الله أن تترك لرئيس المجلس النيابي إدارته. تاليا تكون زيارة ظريف في شقها الاقتصادي، الذي لم يتم الإعلان عن عناوين واضحة له، نوعا من استكمال مشروع استخدام العهد الرئاسي والتوافقات التي تمت حوله لصالح مشاريع التوسع الاقتصادي الإيراني.

الخطر الترامبي

روجت وسائل الإعلام الإيرانية للمرشح الجمهوري للانتخابات الأميركية الذي كان قد أعلن في العديد من المناسبات أنه معجب ببوتين وبتجربته، وأعلن في الوقت نفسه عن رغبته في نسف الاتفاق النووي مع إيران.

وكان التخوف الإيراني من المرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون يقوم على أنها لا يمكن أن تكون استمرارا حرفيا لمرحلة أوباما الذهبية، والتي منحتها أكثر مما كانت تتمناه في أقصى أحلامها مغالاة وجموحا.

جاء فوز ترامب ليعيد صياغة المعادلات في العالم كله وخصوصا في إيران فالرجل حليف روسيا في الأساس وليس حليف إيران، وإن حاولت الترويج أنه المرشح الذي كانت تتمنى فوزه.

هذا يعني أن النفوذ الإيراني في المنطقة وخصوصا في سوريا عرضة لمخاطر جمّة، تنذر بنسفه أمام الحلف الترامبي البوتيني والذي قد سيرسم، إن تحقق، ملامح المرحلة القادمة. الخريطة الجديدة التي يرسمها وصول ترامب إلى سدة الرئاسة الأميركية تقول إن تقاسم النفوذ لا يمكن أن يكون سوى بين الكبار وحسب، وروسيا هي اللاعب الأكبر في سوريا في حين تلعب كل الأطراف الأخرى أدوارا هامشية وثانوية.

ويتوقع أن يقوى الميل الأميركي للتدخل المباشر في عهد ترامب، ما يعني أن إيران لن تستطيع المحافظة على نفوذها الحالي والذي يشمل العديد من المناطق في سوريا بصيغته الحالية. وانعكاس هذه التحولات سيدفع بها إلى البحث عن مواقع أخرى لتمكين حضورها في المنطقة وانتزاع دور لها.

من هنا لا شك أن لبنان هو مجال النفوذ الأنسب والأقل كلفة والذي ستسعى إيران إلى استغلاله لمواجهة التحولات المتوقعة في عهد ترامب، والتي يرجّح أنها لا تصبّ لا في صالحها ولا في صالح من تواجهه، ولكن من المؤكد أن وضع إطلاق اليد الذي كان سائدا على عهد أوباما لن يستمر.

هكذا، فإن العهد الرئاسي الجديد في لبنان هو المجال الذي تريد إيران من خلال السيطرة عليه أن تخلق لنفسها فرصة التعامل مع المستجدات. هي تعمل على الاستفادة من حالة ضبط النزاع معها فيه لتحويله إلى مستعمرة بديلة عن احتلالها للعديد من المناطق السورية في ظل ما يمكن أن ينتجه الحلف البوتيني الترامبي.

> الملف النفطي والإمساك به مطلب إيراني يريد حزب الله أن يترك لرئيس المجلس النيابي إدارته.. وزيارة ظريف في شقها الاقتصادي، الذي لم يتم الإعلان عن عناوين واضحة له، نوع من استكمال مشروع استخدام العهد الرئاسي والتوافقات التي تمت حوله لصالح مشاريع التوسع الاقتصادي الإيراني

«الحكومة» تجدد التوتر بين الكتائب والقوات

❏ **بيروت** – يبدو التوتر دائما حاضرا في كل سياق يجمع الكتائب والقوات اللبنانية، رغم ما يجمعهما من ماض مشترك وانتماء لذات التحالف (14 آذار).

وعاد التوتر إلى السطح مؤخرا، على وقع المشاورات الجارية لتشكيل حكومة وفاق وطني.

واتهم حزب الكتائب القوات بمحاولة عزله، من خلال دعوتها لعدم إشراك من لم يصوت لميشال عون رئيسا للجمهورية في الحكومة الجديدة.

ونفى القيادي في القوات أنطوان زهرا في حوار أجرته معه فضائية "أم تي في" اللبنانية اتهامات الكتائب.

وقال زهرا إن كلام سامي الجميل عن أن الكتائب تتعرض لمحاولة عزل من شركائها المسيحيين وتحديدا القوات اللبنانية يعتبر تجنّيا في غير محله وهو أمر مرفوض، مشيرا إلى أن القوات هي من رفضت سياسة الفيتوات وبالطبع هي لا تضع فيتو على أحد.

وذكّر عضو كتلة القوات اللبنانية النائب أنطوان زهرا "الزميل" والنائب سامي الجميل "أننا نعيش اليوم في الـ2016 وليس العام 1975 وادّعاء المظلومية ومحاولة العزل لا يجدي نفعا ولن يعطي النتيجة التي أعطتها سياسة العزل عام 1975 والتي دفعت المسيحيين جميعا للتعاطف مع حزب "الكتائب اللبنانية"، لافتا إلى أن "زمن الأول تحول".

وأضاف، في تصريحاته التي نقلتها وكالة الأنباء اللبنانية، أن "القوات اللبنانية رفضت الظلم في السابق ومحاولات الإقصاء والعزل ولن توافق عليها اليوم بحقها أو بحق أيّ طرف آخر".

وردا على سؤال عن الحديث الذي يتداول عن أن القوات تريد ضمنا إقصاء الكتائب والمردة عن المشاركة في الحكومة من أجل أن تحصل على حصتهما، قال زهرا "هذا الكلام غير صحيح ومن يتكلم بهذا الشكل يعوّل على استفادة الكتائب في الحكومة السابقة من غياب القوات من أجل الحصول على حصة وزارية كبيرة"، لافتا إلى أن "الجميع يذكرون أن الكتائب دخل الحكومة بثلاثة وزراء ولكن عندما قرر الخروج منها خرج بوزير واحد فقط".

وأضاف "هناك البعض ممن يحلم بإعادة تشكيل حكومة مماثلة لحكومة الرئيس تمام سلام إلا أنه فات من يريد ذلك، إننا شركاء هذا العهد وحريصون على تسهيل انطلاقته وسنشارك في الحكومة بفعالية كما نستحق"، مشددا على أنه لا يستطيع خدمة من يحلمون بعكس هذا الاتجاه.

وختم زهرا بتأكيده على جدية الاتفاق بين القوات اللبنانية والتيار الوطني الحر بشأن الحصص الوازنة التي ستنالها القوات الشريك الأول في العهد في الحكومة العتيدة.

الهجمة الإيرانية على لبنان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ ملفتة، في هذه الأيام، الهجمة الإيرانية على لبنان. رافق الهجمة تهافت للنظام السوري على بلد خرج قبل سنوات عدة من تحت وصاية دمشق. هل هو حنين إلى تلك الأيّام التي لا يمكن أن تعود يوما؟

تعكس الهجمة الإيرانية رغبة في البحث عن انتصار ما بمجرد أن العماد ميشال عون صار رئيسا للجمهورية. كانت هناك، حتّى، رغبة إيرانية في حضور وزير الخارجية محمّد جواد ظريف جلسة انتخاب عون رئيسا. لكنّ جهات لبنانية استطاعت تفادي ذلك، مستخدمة اللباقة. اكتفى ظريف بالمجيء إلى بيروت لاحقا للتهنئة بانتخاب رئيس جديد للجمهورية، بعدما بقي الموقع شاغرا سنتين ونصف سنة بسبب ضغوط إيرانية ولا شيء آخر. هل على لبنان أن يفرح بإفراج إيران عن الرئاسة أخيرا؟

كان يمكن لزيارة ظريف أن تثير الارتياح لو ترافقت مع تغيير في نظرة إيران إلى لبنان بصفة كونه دولة عربية سيّدة مستقلة تقف على مسافة واحدة من كلّ دول المنطقة، لكنه دولة عربية أوّلا. لبنان لديه مصالح مع العرب قبل أيّ شيء آخر، خصوصا مع دول الخليج. من يعمل على ضرب هذه المصالح، يخدم عملية نشر الفقر والبؤس في لبنان من أجل تسهيل عملية وضع اليد عليه بعد تهجير أكبر عدد من مواطنيه، خصوصا المسيحيين.

لذلك، يمكن القول إنّه حسنا فعل الرئيس المنتخب عندما ذكّر في خطاب القسم أن لبنان ملتزم ميثاق جامعة الدول العربية والقوانين الدولية، أي أنّه ملتزم في طبيعة الحال

> إن الإفراج عن لبنان، في انتظار اليوم الذي لا يعود فيه سلاح غير شرعي على أراضيه، أكان لـ«حزب الله» أو غير «حزب الله» من منظمات فلسطينية تابعة للأجهزة السورية، سيصب في نهاية المطاف في مصلحة إيران وفي مصلحة انصرافها إلى الاهتمام بالإيرانيين ورفاههم

بالمحكمة الدولية التي تنظر في قضية اغتيال الرئيس رفيق الحريري. هذه المحكمة، هي في نهاية المطاف، نتاج قرار صادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

بكلام أوضح، لا معنى لأي زيارة يقوم بها مسؤول إيراني من أيّ مستوى كان للبنان من دون إعادة نظر إيرانية في سياسة لم تجلب سوى الويلات على البلد الذي عانى طويلا من السلاح الفلسطيني وسلاح الميليشيات متنوعة المشارب والذي لا يزال يعاني من السلاح الإيراني، أي سلاح "حزب الله".

هذا الواقع يقود إلى التساؤل هل في استطاعة إيران أن تكون دولة طبيعية وأن تنطلق من الإفراج عن الانتخابات الرئاسية اللبنانية كي تعيد النظر في تعاطيها مع البلد ونظرتها إليه؟

لدى طرح الموضوع المرتبط بعلاقة لبنان بإيران، فإنّ الميل الطبيعي هو إلى التشاؤم. يعود الميل إلى التشاؤم إلى طبيعة النظام الإيراني القائمة على تصدير أزماته الداخلية إلى الخارج أوّلا ثمّ إلى اعتقاده أنّ إيران قوة عظمى تستطيع لعب دور مهيمن في المنطقة. يدلّ على ذلك التورط الإيراني في كلّ ما من شأنه إثارة الغرائز المذهبية في كلّ دولة عربية من دول الخليج، إضافة إلى دول المشرق العربي. ماذا فعلت إيران وما زالت تفعل في البحرين؟ ماذا فعلت في الكويت؟ ماذا تفعل في اليمن؟ ماذا تفعل في العراق؟ ماذا تفعل في سوريا؟ ماذا تفعل في لبنان؟ من تشجّع وتدعم في فلسطين؟

إذا أخذنا كل بلد من هذه البلدان وحده، نجد أن التدخل الإيراني يلعب دوره في تأجيج الصراعات المذهبية والطائفية وخلق بؤر للتوتر في حين أنّه كان في استطاعة إيران منذ العام 1979، تاريخ نجاح الثورة على الشاه، التصرف بشكل مختلف يساعد في تكريس الاستقرار في المنطقة كلّها ونشر الازدهار فيها.

مؤسف أن شيئا من ذلك لم يحدث. على العكس من ذلك، استثمرت إيران في كلّ ما من شأنه تخويف جيرانها وحتّى الدول البعيدة عنها مثل لبنان. لا يحتاج لبنان إلى دعم من دولة يفتخر المسؤولون فيها بأنّهم صاروا يسيطرون على أربع عواصم عربية هي بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء.

ما هذه السيطرة التي لم تؤد سوى إلى خراب بغداد ودمشق بعد تغيير طبيعة المدينتين وإلى حصار صنعاء وجعل بيروت تعاني يوميا من توقف أيّ مشروع إنمائي فيها منذ اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري ورفاقه في الرابع عشر من شباط - فبراير 2005. لم يعد سرّا من اغتال رفيق الحريري ومن نفذ الاغتيالات الأخرى بهدف إخضاع لبنان ونقله من الوصاية السورية–

جلسة غير مريحة

الإيرانية إلى الوصاية الإيرانية.

كان يمكن لزيارة ظريف لبيروت توفير فرصة كي تثبت إيران أنّ لديها ما تقدّمه للبنان باستثناء المتاجرة به من أجل عقد صفقات مع "الشيطان الأكبر" ولاحقا مع "الشيطان الأصغر" الإسرائيلي.

ليس سرّا أن ورقة رئاسة الجمهورية من الأوراق التي استخدمتها إيران طوال سنتين ونصف سنة من أجل القول إنّها قوة إقليمية لا يمكن تجاوزها في أيّ بلد من بلدان المنطقة، خصوصا في لبنان. أكثر من ذلك، أرادت القول إنّ لبنان ليس سوى محميّة إيرانية وإنّها قادرة على التفاوض مع الولايات المتحدة في شأنه.

حسنا، أفرجت إيران عن رئاسة الجمهورية لأسباب تعود إلى تطور العلاقة بينها وبين "الشيطان الأكبر". يبدو "الشيطان الأكبر" مستعدا للسماح لإيران بممارسة كلّ نشاطاتها العدوانية في المنطقة حماية للاتفاق النووي الذي يعتبره باراك أوباما الإنجاز الوحيد لإدارته في مجال السياسة الخارجية.

هل تتغيّر الأمور في عهد دونالد ترامب الذي لا يؤمن بالاتفاق النووي مع إيران ويعتبره "سيّئا"؟

جاء ظريف إلى بيروت مستقويا بأن الميليشيات الإيرانية في حلب ومحيطها تتحرّك بغطاء جوي روسي، فيما تتحرّك الميليشيات التابعة لإيران في العراق، المسمّاة "الحشد الشعبي" بغطاء جوّي أميركي.

خلاصة الأمر أن إيران دخلت في شهر عسل مع "الشيطان الأكبر" وهي تستقوي به حاليا. يمكن أن تتغيّر الأمور بعد خروج باراك أوباما من البيت الأبيض في غضون شهرين. لكنّ ما لا بدّ من الاعتراف به أن ظريف جاء إلى لبنان من موقع قوّة عائد أساسا إلى الرغبة الأميركية في عدم إزعاج إيران. هل يكمل معروفه مع لبنان الذي كان دائما صديقا للولايات المتحدة والسياسة الغربية فيفرج عنه مثلما أفرج عن الرئاسة؟

مثل هذا التطور على صعيد العلاقة مع لبنان، حيث إصرار شديد من رئيس الجمهورية ومن رئيس الوزراء المكلّف على العلاقات مع الدول العربية الأخرى، خصوصا تلك التي يتشكل منها مجلس التعاون لدول الخليج العربية، سيساهم إلى حدّ كبير في تحسين صورة إيران لدى اللبنانيين عموما.

بكلام أوضح، إن مثل هذا الإفراج الإيراني عن لبنان الذي يمكن أن يبدأ بسحب مقاتلي "حزب الله" من الأراضي السورية ووقف الحزب تهديده للعرب الذين يزورون لبنان، سيشكل أفضل هدية للعهد الجديد. سيظهر ذلك قبل كلّ شيء أن إيران لا تستخدم علاقتها الطيّبة مع الولايات المتحدة والتي توجت بالغطاء الجوي الأميركي لـ"الحشد الشعبي" في معركة الموصل، للتدمير فقط. على العكس من ذلك، إن الإفراج عن لبنان، في انتظار اليوم الذي لا يعود فيه سلاح غير شرعي على أراضيه، أكان لـ"حزب الله" أو غير "حزب الله" من منظمات فلسطينية تابعة للأجهزة السورية، سيصبّ في نهاية المطاف في مصلحة إيران وفي مصلحة انصرافها إلى الاهتمام بالإيرانيين ورفاههم. سيكون ذلك دليلا على أنّها دولة طبيعية تقف على مسافة واحدة من جميع اللبنانيين وليست طرفا في كلّ النزاعات الإقليمية من دون استثناء.

هباري.. «ورد الموصل» في شوارع الرقة

علي العائد
كاتب سوري

❑ لبست مقاتلة كردية تنتمي إلى "وحدات حماية الشعب" هبرية موصلية، وهي بكامل لباسها الميداني، وبندقيتها على كتفها. وتداولت وسائل إعلام، وناشطون على فيسبوك، الصورة في دلالة لا تخلو من البروباغندا التي تفرحنا بألوان الهبرية، وتذكرنا بالمصير المشترك للعرب والأكراد حين يكون العدوّ المشترك هو داعش، وحين يتعاون الأكراد السوريون مع العربي في تحرير مجتمعاتهم، بل ويتقدمون العربي في التضحية ليكونوا جميعا أحرارا من النظام السوري، ومن داعش وإخوانه.

لكنّ الناشطين الأكراد أنفسهم اختلفوا على مسألة تدخلهم في "تحرير" الرقة، ففي الموصل هنالك ادعاء بحق "تاريخي" للأكراد في الموصل، أما في الرقة، محافظة ومدينة، فلا أساس تاريخيا، أو جغرافيا، لمثل هذه الادعاء. ثم إن مدينة الرقة ليست من ضمن خرائط "روج آفا"، فلماذا يضحي المقاتلون الأكراد، الرجال والنساء، بحياتهم من أجل أرض "لا تخصهم"؟. والعرب، حسب الناشطين، أولى باستعادة مدينتهم، وواجب التضحية يقع على أكتافهم، على الأقل حتى لا يزيد سوء التفاهم بين الطرفين سوءا.

البروباغندا تأتي من تكرار استخدام ثيمة المرأة المقاتلة، الشابة، الجميلة، الأم التي ترضع طفلها وهي تعتمد على بندقيتها، والمقاتلة التي ترفع علم "وحدات حماية الشعب"، وتتقدم الرجال، الرجال المقاتلين الذين قلما يظهرون في الصور، قبل المعارك، أو بعدها.

ذلك أولا، أما ثانيا فإن استخدام الهبرية للربط بين الموصل والرقة يحمل دلالة رمزية فوق واقعية، كون الموصل تتصل تاريخيا بحلب، وليس بالرقة، عبر علاقات تجارية، وسياسية، جذورها أبعد من أيام "حلف بغداد"، الذي لم يكن، وأبعد من تأييد تجار "حزب الشعب" السوري في خمسينات القرن الماضي، وتأييد تجار الموصل للحلف الذي وُلد ميتا.

والهباري، ومفردها هبرية، غطاء للرأس لا يشبه الحجاب الشرعي، ترتديه نساء المنطقة من الموصل إلى ريف حلب الشرقي، مرورا بأرياف دير الزور، وأرياف الحسكة. وللمرأة الكردية في المنطقة غطاء رأس يشبهه بالألوان الزاهية فقط. الهبرية تغطي ثلثي شعر المرأة، فيظهر منه السلافة و"الكذلة" المبرومة والمتصلة بجديلتين تتدليان على الصدر في الجانبين.

وألوان الهباري تختلف حسب سنّ المرأة من الأحمر الفاقع على مساحة سوداء، إلى الأسود، أو الأزرق، المناسب للنساء ما فوق سن الأربعين (كذا)، ومنها ما يجمع الأحمر والأصفر والأبيض، الذي يسمى (خد أسعد). وتنسب "الهباري" إلى العراق (هباري عراقية، أو موصليّة)، على الرغم من أن صناعتها كانت تجري في حلب.

وللهباري أنواع عدة، منها (رقاب الحمام، نثر الحنة، سنون الجرجر، الوارد، ورد الموصل "دق الموصل"، البرقان)، أما ألوانها فمنها الأحمر، ومنها الأزرق، ومنها الملوّن بالأسود والأحمر، أو الأسود والأبيض، والأبيض والأسود والأحمر المسمّى (وارد).

في زمن الجينز، والحجاب السلفي، ثم البرقع الداعشي، قلّ استخدام الهباري، إلا في الأعراس والحفلات التراثية، إلى أن اختفت تماما من حياة الشارع منذ سيطرة داعش على الرقة، وأرياف الجزيرة، ولا نعلم إن كانت المرأة الموصلية ظلت تستخدم الهباري حتى ما قبل سيطرة داعش عليها.

تحرير الرقة وتحرير الموصل، بالأحرى السيطرة عليهما، مسألة وقت لن يطول. المهم في الأمر، بالنسبة إلى أهالي الموصل، وإلى أهالي الرقة، هو تأثير المعركة عليهما، وتأثير ما بعد المعركة، بمعنى كيف سيعيشون في ظل السيطرة الجديدة. أما إن كان النساء سيرتدين الهبرية، ويشعلن السيجارة في الشارع، تعبيرا عن الحرية المستعادة، فهذا لعب بعواطف الناس في زمن شح الخبز. ولا أحد يشك بأن النظام السوري سيفعل ذلك، إن استعاد هو السيطرة على المدينة، ليعود بنا إلى ما قبل ربيع 2013 في الرقة، وما قبل 2011 في عموم سوريا، وكأن دماء مئات الآلاف من السوريين كانت فداء لحرية الهبرية والسيجارة والذقن الحليقة!

مع داعش، الهبرية شعر وخطابة، لا يفيدان أمام الانغماسيين والانتحاريين. ومع البروباغندا، تبدو الهبرية حصان طروادة أكثر منها حنينا إلى اللون والجمال في أرض كالحة يخترقها أهمّ نهرين في غرب آسيا كلها.

استطاع الإعلام الكردي، الذكي فعلا، إقناع الإعلام العالمي بأحقية الأكراد بتصدر المشهد المستقبلي في المنطقة، خاصة أن النموذج المقابل هو الشعر الأشعث لمقاتلي داعش الخارجين من كهوف التاريخ بهيئاتهم، والقابعين في نقطة أبعد حتى من عصر النبي محمد بعقولهم.

تصدير الإعلام الكردي للمرأة الكردية بهذا الشكل كان "ضربة معلّم"، في الإعلام على الأقل، لكنه في السياسة شيء آخر، حتى لو تم رفع أعلام كردية في البرلمان الأوروبي في بروكسل، حيث للدول خياراتها الواقعية. فتلك الدول تفضل التعامل مع دول قائمة، حتى لو كانت نظام الأسد في دمشق، دون أن يمنع ذلك تلك الدول من تمرير "مؤامرات صغيرة" بالتعامل مع أحزاب مثل "حزب الاتحاد الديمقراطي"، الكردي، أو داعش نفسه،

> الهباري، والألوان، ستأتي، حلبية، أو موصلية، وفقدان الثقة بين العرب والأكراد سيزول إن كان للعقلاء مكان في المشهد المستقبلي يزيح تعبير «بواقي الدجاج» من أذهان بعض الأكراد، كوصف للعرب، ويوضح للعرب أن الأكراد شعب يريد تشارك الحرية والتنمية مع شعوب المنطقة

هوية وطن

بينما تبيّض ضميرها بتقديم سلة غذاء للاجئ، أو أطراف صناعية لضحايا البراميل المتفجرة والألغام.

الهباري، والألوان، ستأتي، حلبية، أو موصلية، وفقدان الثقة بين العرب والأكراد سيزول إن كان للعقلاء مكان في المشهد المستقبلي يزيح تعبير "بواقي الدجاج" من أذهان بعض الأكراد، كوصف للعرب، ويوضح للعرب أن الأكراد شعب يريد تشارك الحرية والتنمية مع شعوب المنطقة، في سوريا والعراق وتركيا وإيران. عندها، لن ينظر الكردي لابن الجزيرة كـ"مستوطن"، ولن ينظر العربي إلى الكردي كانفصالي يريد تقسيم المقسم من جغرافيا سايكس بيكو.

وعندها، قد يكون للشاعرية مكان، إذا "عتّبَ" عربي لكردية، أو كردي لعربية (لَمَ لا؟):

شطف جوز الهباري وراح ورّاد/ منسِّف جعوده على المتنين ورّاد

يا ريت اليحرم الرايد من الرّاد/ يموت ولا يصير لوه ضنى.

دونالد ترامب وعبدالفتاح السيسي

أسعد البصري
كاتب عراقي

❑ الولايات المتحدة مقبلة على مشكلة داخلية، من غير المعقول أن ترامب لن ينفّذ شيئا مما قال. لقد حرّض على العنصرية داخل بلاده، المهاجرون المكسيك والسود واليهود والمسلمون في قلق. الشرق الأوسط ينتظر الكثير، فهناك فلاديمير بوتين.

سيكون البيت الأبيض بين خيارين، إمّا أن يصدّر الأزمة الداخلية إلى الخارج، أو يصدّر الأزمة الخارجية إلى الداخل. نحن أمام رئيس فاز باسم الكراهية والعنصرية. أميركا بالغت في كونها بلدا لكل الثقافات. الريف والعامل والعاطل الأبيض يرى أنه في منافسة شرسة مع غرباء. هذا تناقض بنيوي، وستكون هناك مشاكل بكل تأكيد.

داعش ساهم في صعود ترامب، فقد حرّض العالم على الكراهية. إن الحديث عن داعش نشر الخوف وأصاب العالم بالهلع. انظروا إلى المطارات حول العالم، صرنا ننزعج من السفر بسبب ما نرى ونشاهد من خوف عالمي. منذ الحادي عشر من سبتمبر 2001 وأميركا تعاني نفسيا. كل تلك الأفلام عن بطولة رامبو والكاوبوي والسوبرمان اليانكي الأميركي، المبالغات حول الأميركي قاهر العالم انهارت مع برجي التجارة في نيويورك.

صدمة كبيرة سببها أسامة بن لادن. لقد لاحقوه في كل مكان حتى قتلوه، وبقيت أسطورته الرهيبة رغم إلقاء جثته إلى سمك القرش بأعماق المحيط. الأميركي الأبيض لم يشف ولم يفهم كيف أن ملياردير سعوديا يفعل بهم ذلك؟ كيف يفعل بنفسه ذلك؟ كيف أن 19 مسلما يقومون بمغامرة لا مثيل لها في التاريخ ؟ كيف أن 15 من هؤلاء الخاطفين سعوديون؟ الدولة الصديقة التي تحالفوا معها لقرن كامل ودافعوا عنها في حرب الخليج 1991، كيف أن حفنة من مواطنيها الميسورين فعلوا بها أمرا لم يفعله الياباني ولا الروسي ولا اللاتيني ولا الأسود؟

مَن يكون هؤلاء المسلمون؟ ما هذا الدين؟ ماذا يقول محمد؟ ما هي تعاليم الشيخ ابن عبدالوهاب؟ لقد صدموا أميركا في الصميم. ضربوها في كبريائها. إن الحادي عشر من سبتمبر صدمة حطمت الشعور الأميركي الجميل بالتفوق. تلك المتعة بأفلام المغامرات الهوليودية ذهبت إلى الأبد.

ثم ظهر داعش والبغدادي والانتحاريون. لا يستطيع الأميركي النزول على الأرض، إنّ ضربهم بالطائرات الحديثة لا يرضي الشعب الأميركي. يريدون النزول الشجاع على الأرض وذبحهم بالسكاكين، يريدون أن يروا شجاعة الأميركي الحقيقية. تلك النشوة الغامضة التي تبعثها المبارزة.

الإعلام يحدثهم عن داعش ليل نهار، إصدارات داعش الانتحارية والخوف والصدمة تصاعدت في أوربا وأميركا إلى درجة انتشار التطرّف والعنصرية والكراهية. إن فكرة داعش مؤذية لمشاعر المسلم نفسه، فكيف هي على الأبيض الأميركي؟ الأمر الذي أثار ذكريات الحرب الأهلية الأميركية، مشكلة السود والأجانب. داعش تخريب للعالم حقا.

إن تدخل فلاديمير بوتين يعتبر إنقاذا لأميركا، فروسيا غير مصابة بعقدة الحادي عشر من سبتمبر. لقد بالغت أميركا في احتقار القيم والبشر. إن رسالتها لم تعد واضحة في التاريخ، وأكبر دليل على ذلك هو أن حلفاءها ما عادوا يفهمونها وتصدعت التحالفات التاريخية السياسية.

تحالف أردوغان مع روسيا مؤخرا رغم أن تركيا عضو في حلف الناتو، وجنوح الرئيس السيسي إلى الأسد والشيعة. الأشياء بدأت تكشف عن استحالة قيام إمبراطورية بمفردها، لا بد من شركاء في إدارة هذا العالم، لا يمكن إيقاف التاريخ.

هناك 40 مليون أسود في أميركا، عدد كبير منهم قلق من صعود ترامب، فهو يمثل رغبة الرجل الأبيض المخيف وغضبه في بلد يبيح الاتجار بالأسلحة. يبدو أن الرجل الأبيض لم يكن سعيدا برؤية مهاجر أسود يحصل على تعليم أميركي رفيع ويصبح رئيسا للولايات المتحدة كما حدث مع باراك أوباما.

ما معنى قول ترامب سنعيد أميركا عظيمة مرة أخرى؟ هذا شعار لو تفحّصناه لظهر معناه العنصري. أي أن أميركا قد غاصت في الانحطاط إلى درجة أن يحكمها رئيس أفريقي. هل نستبعد حدوث أعمال شغب، أو احتجاجات للسود خصوصا، ممكن جدا لأعمال العنف أن تتصاعد.

في السياسة الخارجية الشرق الأوسط مثلا، أعتقد أن ترامب سيتفاهم مع روسيا فهو يتفق مع رجل كعبدالفتاح السيسي لهذا كان أول اتصال تلقاه بعد فوزه بالرئاسة من الرئيس المصري. دونالد رجل أعمال، يريد رجالا للقيام بمهمات معينة كمكافحة الإرهاب مثلا.

بالنسبة إلى إيران الأمر مختلف. إيران تحظى بعناية من روسيا والصين. الرئيس الروسي وصف السياسة الإيرانية بالدهاء، ويقول إن الإيرانيين قد حوّلوا السياسة إلى فن، والشعب الفارسي له تاريخ وثقافة عظيمة. وقال صراحة إنه يمكن أن يتوسط في حال سوء تفاهم مع أميركا، لكنه أبدا لن يسمح بضرب إيران. وقال الخلاف حول المفاعلات النووية هو خلاف حول مفاعلات نحن بنيناها بأيدينا لإيران.

بالنسبة إلى السعودية الأمر غير مفهوم، على المملكة تغيير شيء ما في إعلامها لتوضيح وجهة نظرها أكثر. إن انتشار داعش ضرب الإسلام كله في الصميم، خصوصا الإسلام السنّي، وخصوصا الإسلام السلفي، وخصوصا الوهابية. السعودية في موقف صعب فالبلاد تريد التقدم إلى الأمام ولكن تاريخها يجرها أحيانا إلى الخلف.

إيران لا تعطي السعودية فرصة للخروج نحو الحداثة، لدى طهران ثأر وتنافس مع السعودية. حاليا الوضع متأزم بين البلدين، لاحظنا ذلك من منع الحجيج الإيرانيين هذا العام، ومن اللغة التي استخدمها المرشد الأعلى، الهجومات الخطابية لحسن نصرالله.

تود إيران الخروج من الحصار المضروب عليها، فلا يمكن حصار إيران إلى الأبد، وروسيا والصين تجدان الحرب التي تشنها دول الغاز الطبيعي على سوريا هي حرب للسيطرة على الطاقة والمضايق والممرات البحرية. الصين مثلا تحتاج ممرات مائية للتسويق، وروسيا لن تسمح بعزلها عن أوروبا بأنبوب غاز عبر تركيا والمتوسط. هذا سيكون تمهيدا لحصار روسيا وعزل الصين.

لقد زرعت طهران نفسها في مصالح روسيا والصين باسم الشيعة والإسلام الشيعي. العراق وضعه محسوم فهو مكبّل باتفاقيات مع أميركا. الحكومة العراقية حليف أميركي لكن الشيعة قلوبهم مع المشروع الروسي والإيراني لأنهم لا يثقون بأميركا كثيرا، فهي حليف قديم لخصومهم، لهذا فإن العراق هو ممرّ الحوار الروسي الأميركي في المنطقة، والعراق هو رئة إيران الاقتصادية حاليا.

لهذا ترى السنّة يقاومون، هناك حرب في العراق وسوريا واليمن. لا يمكن ترك الشيعة ينجحون في مشروعهم. أميركا قد تعطي فرصة لتأخير المشروع الإيراني الروسي، ولكن أيضا هناك سقف زمني ومشكلة الإرهاب والمهاجرين ومسألة استقرار العالم.

لم ينجح السنّة في إسقاط بشار الأسد، ولهذا ستتم (فلفلة) الميليشيات المسلحة السنية. لا توجد حاجة ولا رغبة بهم، فإضافة لكونهم فشلوا في تحقيق الغاية منهم بعد تدخل الجيش الروسي، فإنهم يشكلون خطرا باجتماع التطرّف والسلاح فيهم.

هل المستقبل لإيران؟ هل المستقبل لتركيا؟ الوضع معقد حقا. اللاعب التركي نجح في جرّ السعودية إلى جانبه في الصراع الإقليمي، بينما توترت العلاقات بين السعودية ومصر، فالمصريون يَرَوْن أن إيران وبشار الأسد أقلّ خطرا من تركيا والإخوان المسلمين والإرهاب، وهنا أمام الرئيس الجديد عدة حلول لن نعرفها حتى بداية العام القادم حيث يؤدي الرئيس دونالد ترامب القسم في 20 يناير.

الخلاف بين مصر والسعودية حقيقي وليس عرضيا كما يشاع. السيسي أنفق عشرات المليارات من الدولارات لتوسعة قناة السويس، وهو مشروع عملاق حقا يهدف إلى عودة الخطوط التجارية القديمة، وإنعاش مكانة مصر الاقتصادية مستقبلا.

مصر تريد رفع المردود السنوي للبلاد من الطريق التجاري البحري عبر البحر الأحمر وباب المندب. الخلاف هو أن العمليات العسكرية في اليمن قد طالت والخسائر المصرية بالمليارات، لأن الطريق غير آمن ويقع في منطقة حرب.

السيسي يرى أن كلاً من ليبيا وسوريا قد تحوّلتا إلى دولتين فاشلتين ومصدر خطر على الأمن المصري، ويخشى انهيار الوضع في اليمن أيضا إلى درجة تهدد الممرات البحرية، خصوصا وأن الحوثيين قد بدأوا يطلقون الصواريخ على السفن.

يلمّح السيسي باستقبال بشار الأسد وبطلب البترول من إيران، إنه يريد من وراء ذلك وقف العمليات العسكرية في اليمن، والتوقف عن دعم الإخوان المسلمين في سوريا، وبقاء النظام السوري لضمان وحدة سوريا. مصر ترى بأن الدماغ المصري لا يستوعب الصراع ضد الإرهاب السنّي وضد إيران في وقت واحد.

خلال أيام قليلة سمعنا أن كلاً من العميد عادل رجائي، قائد الفرقة التاسعة مدرعات، والمقدم رامي حسنين قائد كتيبة الصاعقة بشمال سيناء، والعميد هشام أبو العزم من قوات شمال سيناء، قد لقوا حتفهم على أيدي إرهابيين. مصر في حالة حرب حقيقية.

الرئيس السيسي كان واضحا منذ البداية، فقد بدأ عهده بالراقصة المصرية شاهيناز ترقص نصف عارية على نشيد الدواعش "صليل الصوارم" ساخرة بجسدها الجميل من الحور العين، وفي تلك الفترة تم منح شهادة تقدير للراقصة المصرية الشهيرة فيفي عبده.

> المبالغة في الجشع والمكر قد تؤدي إلى نتائج غير محسوبة. القلق العالمي الذي خلقه الإرهاب ومشاكل الهجرة والتآمر السياسي، كل ذلك تراكم وأدى إلى صعود رئيس أميركي عنصري وغاضب مثل دونالد ترامب

والرئيس دونالد ترامب بدأ حملته الانتخابية بتسجيل منتشر مع عارضتين عاريتين بملابسهما الداخلية، ويصوّر معهما صورا بإشارات جنسية، حتى أنه وضع يده علنا على لباس إحداهن الداخلي الأبيض. كلا الرجلين أراد أن يكون واضحا في حربه على الثقافة الدينية بكل أشكالها. ولهذا السبب كان أول اتصال تلقاه ترامب للتهنئة بالفوز الانتخابي من الرئيس السيسي، وقد وجّه له دعوة لزيارة مصر في أقرب فرصة.

وصف تشومكسي ترامب بأنه "حصيلة مجتمع متداع وماضٍ بقوة نحو الانهيار" يبدو ترامب كبركان غاضبٍ يدعمه عدد كبير من الصقور وجنرالات الجيش الأميركي. لهذا قال فلاديمير بوتين منذ فترة قريبة بأنه لا يوجد شك في القيم الديمقراطية للولايات المتحدة، ولكننا لنتعرف على شعب ما علينا العودة إلى تاريخه، والأميركان تاريخهم مرتبط بحكايتين، الأولى هي إبادة السكان الأصليين الهنود الحمر، والثانية هي تجارة العبيد واستعباد السود، ومع كل ما يقال عن ستالين إلا أنني متأكد بأنه ما كان ليستخدم السلاح النووي على هيروشيما وناكازاكي خصوصا عام 1945 لأن اليابان كانت مهزومة وتبحث عن الاستسلام.

ويقول بوتين إن الاختلاف بين الروسي والأميركي هو جوهري وتاريخي، فالروسي ينظر إلى العالم بعاطفة خاصة هي عاطفة التاريخ الروسي، بينما ينظر الأميركي بطريقة مختلفة تماما. ولهذا نحن بحاجة إلى المجتمع الدولي وقوانينه لأن أميركا شعرت في النهاية أنها لا تستطيع التحكم بالعالم بمفردها، وأنه لا مناص من مشاركة الآخرين.

بعد خمسين سنة من الآن لن يتذكر أحد شيئا عن داعش. سوى أنك إذا آذيت المسلمين كثيرا فإنهم قد يصابون بالجنون ويفجّرون أنفسهم، هناك حدود يجب التوقف عندها.

تحدث الرئيس السيسي في خطابه الأخير عن مشكلة "التآمر السياسي" واعتقد أن العبث السياسي والجشع هما السبب في احتلال العراق مثلا. البريطانيون مثلا بدأوا يقولون كان ذلك خطأ. مؤامرات دولة قطر وتركيا الإخوانية السابقة لم يكن لها أي داع، وما حدث في سوريا وليبيا لم يكن له داع أيضاً.

الذي حدث هو اللعب بالجهاد والذاكرة لأغراض سياسية ومصالح، ثم فجأة انفجر شيء خارج السيطرة ومختلف ومتوحش. هناك هوية غامضة عند المسلمين، المفروض تركها تنام بسلام دون تحريض وتحريك، وترك الشعوب تعيش بأمان وهدوء. إن المبالغة في الجشع والمكر قد تؤدي إلى نتائج غير محسوبة. القلق العالمي الذي خلقه الإرهاب ومشاكل الهجرة والتآمر السياسي، كل ذلك تراكم وأدى إلى صعود رئيس أميركي عنصري وغاضب مثل دونالد ترامب.

اللعبة عندكم الآن

العرب على طاولة قمار ترامب

ابراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ جميع ما اكتسبه الرئيس الأميركي الجديد دونالد ترامب من خبرة عبر نصف قرن من الزمان كان في إدارة البارات ونوادي الخمر والقمار وتجارة العقار، وبناء الفنادق الباذخة بأقل ما يمكن من كلفة. وأثبت شطارته الفائقة، على عادة جميع المقاولين في العالم، في تحقيق أقصى خفض ممكن للتكاليف، حتى لو كان ذلك عن طريق استغلال الثغرات ونقاط الضعف في القوانين، والإفلات من ديون الحكومة والمقرضين.

بعابرة أوضح، إن الرئيس الأميركي الجديد خبير قمار ورجل صفقات تجارية واحتساب كلفة وربح. أي أنه لن يلجأ إلى التحذلق والتصنع والإكثار من الحديث عن القيم والأخلاق والشرف وحقوق الإنسان وحرية الشعوب، ولن يَعد بشيء لا ينوي الوفاء به.

ترامب سيجلس على طاولة المفاوضات المستديرة أمام أيّ زعيم يريد أن يعقد معه اتفاقية من أيّ نوع، فيبادر إلى فتح ملفاته، فورا، دون مجاملات منافقة، ودون سؤال عن الصحة والأهل والمزاج، ثم يمسك بقلمه ويبدأ بالكلام "كم تدفع لتشتري، وكم تطلب لتبيع؟" هذا هو ملخّص فهمه للسياسة الخارجية، والذي لا يعرف غيره، ولا يجيد سواه.

ولقد أخطأ العرب بمعاداته، وبترويج استطلاعات الرأي المغشوشة التي ظلت تؤكد للناس أن على ترامب أن يعلن انسحابه من السباق، بعد أن تأكدت خسارته فيه، دون ريب. وكأن أشقاءنا العرب كانوا يُحبّون أن تفوز هيلاري التي خططت ونفذت أسوأ سياسات إدارة أوباما في ليبيا وسوريا والعراق، ولن تفعل إلا ما تعلّمته واختزنته من الكذب والنفاق والغش والخداع.

وبعض الذي أسقطها ضحكاتُها الصبيانية الرخيصة في المناظرات، وإصرارها الدائم، وإلحاحها الممل على علاقات منافسها النسائية التي تقول إنها "لا تتفق مع الأخلاق والقيم التي ينبغي أن يتحلى بها رئيس لأميركا"، ناسية سجل زوجها الشبق، ومغامراته الجنسية الفاضحة التي تساهلت هي معه فيها، واعتبرتها شيئا عاديا لا أهمية له ولا يتطلب غضبا ولا طلب طلاق.

وحتى بعد أن برأها الـ"أف.بي.آي" من الفعل الجنائي في محوها للآلاف من رسائلها الرسمية على عنوانها البريدي الإلكتروني الخاص فقد وجد فيها كثير من الأميركيين احتيالا وكذبا وفعلا فاضحا لا يليق بوزيرة خارجية دولة عظمى.

لقد فاز ترامب بأصوات ستة وخمسين مليونا وأربعمئة وخمسة وثلاثين ألفا وثلاثمئة وتسعين صوتا. وإذا أضيف إليها ربعُ هذا العدد من الناخبين الذين تعذّر عليهم الاقتراع، مع ملايين أخرى آمنت بتفوق كلينتون في استطلاعات الرأي الخادعة فقررت مقاطعة الانتخاب، فإن ترامب يكون قد فاز بثقة مئة مليون ناخب أميركي، على الأقل، دون أن يرشو ناخبا واحدا، أو رئيس قبيلة، أو حزب، أو ميليشيا، أو مرجعية، ولم يقدم قطع أراض "فضائية"، ولم يسمح لأحد بعمولة أو بصفقة أو مقاولة أو بمشروع وهمي، مقابل "انتخبوني".

أما الذي جعل الشعب الأميركي يُفضل القادم من خارج الأسر الحاكمة في واشنطن واحدا مقامرا، مقاولا ومدير صالات رقص وخمر ونساء وفنادق قمار، وصاحب سجل طويل في ملاحقة الجميلات، فهو خراب الطبقة السياسية التقليدية الأميركية وفسادُها ونفاقها.

على امتداد ستة وثلاثين عاما، من عام 1981، عهد رونالد ريغان (ثماني سنوات)، ثم نائبه جورج بوش الأب، ثم كلينتون (ثماني سنوات)، ثم جورج بوش الابن (ثماني سنوات)، وأوباما (ثماني سنوات)، تكدس في البيت الأبيض، وفي الكونغرس بمجلسيه، مترهّلون ومنافقون وفاسدون وأغبياء مزمنون ودائمون يورثونها لأبنائهم وأحفادهم، الأمر الذي جعل الأميركيين يقرفون منهم ومن ألاعيبهم ومماحكاتهم ومهاتراتهم، ويقلبون الطاولة، دفعة واحدة، على جميع أعضاء نادي السياسيين المحترفين تجّار الشعارات، والأخلاق، والقيم الكاذبة، إلى الحدّ الذي لم يتعب فيه دونالد ترامب في تخطي جدار الـ270 من أصوات المجمع الانتخابي المطلوبة للفوز، بل حصد، وبسهولة 288 صوتا، مع كسبه لأصوات 30 ولاية. (أتته الرئاسة منقادةً إليه تُجرر أذيالها، فلم تكُ تصلح إلا لهُ، ولم يكُ يصلح إلا لها)، مع الاعتذار لأبي العتاهية.

فأوباما الذي لم تصادف أميركا أسوأ منه ولا أكذب، ولا أكثر خمولا وكسلا وقلة رغبة في العمل الجاد، فاز في الدورة الأولى بكذبة "نعم نستطيع . وفي الدورة الثانية فاز بوعود الوظائف للعاطلين، والرعاية الصحية لمن ليس لديه تأمين، وبإنعاش الاقتصاد الأميركي، وبالحدّ من الجريمة، فسقط في نظر المواطن الأميركي لكذبه وقلة وفائه بوعوده. ثم فقد هيبة الرئاسة حين رسم خطه الأحمر على استخدام بشار الأسد سلاحا كيميائيا، ثم بلع لسانه حين سخر الأسد من كل خطوطه الحمر، وفعلها مرات ومرات، موجها لعظمة الدولة الأقوى في العالم إهانة لم يغفرها الناخب الأميركي لأوباما، وعاقبه بها شرّ عقاب.

ومع استمرار الجمهوريين في الهيمنة على الكونغرس، بمجلسيه، سيقف ترامب على أرض من إسمنت وحديد مسلح، كما أحبُّ أن يكون دائما، ليضع رجلا فوق رجل، ويأمر فيطاع. وربما يأخذ منه الوضع الاقتصادي الداخلي وقتا غير قليل، ولكنّ مجده كله لن يتحقق إلا بتحويل العلاقة مع حلفاء أميركا الذين يستظلون بأقمارها، ويحتمون ببوارجها، وبأموالها، ودماء أبنائها، إلى علاقة عرض وطلب، بيع وشراء.

ولا بد أن يكون هذا ما ينبغي للعرب أن يفرحوا به، ويصفقوا له، خصوصا وأنهم مكثوا عشرات السنين يدفعون لأميركا ولا يقبضون منها غير الكلام. وحين تحين ساعة المصلحة ترميهم أميركا عن ظهرها بسهولة، وتدع خصومهم يسحلون جثثهم في الشوارع، أو يعلقونها على أعمدة النور. فأيهما أفضل وأنفع لهم رئيس أميركي مخادع وخبيث وضعيف أم رئيس يبيع ويشتري ولا يلف ولا يدور؟

شيء آخر. لعل أكبر فضائل ترامب هي فهمه لطبيعة النظام الإيراني الإرهابية الظلامية، وعزمه على وقف عبثها بأمن منطقة تبقى برغم كل المتغيرات مربط خيول أميركا ومصدر رزقها الكبير. وسيلتزم بحماية أمن "زبائنه" العرب إذا دفعوا، وسوف يدفعون دون شك، إن كانوا يعقلون.

مؤرخ أميركي يقرأ مستقبل وشيفرات السلالات

ديفيد لاندس
هناك ثقافات سامة تعيق الذين يتمسكون بها

جابر بكر

❑ **باريس** – قرر العالم، متمثلاً بحوالي خمسين شخص من كبار الناخبين الأميركيين، أن يضع كل بيضه في سلة دونالد ترامب الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة الأميركية. الفارق بين المرشحة هيلاري كلينتون والفائز ترامب على المستوى الشعبي يقع في صالح السيدة، وعلى مستوى النخبة فإن خمسين ناخباً كبيراً سجلوا الفرق في سلة السيد.

كم يبدو المشهد مثيرا للجدل، هل بات عامة الناس أكثر إدراكاً للخطر من النخبة المُنتخبة من عامة الناس لتختار ما ينفع "الأمة الأميركية"؟

> ديفيد لاندس يؤكد أن الأوروبيين تعلموا الكثير من المسلمين خلال التجارة المتوسطية والسفر إلى الهند عبر أراضيهم. والمفارقة أن الوسيط اليهودي نال القتل والتقريع في أوروبا إبان الحرب العالمية الثانية

رئيس جديد من عالم المال والتجارة، لا يملك معرفة بالسياسة. عفوي كالأطفال يضرب ويشتم ويذم ويمدح بلا رقيب ولا قيد. استيقظ العالم على موجة الجنون هذه مختطفين بالصدمة. لكن لماذا هذا الجنون؟ من أين جاء؟ ما هي الضرورة؟ ما هي الصيرورة التاريخية وراء المشهد؟ ما شأن العالم بما يجري هناك؟ أليس هذا شأن أميركي بحت؟ سيد العالم اليوم مثله كمثل سيدة العالم سابقاً؛ ملكة بريطانيا التي كانت تقود الأرض من قصرها الرتيب. المُلك لمن يحكم الأرض. المُلك لصاحب الخزانة الأكبر في الأرض. المُلك لصاحب الثقافة الأنسب؟ فهل هذا صحيح دوماً؟

ثقافة الحروب والثروة

"الثقافة". كلمة رذلها البناؤون وقبلهم الاقتصاديون والسياسيون في العالم النامي على أقل تقدير. هل يحتاج عالم المال والأعمال للثقافة؟ هل بناء الدول يكون بالثقافة؟ هل الأقلام التي تبني الكتب قادرة على بناء الجيوش؟ هل نمت اليابان بالثقافة وحدها؟ هل أوروبا في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كانت تدير الأرض بثقافتها؟ ختاما هل أميركا اليوم تحكم العالم بثقافتها؟

كلها أسئلة محقة نحيلها بكليّتها إلى المؤرخ والاقتصادي الأميركي الراحل ديفيد لاندس صاحب كتاب "ثروة وفقر الأمم"، الذي قال إن العنوان لم يكن محاولة لتقليد أدم سميث أبداً. "أنا اختلف معه قليلاً، فقد كان متفائلاً بشأن الثروة وتحصيلها دون أثر سلبي كبير على المجتمع. ولكن الواقع يقول إنه لا غنى بلا فقر. أي لا أثرياء بلا فقراء. البعض يعتقد أن الدول الغنية باتت على هذا الحال لأنها تملك تعليما أفضل وقدرات أحسن من غيرها. ذات الفريق يعتقد أن الفقراء على هذه الحال لأنهم لا يملكون ما سبق. الفريق الثاني يؤكد العلاقة بين الأغنياء والفقراء واستغلال الفئة الأولى للثانية. أنا بحكم دراستي للتاريخ أرى أن المدرستين على حق". والكلام للاندس.

النظارات الأوروبية

أستاذ التاريخ في جامعة جورج واشنطن، وفي نفس الوقت أستاذ الاقتصاد في جامعة هارفارد، يتابع الحديث في إحدى محاضراته حول كتابه سالف الذكر، بأنّ أوروبا التي يعتبرها نسخة مُقلدة من تجارب الآخرين حول العالم، امتلكت الثقافة اللازمة لتكون سيّدة العالم في فترة من الزمن. أي أنها امتلكت أفكار ثقافة أعادت إنتاجها من خلال إعادة تصنيع تجارب بقية الأمم. الفارق بين أوروبا وبقية العالم هو في مقدرتها على التعلم والابتكار. "الاختراعات تطوّرت نتيجة الحروب الطويلة، التي طورت قدرات الأوروبيين على القتل وعلى الحياة أيضاً".

لكن محمد علي باشا بحسب رأي لاندس أيضاً، عمل لسنوات على بناء الجيش المصري الجديد. حاول الباشا السيطرة على مقدرات الحياة في مصر وسوريا. توسع في الإنتاج واستعبد العمالة الأفريقية كما فعلت أميركا يوما ما. لكنه فشل وسقط بالخرف قبل أن يسقط بالموت. لماذا لم ينجح النموذج الأوروبي في مصر؟ ولماذا لم ينجح في المرات التالية لا في مصر ولا في غيرها؟ لماذا لم تلحق روسيا بركب الثورة الصناعية الأوروبية؟ في حين ورغم تأخرها لحقت الدول الأسكندنافية بالثورة تلك، وباتت في مقدمتها. ما السر الكامن في نجاح اليابان بالعملية التنموية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها؟ ولماذا يفشل العالم الإسلامي منذ سنوات في اللحاق بركب الحضارة؟

إرادة الرب وإرادة البشر

جميع ما سبق يصب بشكل أو بآخر وفق تحليل لاندس في الثقافة التي تحكم المجتمع. الأوروبيون برأيه كانوا فضوليين يعتريهم الطمع، فجابوا العالم بحثا عن المزيد من الثروات. في القرن الخامس عشر عبرت السفن الأوروبية كل محيطات وبحار الأرض بحثا عن الذهب والمزيد من الذهب. فرضت البرتغال الضرائب على الإبحار. أما أسبانيا فسلبت أميركا اللاتينية معظم فضتها. لكن هل يعتبر الطمع ثقافة، وهل يقع الفضول في ذات الدائرة؟

اخترع الأوروبيون النظارات في ذات القرن. احتكروا هذا الابتكار حوالي قرنين بعدها. لكن ما الفارق الذي تسجله النظارات الطبية على المستوى العام. بات الاستثمار في الإنسان يستمرّ لما بعد سن الأربعين، العمر الذي تتعب فيه عيون الإنسان وترهق ويفقد القدرة على العمل التقني أو الكتابي.

يتابع لاندس سرد بعض الجزئيات التي تهمل عادة في القراءات التاريخية للتحولات الكبرى. ابتكرت أوروبا صناعة الساعات الدقيقة، أي أنهم باتوا على أبواب ابتكار كل شيء وصناعة كل شيء. فليس هناك أصعب من صناعة الساعات.

ابتكرت أوروبا في العام 1460 الطباعة وفق أبجديتها وبدأ عصر التدوين الحقيقي. ذات العصر الذي أعاد طباعة كتاب أدم سميث "ثروة الأمم" في القرن الثامن عشر لأكثر من مرة ومازال.

جميع ما سبق جاء نتاج الغطرسة الأوروبية برأي لاندس. الأوروبيون أبحروا ليخبروا العالم باتفاقيات التجارة الجديدة وأيّ بلاد ترفض تُدكّ بالمدافع. طبقوا مقولة نابليون بأن "الله مع المدفع الأقوى". ثقافة القوة هذه هي التي أنتجت أوروبا اليوم. ثقافة انقسمت على نفسها بعد الانقسام المسيحي إلى بروتستانت وكاثوليك. الفئة الأولى ولّدت مفهوماً جديداً لبناء رأس المال والمقدرة التجارية. خرجت من عباءة الكلام الديني التقليدي عن إرادة الرب في خير البشر لتقول إن الخير صناعة البشر. وُلد فلاسفة كبار يؤمنون بقدرة الإنسان على خلق الجنة على الأرض لا انتظارها في السماء، هذا ما قاله لاندس في وصف الأوروبيين الذين قدّموا أنفسهم للعالم على أنهم أقرب للآلهة منهم للبشر، فهم القادرون على ابتكار كل شيء وخلق كل شيء وحل أيّ مشكلة تواجههم في العالم.

لقد احترفوا القتل بأدوات الآخرين. فقد أخذوا البارود من الصين. ونالوا الكثير من العلوم والمعارف من المسلمين والعرب في الشرق الأوسط عبر وساطات يهودية كانت تعيش بين العرب وتنقل معارفهم وعلومهم لأوروبا. يؤكد لاندس أن الأوروبيين تعلموا الكثير من المسلمين عبر التجارة المتوسطية والسفر إلى الهند عبر أراضيهم. والمفارقة أن الوسيط نال القتل والتقريع في أوروبا الحرب العالمية الثانية. ربما يدل هذا على الغطرسة الأوروبية التي انتقلت بحكم الثقافة إلى أميركا اليوم التي ترى نفسها حاكم العالم المنفرد ويحق لها أن تسلط مجنوناً رئيساً عليها.

نجت أوروبا من الكنيسة التي كان لها كبير الأثر على الحياة العامة فيها، ولم ينج المسلمون اليوم من نير رجال الدين. رغم أنهم لم يملكوا كبير سلطة في العالم الإسلامي الذي صدّر معارفه وعلاقته بالدين إلى الأوروبيين. دخل المسلمون نفق المجهول لتخرج منه أوروبا سالمة محمّلة بالذهب والمعارف وثقافة القوة. دخل العالم الإسلامي النفق، وخرجت منه اليابان لكن دون ثقافة الانتهاز تلك وغير محمّلة بالذهب والثروات كحال أوروبا. كيف فعل هؤلاء الشرقيون معجزتهم؟

نبوءة لاندس

يحاول لاندس الإجابة عن سؤال اليابان. حددت هذه البلاد قيمها الثقافية ولم تقدم نفسها على أنها الأفضل بين الثقافات في العالم كحال الغرب اليوم. لكن ديفيد لاندس أصر بأن "هناك ثقافات أسمّيها "سامة، تُعيق الذين يتمسكون بها". وذلك في مؤتمر للبنك الدولي عام 2000.

هذا هو المؤشر إذا ما اعتمدنا كلام لاندس. فإذن الثقافة اليابانية ليست سامّة. الدليل أن اليابان اليوم في مصاف الدول الأكثر تقدما في العالم. ربما تكون ثقافة الغطرسة اليوم هي السامّة وهي التي ستؤدي بالعالم الغربي إلى الهاوية. كما أودت ثقافة العرق الآري بالشعب الألماني إلى الهاوية بقيادة أدولف هتلر. خسرت يومها ألمانيا كل دمها الأزرق على الجبهات لأجل فكرة مجنونة، ونضحت البلاد كل مفكريها إلى الخارج.

أعادت نساء ألمانيا بناء الدولة وفق ثقافة غربية معدّلة. لا غطرسة ألمانيا اليوم. ربما هذا أثر النساء على الثقافة. المهاجرون في ألمانيا يدخلون مدارسها وجامعاتها وسوق عملها دون أيّ مشاكل. تكافح هذه البلاد حركاتها الفاشية بمزيد من ثقافة التسامح. لا توجد مسألة مسلمين ألمان غير مندمجين رغم كثافة الوجود التركي فيها، خلافا لفرنسا التي تعاني من هذا المسألة.

الواقع أن نبوءة لاندس، بأن الثقافة هي المعنية تقريباً بالتوسع صحيحة إلى حد كبير. اليوم ألمانيا واليابان المهزومتان في الحرب العالمية الثانية، تلقيان رواجاً شعبياً في العالم النامي. لكن نخبة العالم الثالث كحال النخبة الأميركية تصرّ على انتقاء التجربة الغربية بكليّتها رغم غطرستها وطمعها الجارف. وترفض اليابان التي تطوّرت نتاج امتلاكها ثقافة مناسبة بحسب رأي الاقتصادي الياباني يوشيهارا كيونيو الذي أكد أن شعب بلاده تمسك "بالمساعي المادية والعمل الجاد والادخار للمستقبل، والاستثمار بالتعليم، وقيم المجتمع . خمس نقاط فقط لا غير دفعت اليابان لتعود من جديد إلى مصاف العالم المتحضر، وفقدتها الكثير من الشعوب التي لا تعرف من الثقافة إلا قراءة الشعر. باتت تلك الشعوب اليوم رهن سخرية المرشحين الأميركيين. فهذا ترامب يريد تحصيل تكاليف حرب الخليج الثانية مرة أخرى.

لاندس تلميذ عالم الاجتماع ماكس فيبر، يؤكد نظرية معلمه بأن "الرأسمالية الأوروبية استندت في قيامها إلى مجموعة متميزة من المؤسسات ومجموعة خاصة من القيم الثقافية". فيبر قدم أيضاً، في دراسات لاحقة عن الهند، والصين، والعبرانيين القدماء، حالات مقابلة عن أوضاع لم تكن فيها البيئة المؤسسية أو الثقافية تناسب أو تساعد على نموّ رأسمالية عقلانية.

لاندس يتوافق مع معلمه أيضا بأن "الدين في أوروبا، وفي الفترة ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، أدى إلى تشجيع ظهور نموذج إنساني كان قبل ذلك نادراً واستثنائيا. هذا النموذج، الذي يتمتع بصفات العقلانية، والنظام، والاجتهاد، والإنتاجية العالية كوّن الاقتصاد الجديد ونمط الإنتاج الجديد الذي نعرفه بالرأسمالية الصناعية".

توفي لاندس قبل سنوات ثلاث. ربما حالفه الحظ. فهو لم ير كيف أصبح ترامب رئيساً لبلاده. لكنه لا بد توقع شيئاً ما شبيهاً بما يجري اليوم. وهو الذي خبر أسرار الاقتصاد والتاريخ معاً ومن عرفهما أتقن قراءة القادم.

المفارقة أنه ولد في المدينة التي أدار منها ترامب حملته الانتخابية ألا وهي نيويورك. ونال العديد من الشهادات العليا والتقديرية من العديد من الجامعات في فرنسا وسويسرا وأميركا. كتب "ثورة في الوقت"، و"ثروة وفقر الأمم"، و"السلالات".

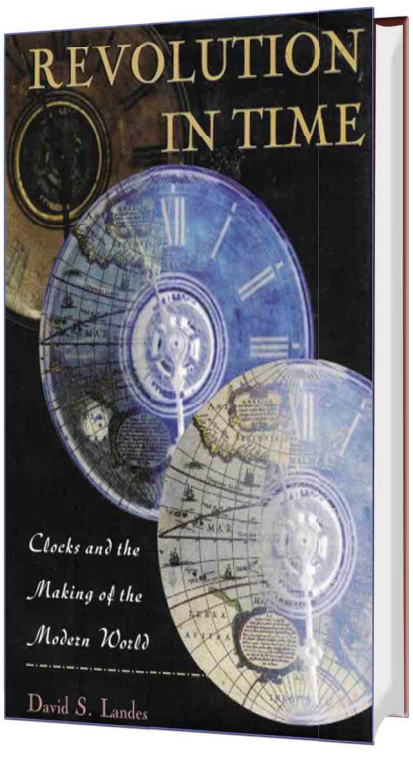

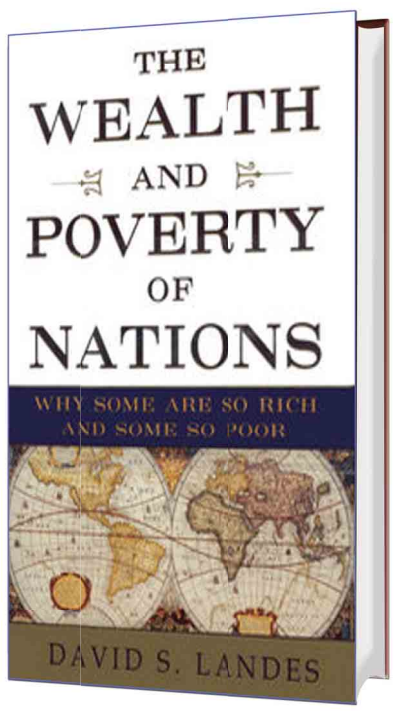

● الفارق بين أوروبا وبقية العالم يكمن في مقدرتها على التعلم والابتكار. يقول لاندس إن «الاختراعات تطورت نتيجة الحروب الطويلة، التي طورت قدرات الأوروبيين على القتل وعلى الحياة أيضا».

لاجئة مسلمة محجبة في الكونغرس الأميركي

إلهان عمر

السوداء التي فازت يوم فاز الوحش الأبيض

ممدوح فراج النابي

للضرب من قبل 7 أو8 أشخاص في تجمع حزبي عام 2014، بسبب حجابها وبشرتها السمراء، إلا أن ذلك لم يمنحها سوى المزيد من الإصرار على الاستمرار، كما قالت بنفسها. وها هي بعد مرور عامين على هذه الحادثة تصبح نائبة في الكونغرس الأميركي بهذا الزيّ الذي ضربت بسببه من قبل.

القاهرة – في الثامن من نوفمبر الجاري، كانت أميركا على موعد مع زلزالين من العيار الثقيل. الأول تمثل في نتائج الاقتراع على الانتخابات الرئاسية التي حُسمت لصالح الجمهوري رجل الأعمال والملياردير الأميركي دونالد ترامب (70 عامًا) على حساب الديمقراطية هيلاري كلينتون (69 عامًا). اختيار صادم ليس فقط خارج أميركا بل داخلها أيضاً. وهو ما ترجمته المظاهرات الحاشدة التي خرجت ترفع شعارات "ترامب ليس رئيسي" كنوع من الاحتجاج على هذه الشخصيّة التي أثارت الاستياء لمواقفه طيلة حملته الانتخابات سواء للنساء أو للمسلمين.

أما الزلزال الثاني فتمثل في فوز الصومالية المسلمة إلهان عمر (34 عامًا) كأوّل مُسلمة لمخبة من اللاجئين، الذين أصابتهم سهام ترامب طيلة حملته الانتخابية، محملاً إياهم مسؤولية الاضطرابات التي حدثت في أميركا، بانتخابات مجلس النوّاب.

> زعيم الأقلية في مجلس النواب بول تهاسان يقول إن «فوز عمر هو بيان حول مستقبل الدولة». وبالمثل تؤيد السيناتور سكوت ديبل عمر منذ وقت مبكر وتقول «أنا أعلم أنها سوف تلتزم للعمل من أجل المساواة»

وتأكيدًا على اللطمة التي وجهت لترامب خرجت عمر بعد إعلان فوزها مباشرة وألقت كلمة شكر لجماهيرها المحتشدة، بدأتها بالقول "هذه الليلة هي ثمرة تتويج لأكثر من عام من العمل الشاق. وإنني فخورة جدًا لهذا الفوز؛ لأنّ منطقة بي 60 بولاية مينيسوتا تمثل جيراني، وكل الحضور هنا في هذه القاعة، نمثل الأمة كما يجب أن تكون، متحدون في تنوعنا"، مضيفة "أيها السكان؛ مهاجرو شرق أفريقيا، وطلّابها، التقينا وانخرطنا في العمل السياسي. وتحدثنا فيما يهمنا من قضايا وتواصلنا على المستقبل الذي نريد أن نخلقه"، لتختم "خطاب نصرها" هي الأخرى بالقول "هذه الليلة، ونحن نحتفل بهذا الفوز، فوزنا، يجب ألاّ يتوقف عملنا، وسوف نستمر في بناء عالم أكثر ازدهارا ومنصفًا للمقاطعة، وللدولة، حيث كل واحد منا لديه فُرص للتقدّم والازدهار والمضي قدما معًا".

ولدت إلهان عمر في الصومال عام 1982، وقبل أن تتم عامها التاسع، اضطرت مع أهلها إلى الانتقال إلى كينيا المجاورة، بسبب اشتعال الحرب الأهلية في بلادها عام 1991. وبعد أربع سنوات من العيش في مخيمات اللجوء في كينيا، هاجرت في عام 1995 مع عائلتها إلى الولايات المتحدة.

تربت على يد والدها وجدّها، وقد غرس الاثنان في ذهنها منذ أن كانت صغيرة أهمية الديمقراطية. استقرت العائلة في البداية في أرلينغتون بولاية فيرجينيا. ثمّ انتقلت إلى مينيابوليس، لتتعلم اللغة الإنكليزية بسرعة في ثلاثة أشهر فقط.

ثم بدأت بمرافقة جدها خلال لقاءاته وهي في الرابعة عشرة من عمرها، بوصفها مترجمة له. ودرست في جامعة "نورث داكوتا"، وتخرجت بدرجة البكالوريوس في العلوم السياسية والدراسات الدولية، وهو ما أهّلها لدخول عالم السياسة بقوة.

السافر والمحجبة

بهذا الفوز لعمر، المرأة المسلمة واللاجئة أيضًا، تكون أولى الوعود التي قطعها المرشح الجمهوري ترامب على نفسه، في حال وصوله إلى البيت الأبيض، قد صارت في سبيلها للتبخّر والتحلل، بعد أن دغدغ بها مشاعر المُصابين بالإسلاموفوبيا منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، ويبدو أنها ستذهب جميعها أدراج الريح.

فمنذ أن بدأ السباق الانتخابي وترامب يناصب العداء السافر للمسلمين والعرب، بل وذهب أبعد من هذا أثناء جولاته الانتخابية بأن قال «إن أميركا دونالد ترامب لا مكان فيها للمسلمين» في نبرة عنصرية مقتها العالم كله، حسبما نشرت الغارديان تصريحات سابقة له.

كانت نية ترامب تتجه إلى "منع تام وكامل للمسلمين من دخول البلاد". ومرجع هذا العداء السافر منه يعود إلى نظرته العدائية حيث المسلمون من وجهة نظره "يؤوون الإرهابيين". لكن لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن، فقبل أن يتم تنصيبه كرئيس فعلي يمارس مهامه في العشرين من يناير المقبل 2017 وفقًا للتقاليد الأميركية، جاء فوز عمر بعضوية الكونغرس الأميركي عن الحزب الديمقراطي، بعد فوزها بعضوية مجلس نواب ولاية مينيسوتا، يوم الثلاثاء الماضي، لتكون أوّل فتاة مسلمة لمخبة تحظى بعضوية الكونغرس الأميركي الذي يهيمن عليه الجمهوريون أيضا.

نافست عمر على مقعد مقاطعتها بولاية مينيسوتا عن الحزب الديمقراطي، وتمكنت من الحصول على أكثر من 80 بالمئة من الأصوات، مقابل 19.4 بالمئة لمنافسها الجمهوري عبدالمالك عسكر، لتصبح بذلك أوّل مُشرِّعة مُسْلِمَة لمخبة في تاريخ الولايات المتحدة. وكانت إلهان، قد فازت بفرصة تمثيل الحزب الديمقراطي، في أغسطس الماضي، على حساب السياسية اليهودية المخضرمة والنائبة السابقة فيليس كاهن، في الانتخابات الداخلية بالحزب.

ديمقراطية التهديد

عمر تُمثّل أوّل تحد للرئيس الجديد، وقد تكون سببًا واضحًا لتغيّر مفهومه حول المسلمين، وهو ما تحققت نتائجه سريعًا، فعقب إعلان فوزه على منافسته كلينتون، تم حذف ما صرح به ترامب عن المسلمين من موقع حملته، وهو ما أثار موجة من السخرية على مواقع التواصل الاجتماعي. وإن كان فريق ترامب قد أوضح لوسائل الإعلام أن نص الاقتراح الذي نشر في ديسمبر 2015 إثر اعتداء سان برناردينو في كاليفورنيا، اختفى عن الموقع بسبب خلل فني.

كان ترامب قد أشار في بيان له إلى "الهجمات المروّعة التي يُشنّها أشخاص لا يؤمنون إلا بالجهاد. ولا يُكنون أيّ احترام للحياة البشرية". مُنددًا بـ"الكراهية" التي يُكنّها بنظره الكثير من المسلمين للأميركيين.

لم يطرح اقتراحاته حول هذا الأمر من جديد في ما بعد، لكن اقتراحه السابق بقي مُدرجًا على موقع حملته. وكان ردّ عمر على تصريحات ترامب المعادية بعد فوزها بأن قالت "حتى وإن كان يفترض أن رسالته تشكّل تهديدًا لنا لكي لا نُشارك في التصويت، ولكي لا نعتبر أنفسنا جزءًا من النظام الأمريكي، فقد كان لذلك مفعول عكسي".

لم تكن عمر تعبّر عن صورة الإسلام، بحجابها الإسلامي المميز والذي يعاديه ترامب الرئيس الـ45 للولايات المتحدة الأميركية فقط، بل هي أيضا تنتمي إلى الصوماليين المهاجرين إلى أميركا، والذين هاجمهم أيضا ترامب. حيث لم يَسْلم الصوماليون المقيمون في ولاية مينيسوتا في الأسبوع الأخير من حملته، واعتبرهم مسؤولين عن الاضطرابات التي تشهدها الولاية.

قال ترامب وقتها موجّهًا الحديث إليهم "هنا في مينيسوتا عشتم بشكل مُباشر المشكلات الناجمة عن سوء إدارة ملف اللاجئين مع وصول عدد كبير من اللاجئين الصوماليين إلى ولايتكم من دون علمكم بذلك حتى". وأضاف "بعضهم انضم إلى تنظيم داعش. وينشرون آراءهم المتطرفة عبر البلاد وعبر العالم بأسره".

وقد جاءت الفرصة سانحة لعمر لتردّ على هذه الاتهامات عقب فوزها مباشرة فقالت "أعتقد أن فوزنا هو مصدر إلهام لكثير من الشباب والملوّنين والمهاجرين وللجميع. حتى وإن لم يكن النظام ملائما لنا جميعًا، يمكننا مع ذلك أن نشق طريقنا ويمكننا أن نضمن خلق الفرص لأناس مثلنا"، مستغلة الفرصة لتعلن أن فوزها دليل على أنها يمكن أن تكسر الحواجز، فقالت إنها تعتقد "أن تلك الانقسامات بدأت تذوب. والناس بدأوا يعتبرون أنفسهم جزءا من المجتمع".

الحجاب والديمقراطية

يبدو أن فصلاً جديدًا من الصّراع يبدأ. الصراع الذي شهدته أوروبا من قبل في علاقتها بالحجاب، وهو ما حدا بالكثير من الدول الأوروبية وأبرزها فرنسا إلى حظره، صراع بدأ عام 2004 بالتضييق على الطلبة في المدارس الرسمية لمنع إظهار أيّ رموز دينية. لكن في 2011، ذهبت الحكومة الفرنسية أبعد من ذلك، بفرض حظر كامل على غطاء الوجه، وتغريم المرأة التي ترتديه بمبلغ 150 يورو، وأيّ شخص يجبر امرأة على ارتدائه يغرّم بمبلغ يصل إلى 30 ألف يورو، ثم توالت الحملة العنصرية من قبل الكثير من الدول التي حذت حذو فرنسا مثل بلجيكا وهولندا وسويسرا وغيرها من دول اتخذت من الحجاب وسيلة للتضييق على المسلمين.

وفي إطار الحملة العالمية ضد الحجاب واجهت عمر، المحجبة هي الأخرى، ممارسة عنصرية مقيتة بسبب حجابها. فقد تعرضت لم تضع تلك الممارسات الإقصائية في حسبانها فكما نقلت عنها الغارديان البريطانية، قبيل الانتخابات، أن ما يشغلها الكثير. وبتعبيرها "لديّ الكثير مما قد يشكّل عائقاً في حياتي، أنا أرتدي الحجاب، قد تكون تلك مشكلة، إلا أن شخصًا ما عليه خوض ذلك التحدي، حتى يتيح للبقية أن يطلقوا العنان لأحلامهم".

ليست عمر المرأة المسلمة الأولى التي تدخل المجالس التشريعية الأميركية، ولكنها الأولى التي تدخل تلك المجالس بالحجاب الذي يُشكّل رمزية كبيرة، أثارت الجدل، ولا تزال، في الغرب، وشكلت اختبارًا حقيقيًا لقيم الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان هناك.

تأكيدًا على مكانة الدور التشريعي الذي تعيه جيدًا غرّدت إلهان على تويتر قائلة "تتم صناعة التاريخ. عمر هي ممثل الدولة القادم". فالنائبة الجديدة ناشطة في مجال السياسات والمبادرات الخاصة بالمرأة، فتشمل إلى جانب السياسة، التعليم، والحقوق المدنية والعمل الاجتماعي والتخفيف من حدة الفقر، وحقوق الإنسان، والقضايا البيئية، والرفق بالحيوان، والتمكين الاقتصادي.

تدعم عمر أجر 15 دولاراً للساعة الواحدة كحد أدنى للمساهمة في تحمّل التكاليف الدراسية، كما تطالب بتعليم مجاني للطلاب الذين ينتمون لعائلات ذات دخل أقل من 125 ألف دولار. وتطالب أيضا بتطبيق إعفاء للطلاب من القروض، حيث تُعطي أولوية لتمويل التعليم وتسهيل الالتحاق بالمؤسسات التربوية. وتؤكد أنها تريد أن تساعد النساء صاحبات المشاريع، ومتابعة إصلاح العدالة الجنائية وضمان الهواء النقي والمياه. كما لا يقتصر اهتمامها على مصير اللاجئين الصوماليين، إذ أنها تبذل جهودًا أيضا من أجل أقليات أخرى مثل المهاجرين من شرق أفريقيا والليبراليين البيض والطلاب.

برنامج ممثلة الشعب

على عكس فوز ترامب بالانتخابات الرئيسية جاء استقبال فوز عمر بعضوية مجلس النواب، فكانت ثمة فرحة غامرة بين أنصارها وداعميها، وكأنّ الفرحة بمثابة الردّ العمليّ على هذه الاتهامات التي كالها ترامب للمسلمين وللاجئين في آن واحد حيث كان السيناتور باتريشيا توريس راي، واحدًا من المسؤولين المنتخبين، وأوّل مَن دعم إلهان حيث أشار إلى أنّ "الكثير من الناس حاولوا تفريقنا خلال هذه الانتخابات، لكنها عَمِلَتْ بلا كلل لتجلبَ لنا النصر معًا. وأنا أُرحِّبُ بها إلى مبنى الكابيتول بأذرع مفتوحة".

زعيم الأقلية في مجلس النواب بول تهاسان قال إن "فوز عمر هو بيان حول مستقبل الدولة. إنه يقول شيئًا مهمًا حول مستقبل مينيسوتا، وماذا يعني أن تكون مينيسوتا؟". وبالمثل أيّدت السيناتور سكوت ديبل إلهان منذ وقت مبكّر وقالت "أنا أعلم أنها سوف تلتزم للعمل من أجل المساواة عن طريق إغلاق الفجوة والقضاء على الفوارق العرقية". فالكثيرون اعتبروا فوز عمر "نقطة مضيئة في هذه الدورة الانتخابية".

> أول تحد للرئيس الجديد، تمثله ظاهرة إلهان عمر وشبيهاتها، وقد تكون سببا واضحا لتغير مفهومه حول المسلمين، وهو ما تحققت نتائجه سريعا، فعقب إعلان فوزه، تم حذف ما صرح به عن المسلمين من موقع حملته الانتخابية

في عام 2012، عملت عمر مديرة لحملة كاري دزيدزيك لعضوية مجلس شيوخ الولاية، عن الحزب الديمقراطي، ورفع نجاح الحملة من رصيدها في أوساط الحزب، وأهّلها لتولّي مهمات سياسية أخرى.

أما مواطنها اللاجئ عبدالله جيسو، وهو أحد وجهاء المجتمع من القاطنين في المنطقة، فقال "لم أتخيّل أبدًا هذا اليوم بينما كنت أعيش في الصومال. حلمنا أن نشارك في الديمقراطية التمثيلية، واليوم كمواطن أميركي، أرى أن الحلم أصبح حقيقة، إنه لشرف لي أن أصوّت لأول مشرّعة قانون صومالية أميركية مسلمة، وإنني في غاية الفخر لكونها أول مُمَثّلة جديدة لنا. إنه حقًا ليوم عظيم".

في عام 2014 سُمّيتْ إلهان عمر، في قاعة السيدات بحزب العمال الديمقراطي بالنجم الصّاعد، وقد حصلت أخيراً على جائزة الريادة المجتمعيّة. وهي تدير منذ سبتمبر 2015، قسم السياسات والمبادرات في مؤسسة "النساء ينظّمن النساء"، التي تقوم بالدفاع عن المتحدرات من شرق أفريقيا، ودعمهن لتولي مناصب قيادية على المستويات المجتمعية والسياسية.

● إلهان عمر تفوز بعد أن نافست على مقعد مقاطعتها بولاية مينيسوتا عن الحزب الديمقراطي، وتمكنت من الحصول على أكثر من 80 بالمئة من الأصوات، مقابل 19.4 بالمئة لمنافسها الجمهوري، لتصبح بذلك أول مشرعة مسلمة محجبة في تاريخ الولايات المتحدة.

إعلامي سعودي يحاول فتح حديث مع العرب

سليمان الهتلان
مثقف يبحر في فلك التنوير

خالد عمر بن ققه

❑ **أبوظبي** – تعدُّ تجربة الإعلامي السعودي سليمان الهتلان من بين أهم التجارب الإعلامية العربية. وهي من الثراء لدرجة تجعلها ذات بعد عالمي، ذلك لأنه تحرك إعلاميا في مجال واسع تخطىّ من خلاله الحدود السعودية والخليجية والعربية إلىٰ المجال الغربي مُمثلاً في الولايات المتحد الأميركية، ليعود بعدها ساعياً لتحقيق عدد من الأهداف، ربما يكون من أهمها علىٰ الإطلاق، هو "نشر ثقافة التنوير بمنهج ودراية"، لذلك يبدو مجموعة متنقلة علىٰ ما في ذلك من محاذير ونقائص.

تجارب ملهمة

الهتلان يشكل اليوم في واقع الإعلام المرئي العربي، وتحديدا البرامج الحوارية، حالة من الاستقرار النسبي في مناخ عام يطغىٰ فيه العنف علىٰ الحوار، والإقصاء علىٰ الاقتراب، والنكران علىٰ الاعتراف، والتيه علىٰ الرشاد.

وهو بهذا المعنىٰ يمكن اعتباره مخالفاً لما هو سائد في الحالة الإعلامية العربية، نستشفّ ذلك من خلال التساؤلات الكبرى التي يطرحها علىٰ ضيوفه في برامجه، والتي تمثّل في الغالب إشكاليات، يمكن التأسيس عليها أكاديميا ومعرفيا وسياسيا وثقافيا للخروج من الأزمة الراهنة، إذا نظر إليها من زاوية التغيير وليس من باب الاستعراض النظري، أو المتعة الفكرية، أو النجومية المتضخّمة، وهي حالات مصاحبة لعناصر النخبة، ومن بينها ضيوف الهتلان، حتىٰ أن منهم من يعتقد أنه يملك الحقيقة المطلقة، لدرجة يبدو فيها غير مدرك للتطورات، ولفشل أطروحاته وعدم صدقيّتها، وأنها أصبحت جزءا من الماضي، بل إن طرح البعض منها يعتبر جريمة في الوقت الحاضر.

> قيادته لمؤسسات إعلامية مرموقة مثل رئاسة تحرير مجلة «فوربس»، وعضويته في مجلس تحرير مجلة «الوورد بولسي جورنال» الصادرة من نيويورك، تضيف إلى تجربة الهتلان الكثير، ما يبرز واضحا في كتبه التي من بينها «الشارع يا فخامة الرئيس» و«أين تفجر نفسك هذا المساء» و«عاصفة الحزم»

يذهب بعض المهتمين بالإعلام إلىٰ اعتبار ما يطرحه الهتلان من تساؤلات علىٰ ضيوفه، وما يأتيه من إجابات، وما يتبعهما من تفاعلات سواء عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أو في نقاشات متفرقة في المؤسسات الأكاديمية والبحثية، وفي أحاديث المجالس والندوات والمحاضرات، مسألة فكرية وتنظيرية تخص عناصر النخبة وذوي الاختصاص. وهذه القراءة مُحقّة إلىٰ حد كبير، لكن هناك نسبة من المشاهدين –علىٰ فرض أنها غير قليلة– من غير المتخصصين تتابع برامجه الحوارية، وفي ذلك نقض لما يذهب إليه الكثير من الإعلاميين العرب، لجهة الترويج لتراجع المعرفة بسبب ضغط الجمهور الجاهل.

إذا سعينا لمعرفة الخلفيّات التي جعلت من الهتلان شخصية إعلامية ناجحة، فقد نجدها في التأسيس الذي قامت عليه أفكاره، وذلك عبر أربع مسارات، جسدتها تجربته العلميَّة والعمليَّة، تخطىٰ فيها حُجُب مرحلة أرخىٰ ليلها سدول ظلامه علىٰ الأمة، ليؤكد علىٰ وجود نور في نهاية النفق، وتلك المسارات تتمثل في الجانب الأكاديمي أولاً. حيث درس في عدد من الجامعات، كجامعة الملك سعود، وجامعة هارفارد وغيرهما، وما لذلك من تأثير علىٰ طرح الإعلام بمنهجية، وعبر تصور علمي واضح، عبر أسئلته وطريقة قيادته للحوار مع الضيوف.

من الواشنطن بوست إلى العالم

تترسخ تجربته في مجال الكتابة الصحافية، وفي تأليف الكتب. وتظهر في عدة مقالات نشرها في صحف عالمية شهيرة مثل "النيويورك تايمز" و"الواشنطن بوست" و"اليو إس إيه توداي" و"ميامي هيرالد" و"بالتمور صن" وغيرها. وأيضا في قيادته لمؤسسات إعلامية في مجال الصحافة المكتوبة، منها علىٰ سبيل المثال أنه رئيس تحرير سابق لمجلة "فوربس ، بالإضافة إلىٰ عضويته لمجلس التحرير بمجلة "الوورد بولسي جورنال" الصادرة من نيويورك، أما بالنسبة إلىٰ التأليف، فبمجرد قراءة البعض من كتبه سيدرك القارئ مساره في مجال الكتابة. كتبه التي من بينها "الشارع يا فخامة الرئيس و"أين تفجر نفسك هذا المساء" و"تجارب ملهمة" و"أبطال فوق العادة" و"عاصفة الحزم".

تضاف إلىٰ ذلك مشاركته المباشرة في الإعلام المرئي من خلال إعداد وتقديم عدد من البرامج. حيث عمل منتجاً في محطة الـ"إيه بي سي" مع الإعلامية الشهيرة باربارا وولترز، وأعد وقدم البرنامج التلفزيوني الأسبوعي المثير للجدل "حديث الخليج" علىٰ قناة الحرّة. كما قدم أيضا برنامجا تلفزيونيا رصينا اسمه "المنتدى" علىٰ قناة دبي، ومنذ نوفمبر 2015 وحتىٰ الآن، يعدُّ ويقدم برنامج "حديث العرب" علىٰ قناة "سكاي نيوز عربية" في أبوظبي.

إشراف الهتلان وإدراته لمشاريع فكرية وإعلامية دولية ومحلية وخاصة، يبدو مؤثراً للغاية في النطاق الواسع المحيط به. من ذلك رئاسته لمنتدى فوربس للقيادات التنفيذية بالشرق الأوسط الذي عقد في الدوحة في العام 2007، وشغله منصب الرئيس التنفيذي للمنتدى الاستراتيجي العربي بدبي لخمس سنوات، وشغله حالياً لمنصب الرئيس التنفيذي لشركة "هتلان ميديا" ومقرها الإمارات العربية المتحدة، وهي شركة متخصصة في الدراسات الإعلامية واستطلاعات الرأي.

المنجز السعودي

اعتماداً علىٰ المسارات السابقة، وانطلاقاً من التجربة السعودية في مجال الإعلام –المنتج المادي والمعنوي والبشري– واستناداً إلىٰ أطروحاته التي تدور كلها في فلك التنوير، يؤسس الهتلان لتقاليد جديدة في الإعلام العربي. وهنا علينا أن ننظر إلىٰ ذلك من زاوية التجربة السعودية في هذا المجال، والتي تقدمها عناصر النخبة علىٰ استحياء. فهي الآن جديرة بالاهتمام وبالمتابعة علىٰ المستوى العربي، بل إن الرهان عربيا، من وجهة نظري، سيكون علىٰ المنجز السعودي في هذا المجال.

الهتلان من عناصر النخبة السعودية التي تدرك هذا جيدا، لكنّه يرى أن الترويج لهذه النهضة الإعلامية والثقافية السعودية يجب أن يكون عربيا وليس سعوديا أو خليجيا، فقد ذكر لـ"العرب" أنه من "الأفضل أن يتم الحديث عن المنجز الإعلامي لعناصر النخب السعودية من طرف العرب الآخرين" جاء هذا في معرض حديثه عن ضرورة الإكثار من المثقفين السعوديين في برنامجه "حديث العرب".

المطالبة بتواجد السعوديين في برامج الهتلان، وغيرها من البرامج الحوارية الأخرى، حسب الهتلان، يعود إلىٰ عوامل عديدة. منها أن هناك حراكا ثقافيا وإعلاميا في السعودية متميزا وجادا وهادفا، من الضروري توصيله لكل العرب، وكذلك فإن الأطروحات السعودية تجاوزت المحلّي إلىٰ القومي، ويمكن لها الإسهام بقوة في الحركة الثقافية والإعلامية العربية. وأخيرا إن قراءة المنجز السعودي عربيا بعيدا عن السياسة وأحكامها المسبقة، أي ما يتم الاختلاف حوله سياسيا، يمكن التقارب حولة ثقافيا وإعلاميا.

مهما يكن، فإن الهتلان يتحرك حاليا ضمن الفضاء العربي الواسع من خلال برنامجه "حديث العرب" في محاولة منه لتجسيد مشروع إعلامي نهضوي قد يُسهم في تغيير الواقع. وهو مختلف كلية عن تلك البرامج الحوارية التي تناسلت بشكل مخيف حاملة اسم "العرب"، وارتبطت باللّهو تارة وبالسخرية تارة أخرى، وطغت عليها البهرجة والإضاءة والتكاليف المصاحبة للبرامج.

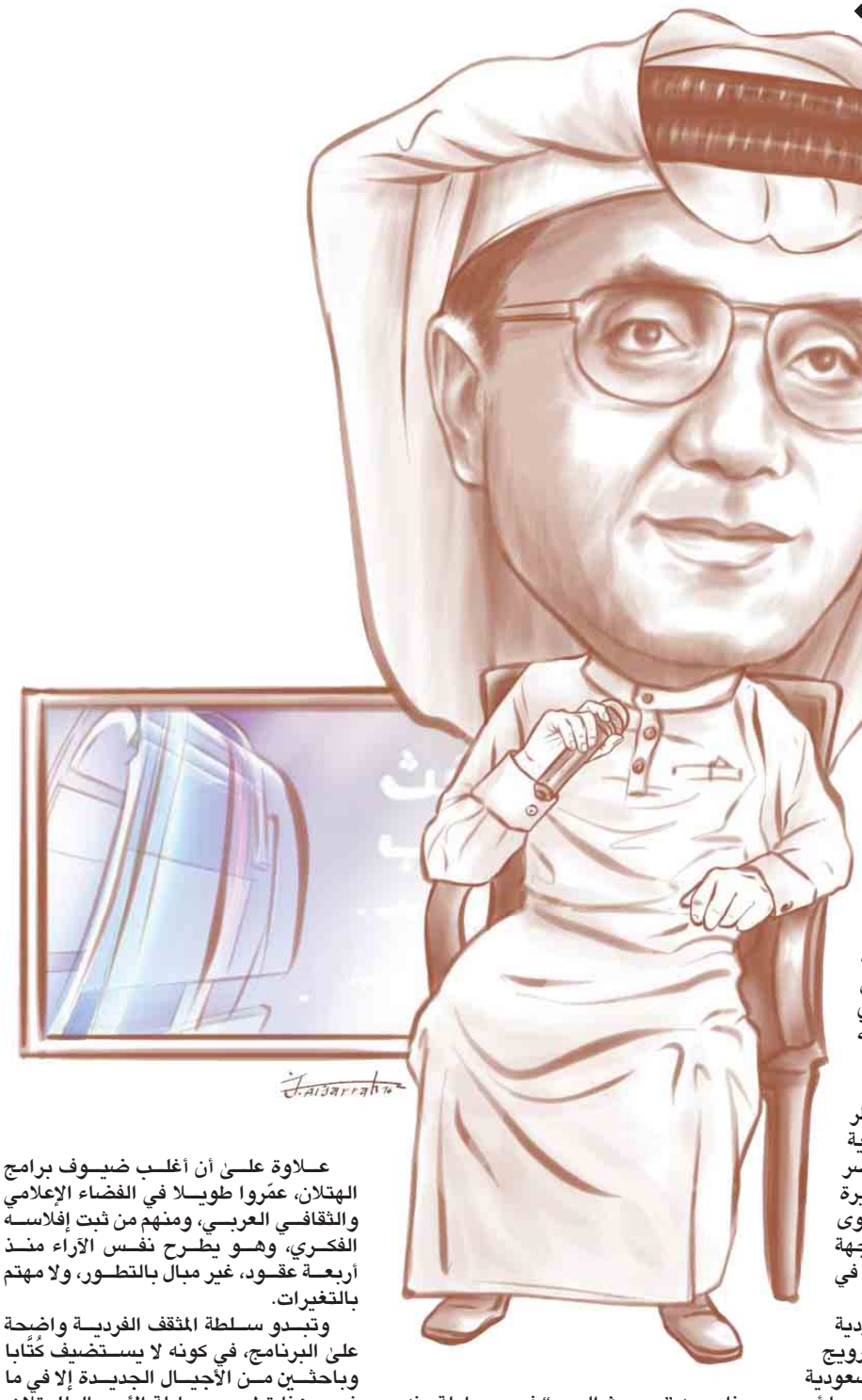

معاناة البرامج الحوارية

البرامج الحوارية العربية ومنها برنامج الهتلان، تعاني، رغم أهمية بعضها وشموليته، من أحادية الطرح في كثير من الأحيان. حيث أن جميع الضيوف يعبّرون عن توجه واحد في الساحات العربية، وهذا يشي بإقصاء متعمّد للآخرين، وفي أحسن الأحوال لا يعوّل عليهم من منطلق الشراكة في تغيير الواقع العربي. كما أنه قد يدفع أصحاب الآراء المخالفة إلىٰ البحث عن فضاء للتعبير، يشكلون من خلاله كتلة خاصة أو يلجأون إلىٰ العنف.

علاوة علىٰ أن أغلب ضيوف برامج الهتلان، عمّروا طويلا في الفضاء الإعلامي والثقافي العربي، ومنهم من ثبت إفلاسه الفكري، وهو يطرح نفس الآراء منذ أربعة عقود، غير مبال بالتطور، ولا مهتم بالتغيرات.

وتبدو سلطة المثقف الفردية واضحة علىٰ البرنامج، في كونه لا يستضيف كُتّابا وباحثين من الأجيال الجديدة إلا في ما ندر، وهنا تطرح مساءلة الأجيال للهتلان، وتساؤلات حول سياسة البرنامج.

التنوير الذي نعتقد أن الهتلان يعتبر أحد رجاله في السعودية، لا يجب اختصاره في طرف واحد من أطراف الصراع في الوطن العربي. ولىّ الحقائق من طرف الضيوف وليس من المحاور، بعيداً عن خدمة الثقافة والفكر، بما يعطّي انطباعا عاما أن هناك أدواراً مشبوهة لبعض عناصر النخبة، حيث لم نتابع نقدهم للسياسات الخاطئة للحكومات، بما فيها المسائل الخاصة بالمعرفة.

برنامج "حديث العرب" في عمومه يركز علىٰ مناقشة رؤى الكتاب والمفكرين، لكنه لا يجعلهم يطرحون بدائل، يمكن التأسيس عليها للخروج من الأزمة. وينتابني شعور أحيانا بأن البرنامج يستمد شرعية وجوده من وجود الجماعات الإرهابية. حتىٰ إذا ما غابت أو انهزمت أو تراجعت، لم تعد له أهمية تذكر، وهو هنا لا يهتم بعنف الجماعات الفكرية المختلفة ذات الأطياف والانتماءات العديدة.

● نسبة غير قليلة من المشاهدين غير المتخصصين تتابع برامج الهتلان الحوارية، وفي ذلك نقض لما يذهب إليه كثير من الإعلاميين العرب، لجهة الترويج لتراجع المعرفة بسبب ضغط الجمهور الجاهل."الروائيان الليبي إبراهيم الكوني واللبناني أمين معلوف في ضيافة الهتلان".

لبناني أحرقوا بيته يكتب باللون وصيته الأخيرة

موسى طيبا
فنان يلعب ليكون الرسم خالصا

فاروق يوسف

❑ **لندن** – في قانا، البلدة اللبنانية التي احتضنت صباه يقع متحفه. ولأن متاحف الفنانين ظاهرة نادرة في العالم العربي فقد قرر موسى طيبا أن يقيم متحفا لإرثه الفني في منزل والديه بالبلدة التي ترعرع وكبر فيها.

متحفه الذي أشرف عليه وافتتحه في حياته هو خلاصة حياة، عاش الفنان جزءا منها في المهجر، بعيدا عن وطنه.

الفنان الذي احترق منزله ومحترفه بكل ما فيهما من لوحات في السنة الثانية من الحرب الأهلية اللبنانية (1976) استطاع من خلال متحفه الشخصي أن يعوّض خساراته كلها، معلنا انتصاره الأخير على أعداء الجمال.

المسافر بحياة متغيرة

غيابه عن المشهد الفني اللبناني عبر سنيّ إقامته الفرنسية التي امتدت حوالي ثلاثين سنة وهبه درسا ضروريا في مقاومة النسيان، فكان معرضه الدائم في متحفه بمثابة دعوة مفتوحة للأجيال الفنية لاستعادة تجربة فنية، كانت محط اهتمام الأوروبيين، في كل مكان عرض فيه طيبا أعماله أثناء سنوات غيابه.

> منزل طيبا ومحترفه الفني وبسبب معارك الفرقاء اللبنانيين، يكون مصيرهما الحريق والفناء. لقد كان ذلك الحدث مدعاة لرسمه لوحته «المجزرة» التي عرضها في معرضيه بروما وميونيخ في بداية هجرته

غير أن طيبا الذي عاش مسافرا قبل هجرته الاضطرارية ما كان يمكن أن يكون الفنان الذي نعرفه لولا سفره الدائم. لقد مثل تنقله بين البلدان واحدا من أهم مصادر تحولاته الأسلوبية لا بسبب اتساع دائرة معرفته الفنية التي نتجت عن اطّلاعه المستمرّ على أعمال كبار الفنانين العالميين وحسب، بل وأيضا بسبب تنوع الحياة التي عاشها غريبا. وهي حياة وهبته الكثير من مشاهدها ومن القيم التي تنطوي عليها تلك المشاهد.

وإذا ما كان طيبا قد انتقل بسلاسة وخفة من التشخيص إلى التجريد فإنه فعل ذلك بتأثير مباشر من تلك المشاهد التي عاشها بعمق وشغف أوصلاه إلى جوهرها التجريدي.

حتى في تجريدياته كان موسى طيبا مخلصا لما رآه. ما عاشه. ما امتزج بحواسه، منعما بحدسه. كانت قدرته على التقاط الصورة تسبق طريقته في تحويلها إلى أشكال وخطوط، هي في حقيقتها مرآة للانفعال.

ابن قانا عاد إليها

ولد الفنان موسى طيبا عام 1939 في قرية تربيخا، وهي إحدى القرى السبع داخل فلسطين المحتلة. عام 1948 انتقل برفقة عائلته إلى بلدة قانا اللبنانية. بعد أن درس الرسم في الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة (1957–1961) سافر عام 1963 إلى فيينا، ومنها إلى لندن، حيث تابع هناك دروسه في الأكاديمية الملكية، بعدها انتسب إلى أكاديمية روما للفنون الجميلة، حيث تلقى هناك دروسا في النحت والموزائيك والجداريات. عام 1967 عاد إلى لبنان ليعمل في تدريس الفن في المدارس الثانوية ومنها انتقل إلى معهد الفنون، ليدرّس التخطيط السريع وتقنية الألوان.

عام 1976 احترق منزله ومحترفه الفني بسبب معارك الفرقاء اللبنانيين، وكان ذلك الحدث مدعاة لرسمه لوحته "المجزرة" التي عرضها في معرضيه بروما وميونيخ في بداية هجرته التي انتهت عام 1986 في مدينة شارتر الفرنسية التي بدأ حياته فيها بدراسة تقنية الزجاجيات الملونة، ثم استقرها فيها، ليتخذ منها وطنا صغيرا له.

ولأنه كان يتردد على لبنان بعد نهاية الحرب الأهلية، فقد وهبته بلدته قانا مرسما خاصا به عام 1996، وهو الفضل الذي رده طيبا من خلال متحفه الشخصي الذي افتتح بحضوره عام 2002.

ومن المدهش أن الفنان طيبا ظلّ يعمل على تطوير متحفه حتى وفاته عام 2014. لقد نجح في أن يحوّله إلى متحف للفن اللبناني الحديث، حين أضاف إليه قاعة تضم مقتنياته من أعمال كبار رسامي جيله التي كانت جزءا من إرثه الروحي. لقد وضع طيبا روحه كاملة في ذلك المتحف وغاب مطمئنا. لقد عاد ابن قانا إليها ولكن بعد أن سلّمها كل ما يملك. وهو درس عظيم في الوفاء.

"رسام مائيات" هي صفة وليست مهنة. في العالم العربي ليس هناك كثيرون يحملون تلك الصفة. موسى طيبا كان واحدا من تلك القلة التي تعلمت أصابعها لغة الماء. وهي لغة صعبة، لا تقبل الخطأ ولا المحو ولا الإضافة ولا التكرار. المائيات عالم خاص يتطلب نوعا من الاحتراف، هو مزيج من الإتقان والخيال. فعلى اليد التي تقتحم ذلك العالم أن تتبع خيالها لتعرف متى تكفّ عن الرسم. وهو ما استفاد منه طيبا حين انتقل إلى الرسم بمواد أخرى، وبالأخص في لوحاته الكبيرة التي تميّزت بحسّها المأساوي. كانت الحرب التي أحرقت جزءا كبيرا من نتاجه الفني قد سكنته وهو في شارتر، مأواه الآمن.

متأثرا بمعاناة شعبه أقام طيبا ذات مرة معرضا بعنوان مباشر هو "الفنون ومذابح الأبرياء"، مستلهما ما شهدته بلدته قانا عام 1996، حين ارتكب الإسرائيليون مجزرة فظيعة بحق الأبرياء من سكانها. ولأن الفنان حسب الناقد عمران القيسي لم يكن تعبيريا في تجريديته ولم يكن يميل إلى الغنائية بقدر ما كان فنانا رمزيا، فقد شاء ألاّ يقف عند حدود الصورة الإعلامية التي قد تنسى بيسر، بل ذهب بعيدا في التعبير عن المعاناة بصيغتها الإنسانية الشاملة. لذلك لم تكن التفاصيل لتثير اهتمامه، في ظل ما تعلّمه من اقتضاب شفاف وزهد في المعاني التي يمكن أن يربك التركيز عليها حساسية الانفعال بوقع تأثيرها اللامتناهي. لم تكن تجريدية طيبا مغلقة على أشكال باردة.

شفافية وزهد في المعاني

عام 2012 أقام طيبا في بيروت معرضا بعنوان "فضائيات". في ذلك المعرض نجح الرسام في تدوين يومياته كائنا يمتعه الرسم لذاته. وهنا قدم طيبا واحدا من أجمل دروسه. ولم يكن قوام ذلك الدرس سوى اللعب الذي ينتج جمالا خالصا، بعيدا عن كل فكرة.

رسم كل شيء، كما تخيله محلقا في فضاء ليست له حدود. لعب بالأشكال الهندسية بلغة الإيهام البصري، فبدت في عدد من لوحاته ثلاثية الأبعاد، وكان تحوّلها هو بمثابة الحدث التعبيري الذي حاول الرسام من خلاله أن يشدّ أبصار المتلقين إلى ما يجري بعيدا عن حواسنا المباشرة.

كتله اللونية الفالتة من حجومها انساقت وراء رغبته في أن يكون حرا في طريقته في القبض على المشاهد ومتحررا من كل تعبير، يمكن أن يلحق بما يرسم. أما كان في ذلك المعرض وهو الفنان الذي عُرف بالتزامه بقضايا الإنسان قد لجأ إلى اللعب، خيارا أخيرا في مواجهة العبث الذي تتكون منه مادة الحياة وتسبب كل هذا القلق الذي يسكن الإنسان ويدفع به إلى الشك في قدراته؟

كان ذلك المعرض الذي سبق موته بعامين وصيته الأخيرة. أن نلعب، فذلك يعني أن الحياة لا تزال ممكنة. الرسم هو الآخر لا يزال ممكنا، في محيط، يتسع في استمرار، محيط لا تمكن الإحاطة به بأسلوب بعينه أو فكرة ما.

ما لا يمكن التعبير عنه يمكن التقاطه وتصفح معاجم مفرداته من خلال اللعب. ولكنه لعب خيالي يزاوج بين السحر والمهارة. إنه نوع من الافتتان بلحظة الخلق الفني الغامضة، لا بدوافعها وحسب بل وأيضا بطرق خرائطها المتشعبة. فمَن مثل موسى طيبا وهو المفتون بالمناظر الطبيعية لا يشيد لوحته جزءا بعد جزء، بل يلقي بكشوفاته البصرية كاملة، ثم يبدأ في تصفية حساباته معها.

حتى في أقصى درجات اللعب كان رسام المائيات حاضرا بدقته وحذره وشفافية حضوره.

> غيابه عن المشهد الفني اللبناني عبر سني إقامته الفرنسية التي امتدت حوالي ثلاثين سنة يهبه درسا ضروريا في مقاومة النسيان، لذلك كان معرضه الدائم في متحفه بمثابة دعوة مفتوحة للأجيال الفنية

الطائفية المعلنة

العرب وشراك تحويل المعاني

إسماعيل نوري الربيعي
كاتب من العراق

❏ "الإنسان كائن يتشبث بشبكة المعاني التي يصنعها بنفسه" كما رأى هيغل. والبحث عن المعنى، هو ذلك الفعل الذي ارتبط بالإنسان بوصفه كائنا عاقلا. فيما تراوحت تلك الفعالية وتجلّت في أكثر من طور ودور و تطلع واتجاه. فتارة يتبدى بوصفه قرارا يسعى إليه الأفراد والمجتمع، سعيا نحو تعميق مدى التواصل الإنساني، بغاية الوصول إلى الفهم المشترك، الذي يتولّد عنه تسهيل الفعاليات الإنسانية. وتارة أخرى يتبدى بوصفه معرفة، غايته التفاعل والتواصل مع البشر. هذا التواصل الذي درجت عليه البشرية من خلال اللغة، ينطوي على التفاعل الصميم مع الواقع، حيث البحث عن المعرفة النافعة، تلك التي يتم من خلالها التعبير العميق عن التجليات الإنسانية والمدركات الحسية، وتلبية الحاجات النفسية والاجتماعية والثقافية والروحية. ومن هنا تحديدا يتبدّى دور المثقف بوصفه حاملا لمشعل التنوير، في الكشف والتمييز والإفصاح، عن المجمل من العلاقات والتحديات والرؤى والتصورات والإرادات التي تشغل المجتمع.

خيوط المعنى

وفّق الكائن البشري نحو الإمساك بخيوط المعنى، لكن تداعيات السؤال الإنساني ما انفكت تحفز مدار العلاقات، حتى وفقت النخبة المثقفة نحو تحرير خطاب العقل، والعمل على تشذيبه وتوظيفه، عبر زخم السؤال المدقق الساعي نحو تفكيك العلاقات الراسخة، والعمل على تحرير المعنى من الركود والسكونية. فكانت الثورات المعرفية الكبرى، تلك التي انتقلت بالتاريخ البشري عبر مراحل وحقب مختلفة. فكان مستويات الدلالة قد تباينت وفقا للتجريد وتمفصلت في تحقيق القيم عبر المعنى السردي. فيما بقي المعنى "الفعلي و المجازي" سيد الموقف باعتبار التواصل من خلال اللغة.

في ظلّ التحولات التي يشهدها العالم الراهن، والتسارع اللافت لمنجزات الثورة المعرفية والاتصالية. بات الواقع يعيش عصاب سؤال الهوية. حيث الحضور العميق لمسألة الآخر. فيما أفسحت العولمة وتجلياتها المجال الواسع لمسألة الانفتاح والتطلع نحو النهل عن الآخر من دون اقتصاد. فإذا دمغ جيل الإصلاحية العربية بالتخلي عن الموروث الحضاري والخصوصية الثقافية، والاندراج في لعبة الغرب، باعتبار الحاجة إلى التعليم الحديث والطب والتقانة والتسليح ومفردات الحياة الحديثة، فإن الفاصل الزمني والذي تجاوز القرن من الزمان، راح يشير إلى استغراق الواقع العربي بالاستهلاك والتلقي. حيث التورم الذي راح ينال من المفاصل في جسد الأمة، والركود القار والراسخ الذي باتت "الفجوة الرقمية" تشكّل أبرز ملامح العلاقة القائمة بين الواقع العربي والآخر. فإذا كان الابتلاء بالتغرّب أحد أبرز مظاهر تأثر الشرقيين بالغرب، خلال القرنين الماضيين، فإن الفجوة الراهنة، راحت تحث مرتكزات المعنى، حول الآخر برمته، الذي يتفاعل ويتعايش وينجز ويؤثر ويتأثر. وهذا ما تشكف عنه أحوال التفاعل على المسرح الدولي، حيث التفاهمات والانسجامات القائمة بين الشمال والجنوب، والتطلع نحو توزيع الأدوار والتي لا تخلو من هيمنة بالطبع! وطبائع متوحشة تصدر عن الطرف الأقوى بإزاء الأضعف. فيما يعيش العرب اليوم أحوال الانقسام والتشظي والصراع والانكفاء المقيم.

من التخوين إلى التكفير

الخطاب العربي الراهن يعيش أوضاع الانقطاع، حيث الفقد المريع لأحوال التواصل، وحيث التفاعلات القطاعية، والتي راحت تتجسد في الانكفاء الفردي والغياب المريع للتفاعل المفترض. إنها الطائفية المعلنة والاندراج في لعبة التشظي المقيم، حيث الانحياز المباشر للطائفة والمذهب والعرق. وإذا كان الخطاب الأيديولوجي العربي قد كرّس أحوال التخوين في حقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وتفاقمت مدركاته بعد الحرب العالمية الثانية، فإن الخطاب الأصولي بات تمثيلا مريعا لمجريات الممارسة الاجتماعية، حيث التطلع نحو نقل المعنى القار والثابت، والذي أعدّ في مطبخ المعنى الخاص بتلك الفئة أو الطائفة، والإجراءات المتعلقة بتكوين المعنى، حتى غدت الأفعال وقد توجّهت نحو تكريس أحوال التبشيع والقتل على الهوية والهدر للمعنى، انطلاقا من تقديم الدوغما العقائدية على كل ما دونها من رؤى وتصورات.

"إنه الفعل الإنساني الذي يدل على صاحبه" على حد تعبير باختين، حيث الترسيم للمجمل من مستويات العلاقات، والتي يتم دمجها قسرا في الخطاب عبر التقديم للقيم والمعتقدات بناء على القراءة أحادية الجانب، والتي تكرس المعنى الواحد، بناء على الظرف الاجتماعي الذي يحيط بصاحب الخطاب، والذي لا يتوانى عن التطلع نحو إنجاز أهدافه المحددة، بطريقة مباشرة. إنها استراتيجيات جعل الخصم بوصفه "Target". فإذا كان الخطاب الأيديولوجي قد رفع شعار قذف العدوّ في البحر، وأن كل شيء من أجل المعركة، فإن الخطاب الأصولي الراهن تطلع نحو الانغلاق عن الآخر وتبني الممارسة الساعية نحو الداخل بوصفه رهينة، حتى بات العدوّ الرسمي والمعروف في هناء العيش وأتم أمن!؟ إنه التلفيق على أشده، حين يتم اللعب في حقل المعنى والتوجه نحو خلط الألوان والأشكال والمعاني والدوال على أساس رفع شعار الإفلات من التغريب عبر تفعيل مجال الخلط في المعاني، والتأكيد على إبراز نصوص بعينها، والعمل على إقحامها في لعبة "الهيمنة والسطوة والقوة". إنه الخلط المضاعف بين الديني والسياسي وجعل الواقع عبارة عن مسرح لممارسة الحضور من خلال التشريع لعملية "الذبح المقدس"، في الوقت الذي أشبع فيه المواطن العربي استبدادا وتكميما للأفواه من خلال شرعية الدولة القطرية.

تخطيط: ساي سرحان

كيف يمكن تمييز ملامح الراهن العربي بعد الربيع العربي على وجه الخصوص؟ بعد أن أمسى الاختلاط في الحقول على أشده، حتى بات من العسير التمييز بين السياسي والاجتماعي والديني والثقافي والحكومي. واشتطت الأفعال حتى لم يعد أمر التعيين هينا حول الحزبي والطائفي والإداري والسيطرة والاختراق، فيما تشظت المضامين وبات أمر ترصدها عسيرا حول الصراع والتصادم والأخلاق والتبرير والتنمية. إنها أحوال التناهب الذي راح يلازم الموضوعات، حتى اختلطت الديمقراطية بالهوية، والسياسة بالحياة، والحوكمة بالتنمية المستدامة. وإذا كانت "الحقيقة تُعرف بنتائجها" كما يقول بيرس، فإن نتائج الربيع العربي قد أثمرت عن التمزيق للعديد من البلدان العربية وتهديد وحدتها في الصميم، والانفلات الأمني وتغوّل قوى الإرهاب، وتوسع نفوذ القوى الأصولية.

لقد حضر الدال (اللفظ-الكلمة-التعبير-الصوت)، وغاب عن الواقع المدلول (المفهوم-المعنى-المحتوى-الفكرة)، وغدا الالتباس سيد الموقف، على اعتبار أن "اللغة شكلا لا مادة" على حد تعبير سوسير، فالجميع يرفض الاستبداد ويندد بالطغيان، فيما لم يجد المواطن العادي سوى الانفلات الأمني، وإلباسه شاء أم أبى هوية طائفية ومذهبية وعرقية؟ حتى لم يعد متوافرا في الواقع العربي سوى التبعية والخضوع والاستسلام الذي توطّد عبر حقبة التسيد الأيديولوجي، وراح يتسلل في وسيط "الفوضى الخلاقة"، فيما يبقى السؤال طائشا وحائرا حول معنى الحرية والديمقراطية وتقرير المصير، في ظل النزوح واللجوء للمواطن داخل بلده! وإذا كان الفرد العادي الذي عانى من ويلات جهاز القمع البوليسي واضطهاده وتدخلاته السافرة في أدق خصوصياته، وعاش مؤمّلا النفس بالحصول على حلم "اللجوء في بلدان الرفاهية"، فإن غاية ما يتمناه اليوم بات يقوم على حلم "الملاذ الآمن"، أما الحقوق الطبيعية التي شرّعت لها جميع النواميس والقوانين والدساتير حول الحق في السكن والعمل والعيش الكريم، فقد غدت مثارا للتندر والسخرية.

مناهج الأزهر ونهج العنف

إبراهيم الجبين
كاتب من سوريا

❏ الصحوة التي قام بها الأزهر مؤخراً، بعد افتضاح أمر المناهج التي تحرّض على العنف في صفوفه ومراحله التعليمية المختلفة وصولاً إلى الدراسات العليا، لا تشي بأن التحريض على العنف قد زال بالفعل. فالتخفيف الطفيف الذي واجهت به هيئة بهذه المكانة العلمية المركزية في العالم الإسلامي، لم يكن ليشمل جميع ما في تلك المناهج من أفكار.

ولأن الأزهر لا يعني مصر وحدها، بفعل كونه الحاضن الرئيس للغالبية الساحقة من علماء الدين في العالم الإسلامي، وكذلك للأئمة والخطباء ومدرّسي الشريعة في جميع المراحل، وكذا لدارسي العلوم «الكونية» في جامعة الأزهر، كالطب وسواه، فإن هذا يعني أن أجيالاً ما تزال على قيد الحياة تنقل تلك الفيروسات العنفية على شكل فتاوى وآثار وأقوال وحكم في كل مكان تحل فيه وفي كل لحظة تأثير تمارسها.

الوسطية التي اشتهر بها الأزهر، وسط دوامات العنف الفكري المحيطة، كان لا بد لها من أن تعيد النظر في المادة العلمية التي تلقّن للطلاب، لا سيما وأن العلم الشرعي بالنقل لا بالعقل، كما يقول علماء الأزهر ذاتهم منذ نشأت تلك القلعة الشرعية في قاهرة المعز.

وقد كان لافتاً ما جرى في السنوات الأخيرة من غضب بين المثقفين والكتاب المصريين، ضد المناهج العنفية في الأزهر، لا سيما تلك التي تبيح أكل لحم الأسير. كتب مثل «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع»، «الشرح الصغير»، «الاختيار لتعليل المختار»، «الروض المربع بشرح زاد المستقنع» وغيرها، يرد فيها ما يلي «وللمضطر أكل آدمي ميت إذا لم يجد ميتة غيره أما إذا كان الميت مسلما والمضطر كافرا فإنه لا يجوز الأكل منه لشرف الإسلام».

قد سبقت هذا الجدل محاولات ومحاولات، لتنقية المناهج الأزهرية من هذا الخط العنيف، فالتفت شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي، إلى تلك المناهج وألغى الكثير منها، واستبدلها بكتابه «المُيسّر»، الذي ألغى شيخ الأزهر الحالي أحمد الطيب تدريسه لاحقاً تحت ضغط ما عرف بـ«جبهة علماء الأزهر».

لا يقتصر الأمر على العنف الجسدي، بل إن ما يختبئ خلف ذلك، من عنف فكري يرفض الآخر، ويرسّخ ويشرعن محوه وإبادته، هو ما يتسيّد على مناهج الأزهر. والأمثلة على ذلك كثيرة، كما جاء في كتاب «الشرح الصغير» المقرر على الصف الثالث الثانوي «وله- أي للمسلم- قتل الزاني المحصن، والمحارب، وتارك الصلاة، ومن له عليه قصاص، وإن لم يأذن الإمام في القتل، لأن قتلهم مستحق، ثم بعد ذلك يأكل منه ما يشاء».

وفي صفحة 340 من كتاب «الاختيار لتعليل المختار» نقرأ ما يلي «أما الأسارى، فيمشون إلى دار الإسلام، فإن عجزوا، قتل الإمام الرجال وترك النساء والصبيان في أرض مضيعة حتى يموتوا جوعا وعطشا، لأننا لا نقتلهم للنهي».

> كان لافتاً ما جرى في السنوات الأخيرة من غضب بين المثقفين والكتاب المصريين، ضد المناهج العنفية في الأزهر، لا سيما تلك التي تبيح أكل لحم الأسير

قرأت رأياً شجاعاً للمستشار أحمد ماهر الباحث في فقه اللغة ينتقد فيه ما ورد في الصفحة 255 من كتاب «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع» الذي يدرسه طلاب الأزهر، يحل أكل الإنسان لبعض جسمه وقت المجاعة وللمسلم قتل مرتد وأكله، وقتل حربي، ولو صغيرا، أو امرأة وأكلهما، لأنهما غير معصومين. ويضيف الكتاب «إن للمسلم لكفاية لشر الكافر أن يفقأ عينه، أو يقطع يديه ورجليه، وكذا لو أسره، أو قطع يديه أو رجليه».

كتاب «الاختيار لتعليل المختار» هذا، مثال بليغ على ذهنية لا يمكن لها إلا أن تستمر في إنتاج العنف بكافة صوره. فهو يعطي الفتوى إثر الفتوى حول القضايا الأساسية التي عرف الإسلام بها متسامحاً، لا على النمط الذي يصبّه مثل الرصاص الذائب في أدمغة الدارسين كتاب من هذا النوع. ففي الصفحة 366 وفي باب «أحكام المرتد» نقرأ «وإذا ارتد المسلم يُحبس ويعرض عليه الإسلام، وتُكشف شبهته، فإن أسلم وإلا قتل، فإن قتله قاتل قبل العرض، لا شيء عليه. ويزول ملكه عن أمواله زوالا مراعى، فإن أسلم عادت إلى حالها».

أما كتاب «الروض المربع بشرح زاد المستقنع» الذي يدرس بالصف الثالث الثانوي الأزهري يرد فيه وفي الصفحتين 90 و91 أنه «لا يلزم الزوج لزوجته دواء وأجرة طبيب إذا مرضت، لأن ذلك ليس من حاجتها الضرورية المعتادة، وكذا لا يلزمه ثمن طبيب وحناء وخضاب ونحوه، وإن أراد منها تزييننا أو قطع رائحة كريهة وأتى به لزمها».

كتاب «الاختيار» وفي الصفحة 250 منه، يعلّم لطلاب الأزهر أنه «لو استأجر الرجل المسلم امرأة ليزني بها وزنى بها، أو وطئ أجنبية في ما دون الفرج، أو لاط فلا حدّ عليه ويعزّر». أما في الصفحة 252 «الزنا في دار الحرب والبغي لا يوجب الحد».

القاعدة القرآنية تقرر العقوبة على الفرد، ولا تسحبها على من يخصه من جماعة أو أقارب أو أفراد من أسرته، لكن المناهج الأزهرية تعمم القصاص، ومثال ذلك «تُقتل الجماعة بالواحد، ويقتل الواحد بالجماعة اكتفاءً، وإن قتله وليّ أحدهم سقط حق الباقين». أما منهاج السنة الثالثة من الثانوية الأزهرية، فيدرّس للطلاب أن «قتال الكفار واجب على كل رجل عاقل صحيح حرّ قادر» ، وأيضاً «المرتدون وعبدة الأوثان من العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ولا تتم موادعتهم أبداً».

ثار الجدال العنيف بين المثقفين والأزهر، حول تلك المسائل وغيرها، من الحجاب إلى أكل لحم الأسير، فجاءت ردود شيوخ الأزهر مثيرة حقاً، كما في رد الشيخ محي الدين عفيفي، الأمين العام لمجمّع البحوث الإسلامية، الذي هاجم المثقفين المصريين، وقال إن «روح الإنصاف تقضي أن يذكر وزير الثقافة أن من أسباب انتشار العنف الديني في مصر هو تراجع بل غياب دور الثقافة»! وهكذا أصبح المقصّر هو المثقف، بينما يطلق رجال الدين على مناهج الأزهر وصف «القلعة الحصينة» و«صمّام الأمان». وكأن المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي لم تحارب الثقافة ولم تطالب بحرق الكتب ومنعها ومحاسبة هذا الكاتب أو ذاك على تصريح أو مقال أو كتاب أو قصيدة.

حاول شيوخ الأزهر الإصلاحيون إجراء إصلاحات في المناهج، لكن العملية ربما تتطلب ما هو أكثر من الإصلاح التجميلي، فالفكر الإسلامي العربي عبر أربعة عشر قرناً، لم يورّث لنا فقط الاتجاهات العنفية والبربرية، فلماذا اقتصرت الهياكل التعليمية الشرعية على تدريس هذا الصنف من التفكير الشيطاني، وترك الفكر التنويري الذي مثله كبار المفكرين والفلاسفة وعلماء الدين الذين تحلوا بشجاعة مبكرة؟

التطوع الثقافي

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ نفتقر بشكل عام في العالم العربي إلى روحية التطوع والعمل الابتكاري أو المبادرات الجماعية على صعيد العمل الثقافي، وهو من أولى متطلبات التحرر من هيمنة الدولة على الثقافة،على الرغم من أن الأجيال الكبيرة من المثقفين العرب قد رضخت بشكل أو بآخر إلى ما ترسمه الدولة لها من آليات الممارسات الثقافية بحكم التربية والانتماءات الفكرية والأيديولوجية، إلا أن الأجيال الجديدة تتمتع بمقدار معين من روح التمرّد والثورة على الأطر الثقافية السائدة ونزعة فطرية للخروج من معطف الدولة ونظرتها المتخاذلة للممارسات الثقافية.

وطالما ارتبط العمل التطوعي الجماعي بروحية الشباب من ذوي الهمم العالية الساعين لتأكيد ذواتهم وقول كلمتهم، فقد اعتاد أغلب المثقفين العرب على الشكوى وإلقاء اللوم على الدولة في التقصير وإهمال البنى التحتية للثقافة، على الرغم من أن تلك الأخيرة لا تكاد تختلف عن مثيلاتها في الدول المتقدمة، ذلك لأن الاهتمام بالأنشطة الثقافية يبقى ممارسة معنوية ليست ذات نفع مادّي مباشر للدول والحكومات، وفي أوروبا يعمل أغلب المشرفين على المكتبات العامّة والمسارح ودور السينما الشعبية والمنظمات الثقافية بشكل تطوعي، ولا يتلقون أجوراً لقاء مجهوداتهم، باستثناء أجور النقل على سبيل المثال، بينما يأنف المثقف العربي من العمل التطوعي ويعده استهانة بمكانته الرفيعة التي ينبغي أن تُكافأ بأيّ طريقة من الطرق.

ونظراً لقلة المبالغ المرصودة للنشاطات الثقافية عموماً واقتصارها على صناديق الدعم المموّلة في الغالب بواسطة شركات تجارية ورجال أعمال من ذوي الاهتمامات الثقافية، فقد عوّض المثقفون في الكثير من الدول هذا النقص بالعمل التطوّعي أو آليات التضامن مع بعضهم البعض، وما زلت أشهد أفلاما ومسرحيات ومعارض فنون تشكيلية تُنجز هنا وهناك بمبالغ لا تكاد تذكر، فما أن يعلن فنان ما عزمه على إخراج فيلم حتّى يتداعى له الفنيون والممثلون لمساندته وتقديم مجهوداتهم وخبراتهم بشكل مجاني يغمرهم الفرح والمتعة نتيجة لتلك الممارسة وما تخلفه من شعور بالرضا في النفس. لقد دعتني مجموعة من الشباب المبدع لكتابة هذه المقالة بعد أن شاهدت فيلماً قصيراً عما قاموا به من عمل تطوعي وهم يعيشون في مدينة صغيرة شبه نائية من أعمال محافظة ذي قار في العراق تسمّى البطحاء، عندما بادروا لإزالة الأنقاض المتراكمة في مبنى المكتبة العامّة المهملة في مدينتهم منذ الاحتلال، وراحوا يجمعون المبالغ الصغيرة من أقرانهم ليشتروا بعض مواد البناء والتبييض والأصباغ وقاموا بأعمال الصيانة للمبنى ودهنه وإعادة التأسيسات الكهربائية له، بعد أن حصلوا على تعهدات مسبقة من ناشرين ومكتبات في بغداد للتبرع لهم بالكتب من أجل إحياء المكتبة وخلق مناخ ثقافي لهم يمكن أن يكون نواة لأنشطة وفعاليات ثقافية أكبر في المستقبل.

لقد شعرت بالغبطة والفخر وأنا أشاهد فيلمهم القصير وما قاموا به من مجهودات دافعها حبهم للثقافة والكتاب وحرصهم على توفير مناخ صحي لهم ولزملائهم بعيداً عن الممارسات الظلامية التي تحاول أن تشيعها أحزاب الإسلام السياسي التي ابتلي بها العراق.

إنّني من هذا المنبر أحييهم وأدعو زملاءهم الآخرين للحذو حذوهم وعدم الركون لليأس أو التحجج بتقصير الدولة إن وجدت، وكم كنت أتمنى أن أشهد مبادرات مماثلة أخرى في عالمنا العربي المبتلى بالأيديولوجيات الشوهاء والمفاهيم الظلامية، من أجل خلق مناخات مناسبة للأجيال الجديدة من المثقفين لتمارس عطاءها وتنمّي مواهبها ولا تنتظر من السياسي العربي الذي ينظر للموسيقى كعورة والرسم كشرك بالذات الإلهية أن ينتصر لأحلامهم أو يفهم ميلهم الإنساني الفطري نحو الجمال والعطاء والابتكار والحب.

تنشر المقالتان بالاتفاق مع الشهرية الثقافية اللندنية "الجديد"

صوفي القصة القصيرة

سعيد الكفراوي للقرية المصرية التأثير الأكبر على كتابتي

تحت وطأة الذاكرة وهوس الحنين، يمضي سعيد الكفراوي عمره في الكتابة، ثمة لحظات يسعى للإمساك وأيام انقضت في عصورها الغابرة لكنها لا زالت حاضرة في ذاكرته، يعيش بها حياته ويُسطّر بها حكاياته، شجنٌ ينبعث من شعوره اليقيني بانقضاء تلك الأيام الحميمية التي شهدت أجمل لحظاته وأكثرها دهشة في إحدى القرى المصرية، ومن اقتراب النهاية لتلك القصة الطويلة لحياته التي قطعها عبر 12 مجموعة قصصية.

ذلك القاص العجوز، الذي تجاوز السبعين من عمره، لا زال يعيش بقلب الطفل القروي الذي لم يغادره يومًا والذي خبر الحزن باكرًا، "من قال له احزن؟ ربما كان هؤلاء الأعداء أو هؤلاء الذين يحبونه، ربما تلك السنوات التي ضيع فيها عمره"، أو ربما ذلك الموت القاسي الذي حاصره صغيرًا وعرفه في سنواته الأولى ليصير جزءًا أصيلًا من تكوينه النفسي والمعرفي ومن مخزون روحه الذي يفيض على الورق ليروي لنا عن ذلك الصبي سريع التعلق بالدنيا.. صندوق الدنيا الذي أسره مذ رآه أول مرة، وذلك الجواد الذي صاحبه وألفه إلى أن شاهد عمليةَ إعدامه بنفسه، ومخاوفه الصغيرة التي ظلت كامنة في وعيه، وأحلامه التي كانت بعيدة المنال في أحيان كثيرة.

سعيد الكفراوي، هذا العاشقُ الصوفيُّ لفنّ طالما أغواه وعبرَ عنه، لا يغادر الحديث عن دهشة الطفولة في القرية والمدينة سوى بالحديث عن الموت كنهاية للحياة.. عن ذلك الموت شديد الغلظة الذي يضع كلمة النهاية في لحظة عابرة، وعن الأحباب الراحلين القابعين في غياهب القبور والذين شاهد رميم عظامهم بعد وفاتهم بأعوام، عن ذلك الزمن الذي يضيع فيصرخ "غايتي أن أستحوذ على زمن يضيع".

يقول صديقه الشاعر محمد عفيفي مطر عن قصصه "أزمنة متراكمة متداخلة من الوعي الجماعي، وطبقات من الذاكرة المحتشدة وبحركة الأسلاف وكثافة حضورهم الحي في الهياكل المتداعية والدهاليز، وعرق السعي الخلاق ودبيب التراب المتطاير، ذلك هو التنفيب الموهوب في كتابة سعيد الكفراوي باعتبارها الجذر الأصيل لأيام يجب أن تجيء، دلالتها، التقاط الشعر مما هو يومي عابر، في الأشياء والتصوير الشامل لوطن تتداح فيه الشيخوخة.. الذبول ونضارة التذكر وصبوة الزمان والمكان لتفتح ثغرة للولادة".

مشوار إبداعي طويل بدأ بمجموعة "مدينة الموت الجميل" مرورًا بـ"ستر العورة"، و"مجرى العيون" و"دوائر من حنين"، و"سدرة المنتهى"، و"أيام الانتيكة"، و"بيت للعابرين" وغيرها من المجموعات المميزة، ظل فيها الكفراوي محافظًا على ولائه لفنه الأثير "القصة القصيرة" التي راها التعبير الأمثل عن الجماعات المغمورة الذين كتب بهم هيمنغواي وتشيخوف وبورخيس أهم أعمالهم، وخرج بها مع مجايليه من شكلها التقليدي إلى تيارات التجريب المتعددة من واقعية جديدة أو شعرية أو قصص أسطورية أو محايدة من الواقع المصري.

يقول الكفراوي "مُقدر عليّ أن آتي بالماضي وأثبته على صفحات هذه الحكايا.. هل هو الصوت الذي يأتي من الآماد البعيدة، عبر الحلم وكهف الذاكرة؟ أم إنها طفولة ما مضى من أيام؟ ربما.. أو كما يقول أستورياس (من يجعل، وهو يرحل، أو يموت، أهله يتذكرونه ويستمرون على الإحساس بأنه يعيش معهم لا يكون قد رحل نهائيًا، لا يكون مات تمامًا)".

* قلم التحرير

حنان عقيل
كاتبة من مصر

"الجديد" التقت القاص المصري سعيد الكفراوي في حديث عن مشواره الإبداعي والقصصي المميز الذي حفر اسمه بارزًا في مسيرة فن القصة القصيرة، متطرقين إلى عوالمه القصصية وروايته التي لم تكتب، وجيله من رواد ذلك الفن وبعض التقنيات التي ظلت من العلامات المميزة لفن الكفراوي.

■ الجديد: تنتمي لجيل سبتيات القرن العشرين الذي أحدث تطورًا كبيرًا في فن القصة القصيرة؛ كيف تنظر إلى قضية المجايلة تلك؟ وما الدور الذي لعبه هذا الجيل في ذلك الفن؟

● الكفراوي: القصة القصيرة حديثة في الأدب العربي.. هي في الأصل فن غربي لكنها موجودة في بعض حكايات التراث، ظهرت تجلياتها في المدرسة الجديدة على يد بحيي حقي وحسين فوزي ومحمود تيمور، وكان ليحيى حقي دور كبير في إعطاء فن القصة شكل المدرسة الغربية. وفي الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي كانت القصة أكثر أهمية من الشعر. انفجرت القصة في ستينات القرن العشرين وقدمها للكتابة العالمية نجيب محفوظ وأعطاها الروح المصرية يوسف إدريس الذي كان يتمتع بموهبة كبيرة متوحشة ولديه قدرة على الغوص في عمق الشخصية المصرية.

> ما يفسد العمل الفني هو الأفكار؛ فالأفكار شقيقة الأيديولوجيا، والعمل الأدبي يقوم على التخييل وليس الوقائع، على ما تتخيله المخيلة

جاء جيل ستينات القرن الماضي الذي انتمي إليه ليعبّر على هذا الكوبري الذي صنعه الرواد إلى حداثة الكتابة كما صورها الروائي والشاعر الأميركي فوكنر، كنا جميعًا نلتف حول نجيب محفوظ بكتاباتنا في القصة باستثناء كلّ من صنع الله إبراهيم الذي أصدر رواية "تلك الرائحة"، وعبدالحكيم قاسم برواياته "أيام الإنسان السبعة"، ويوسف القعيد برواية "الحداد"، إلا أن استحكمت سطوة الاستبداد السياسي في الحقبة الناصرية فظهرت الرواية لمواكبة التغيرات في شكلها الأعمق.

وكان الكاتب الجيد إدوار الخراط هو أول من أطلق على هذا الجيل "جيل الستينات"، ذلك الجيل الذي مثّل وثبة مضادة في الأدب ضد السائد والقديم، عاش هذا الجيل أحلام التغيير في ثورة يوليو 1952 ووطأة الهزيمة بعد النكسة، وكان له القدرة على تطوير تقنيات الكتابة من الشكل التقليدي إلى تيارات الحداثة في الكتابة.

الكتابة والزمن

■ الجديد: كتبت 12 مجموعة قصصية. هل أصبحت الكتابة بمرور الوقت أكثر سهولة مما كانت في البداية؟

● الكفراوي: على العكس، صارت الكتابة أكثر صعوبة، وأضحت علاقتي مع الكتابة يحكمها الصراع والخوف منها؛ فأنا كتاب متقدم في السن افتقدت جزءًا من الجسارة التي كانت تصاحبني وأنا شاب، وكثرت الوساوس والشكوك حول ما اكتب، ولأن الخبرة اتسعت مساحتها والإحساس بالانقضاء في العمر بات أعمق، صرت أعيش اللحظة ما بين الانقضاء والإبداع متمنيًا أن اكتب في تلك المسافة الضيقة أحلى ما يمكن كتابته، ومن ثم تقلّ الكتابة بسبب تناقص العفوية، وتزداد الرغبة في الحفاظ على قدر من الحكمة والتأمل والرغبة في حسن تجسيد الناس على الورق كي يعيشوا مددًا طويلة كما يقول الكاتب الأميركي همنغواي. سُئل أحد الكتاب اللاتينيين عن ماهية الأدب الخالد والشكل المثالي الذي يعيش طويلًا فأجاب قائلًا "عندما يقرأ لي أحدهم في مصر ويقول لقد سبقتني في كتابة ما أريد أن أكتبه".

القرية المصرية

■ الجديد: عوالم القرية المصرية تركت أثرها الواضح والمميز في أعمالك.. هل شخوص أعمالك جميعهم هم أبطال حقيقيون وواقعيون عايشتهم في القرية؟ هل ثمة حدود بين الواقعي والمتخيل؟

● الكفراوي: تكمن تجربة أيّ كاتب في وعيه وما عاشه طوال حياته وما تبقّى في ذاكرته. نحن أبناء واقع نعيشه بحلوّه ومتغيراته وتجليات عوالمه، ومن ثم قدرة الكاتب تكون في تحويل هذا الواقع إلى فن. نحن لا نكتب الواقع ولكن نستعين بالواقع على الكتابة، وبالتالي كل الشخصيات والأمكنة وكل ما كوّن وعيي موجود في الكتابة؛ فالشخصيات مستقاة من الواقع لكنها ليست هي الواقع. الفكرة كامنة في كيفية تحويل هذا الواقع إلى مادة إبداعية.

القرية المصرية التي عشت فيها طفولتي وحياتي تركت تأثيرها الكبير على كتاباتي التي انطبعت بكل معالم القرية والمولوسها في الميلاد والموت والعلاقات الإنسانية، فصرت أكتب عما تكوّن في ذاكرتي عن هذه القرية، انتمي لقرية قديمة تكاد تختفي، بعض الأماكن لا تزال موجودة كثيرًا ما أتوجه إليها لمعاينتها. صرت من هذه القرية بيدوتها المبنية من الطين وكتاتيبها القديمة، وتكونت ذاكرتي من مضامين الحكايات فيها.

تلك الثنائيات

■ الجديد: الثنائيات الجدلية مثل الطفولة والكهولة، الحياة والموت، المكان والزمان، القرية والمدينة شكلت متكئًا أساسيًا في أعمالك القصصية.. ما الأبعاد التي أضافتها تلك المتكآت على فنك القصصي؟

● الكفراوي: في الحقيقة، تلك الثنائيات لم تكن قصدية في بداية مشواري مع الكتابة، لكنها تكوّنت لاحقًا مع الكتابات النقدية التي تناولت أعمالي مثل مقالات أدونيس وجابر عصفور ومحمد بنيس وإدوار الخراط. علاقتي بالكتابة بدأت كأيّ كاتب ريفي، وجدت مخدّرًا لألف ليلة وليلة وأنا طفل فقرأته بفتح وعيي وخيالي على عالم الكتابة، وتعرفت لاحقًا على جماعة في مدينة المحلة الكبرى أسسوا ناديًا أدبيًا في قصر الثقافة، وهي جماعة مدهشة كانت البداية معهم ولا تزال مستمرة، محمد المنسي قنديل وجابر عصفور ونصر أبو زيد ومحمد فريد أبو سعدة ومحمد المخزنجي. بدأنا الكتابة وكانت لدينا رغبة في كتابة مغايرة على غرار ما أنجزه يوسف إدريس ونجيب محفوظ وترجمات كافكا وتشيكوف وهيمنغواي، وتكونت لديّ رؤية لما أريد أن اكتب.

بدأت الثنائية الأولى المتعلقة بالحياة والموت مع قصة "عزاء" التي تحكي عن فتاة كفيفة عرفتها في الكُتّاب تقرأ القرآن بصوتها العذب، فلقني الشيخ أن اصطحبها من وإلى الكتاب، ماتت فجأة، وسرنا في جنازتها فاتحين المصاحف، ورأيتها في منزل الميتين، وكانت تلك عظام الميتين، وكانت تلك تجربتي الأولى مع الموت. وعندما انتقلنا إلى المدينة كثرت أسئلتنا عن واقع هذه المدينة والبحث عن الحرية وذلك العالم الزخم الذي لا يشبهه عالم القرية البسيط الذي جئنا منه. وكثرت الأسئلة والتساؤلات ومن هنا تولدت وتبثت تلك الثنائيات.

إدوار الخراط هو من أطلق على جيلنا اسم «جيل الستينات»

في مجموعة "البغدادية" الحديث كله عن الرحيل، وفي "سدرة المنتهى" الكثير من القصص عن جدل الحياة والموت، فالموت دومًا يشغل ذاكرتي باعتباره استكمالًا للحياة، وأنا لا أستطيع أن أواجه فنائي الشخصي فأنا شديد الخوف من الأبدية.

دهشة الاكتشاف

■ الجديد: "عبدالمولى" هو الشخصية الأكثر حضورًا في أعمالك.. ما سبب تكرارك لهذا الطفل عبر قصصك؟

● الكفراوي: الكاتب البرتغالي الكبير ساراماغو يقول "انطلق زمام أمرك للطفل الذي كنته"، وهناك مقولة أخرى لكاتب عالمي يقول "الطفل أبو الرجل"، والطفل عندي يمثل فيما كتبته متنا طويلًا في العديد من القصص، من خلاله تعرفت على الدهشة.. دهشة الاكتشاف واول لحظات الحزن او الفرح، دهشة التعرف على الموت، فالطفل كان دائمًا لحظة اكتشاف للخفيّ والمسكوت عنه ولحظة دهشة عن الحياة والموت والحفاوة بالحياة، وهو السؤال الأساسي فيما كتبته عن عالم القصص. عبدالمولى كان طفلًا واحدًا بإجابات كثيرة، هو الذي شاهد صندوق الدنيا وخاف من الجمل وشاهد الموتى واعطته الأميرة فوزية قلادة ذهبية مكافأة له على حبه للملك.

أسماء أهلي

■ الجديد: أحيلك إلى ما أطلق عليه إدوار الخراط تقنية "التهشير في أعمالك" والحدود المعمدة في تسمياتك، فالراوي هو دائمًا "عبدالمولى"، والأب "سلامة" والجدة "هانم".. ما أهمية تلك التقنية في قصصك؟

● الكفراوي: هذه أسماء أهلي الحقيقية، في بعض الأحيان يحدث التخييل وتتغير الأسماء، لكن في أوقات أخرى عندما أضع اسمًا غريبًا ومتخيلًا على قصة حقيقية أشعر بنقصان الصدق. في كثير من القصص أرى الشخص كما هو في الحقيقة فاحتفظه له باسمه. الأسماء ملك لي ككاتب وهي نغمة في اللحن العام لكتابة رجل اسمه سعيد الكفراوي.

في قصة "شرف الدم" رأى الشاب رميم أهله بعد الوفاة عدا والده، فظل يبحث عنه في كل مكان وكلما ازداد بحثه توغل في العمر إلى أن بلغ عمر أبيه، وعندما ينظر في المرآة يجد صورة والده فيها، تلك اللحظة الحقيقية من مشاهدة الموتى بعد رحيلهم لا يوجد فن في العالم يقابلها فكتبتها كما حدثت.

الجنس في قصصي ليس تعبيراً رمزياً ولكنه حقيقي

الغموض في أدبي مصدره شعرية النص والفكرة

■ الجديد: تتجلى في الكثير من أعمالك الصحة الإيروسية والربط بين خصوبة الجنس وخصوبة الأرض. هل هي محاولة لتأكيد الاحتفاء بالحياة في مواجهة الموت؟

● الكفراوي: هذا صحيح فعلًا. الجنس في أعمالي يمثل حقيقة عالم أكتب عنه وليس عالمًا رمزيًا. في واحدة من القصص تسير المياه في شقوق الأرض بينما تمارس امرأة عانس اغتصابها للغلام، وفي قصة "لون الماء" تحدث علاقة بين الصبي وفتاة بكر على صوت المياه أثناء الاستحمام. الإيروتيكا منتزعة من لحم الدنيا وهو ما أعطاها صدقها وحيويتها وكانت محورًا اساسيًا في العديد من القصص. القصة بالنسبة إليّ شقيقة للشعر وأنا مغرم دائم للنص السهل صاحب اللغة المركزية، أتقاطع مع شاعر أشبهه في الشكل والكتابة هو محمد عفيفي مطر، فنحن أولاد التراث المصري والأحلام والكوابيس وصوت الليل والحس بالطين، الكتابة إن لم تكن تعبيرًا عن مجمل تاريخك ومعيشتك ومعارفك لا تكون لها أهمية.

قوة المرأة

■ الجديد: المرأة في أعمالك القصصية تتميز بالقوة والقدرة على الفعل على عكس ما هيمن على الكثير من السرديات التي اقتصرت على تصويرها كموضوع للمتعة. هل جاء ذلك تحت وطأة الخيال والذاكرة في بتعمّد مسبق؟

● الكفراوي: المرأة في أغلب القصص من هذا النوع نساء وحيدات ترمّلن بعد وفاة الزوج وحملن مسؤولية تدبير المنزل وتربية اليتامى، وهنا تكون الأم هي عمود الخيمة ومدافعة عن الحياة لأسرتها، فهي فاعلة بسبب من طبيعة حياتها وبسبب اختياراتها، لكن ليس لديّ التعمد في الكتابة، لم أكتب يومًا قصة بنية أو قصدية مسبقة؛ فأنا أكتب النص ويتغير عند الكتابة وعند التعديل للسعي نحو الصدق والإمساك بحقيقة غير باحثٍ عن إجابات محددة.

رواية لم تكتب

■ الجديد: كتبت جزءًا كبيرًا من رواية بعنوان "بطرس الصياد". ما موضوعها؟ وما مصيرها الآن؟ وهل كتبتها تحت وطأة الاهتمام الراهن بالرواية على حساب غيرها من الأجناس؟

● الكفراوي: كتبت تلك الرواية بنيّة مسبقة وهي أن أكتب رواية لم تكتب فلم تُكتب، ولا يوجد عمل يكتب بهذه النيّة، يجب أن تركع على ركبتيك ما دمت أردت الكتابة ولا يجب الدخول عليها بهذه النيّة، أردت أن أكتب شيئًا غريبًا عن الرواية العربية ومحتفظة في الوقت ذاته بطابعها المصري، لكنني لم أستكمل إكمالها، ولا أعرف إن كنت سأكملها لاحقًا أم سأنتهي أمرها بالنسبة إليّ وتظل مسجونة الأدراج.

أما عن موضوعها فهي عن ولد قبطي يعمل مخرجًا سينمائيًا، لكنه بائس جدًا ومهمّش إلى أبعد الحدود، طرات في ذهنه فكرة يحقق بها بعض النجاح والانتشار، وهي تصويره شريط فيديو لفتاة تدعى ماريا ويقول أن السيدة العذراء تتجلى فيها، ينتشر الفيديو في الأسواق ويحدث جلبة كبيرة وفتنة طائفية هائلة، يتعرض بسببه إلى الخطف والجلد والتعذيب من قبل بعض الجماعات. الفكرة جديدة وفيها الكثير من المشاكل الراهنة في مصر، كتبت منها جزءًا كبيرًا، وفكرتها مكتملة لكنّني لم اكمل كتابتها وظالت الرواية حقها من الشهرة دون أن تكتمل حتى ظن بعض الإصداء أنها أكذوبة لا وجود لها في الواقع.

لا نكتب الحياة

■ الجديد: يرى بورخيس أنّه لا ينبغي الحكم على الكاتب بناء على أفكاره لأنها غير مهمة. هل تتفق معه في هذا الطرح؟ وإلى أيّ مدى تؤمن بأهمية الأفكار في العمل الأدبي ودوره؟

● الكفراوي: لا يوجد عمل أدبي يقوم على فكرة، الفكرة بنت التفكير والنقد الأدبي والتاريخ، الإبداع صيرورة نحو القبض على المستحيل لتقديمه في شكل عمل فني سواء قصيدة أو رواية أو قصة. ما يفسد العمل الفني هو الأفكار؛ فالأفكار شقيقة الأيديولوجيا، والعمل الأدبي يقوم على التخييل وليس الوقائع، على ما تتخيله المخيلة. إبراهيم أصلان كان يقول "نحن لا نكتب الحياة بما فيها من أفكار ولكن نكتب بها". وأنا أقول إن أيّ كتابة جيدة تكتبها والحياة عند أطراف أصابعك. وبورخيس ابو التخييل والنص الذي يعبّر عن تجريد الوجود ولا يجعله وقائع قائمة على الحكي ولكن وقائع قائمة على التصور ومن هنا الأفكار تفسد العمل الأدبي.

عناوين الكتب

■ الجديد: تحدث النقاد عن دلالات العناوين في مجموعتك القصصية وما تحيل إليه من أبعاد تشتمل عليها عوالم القصة جميعها.. متى تأتيك عناوين مجموعاتك القصصية؟ هل بعد الانتهاء منها أم أثناء الكتابة؟

● الكفراوي: أباشر الكتابة بعدما يتكوّن بداخلي إحساس غامض بالموضوع، ثمة شيء موجود وملموس على مستوى المشاعر، رسم الشخصيات والمكان والإحساس بالزمان، بهذا الإحساس الغامض ادخل على الكتابة. النص لا أعرف خاتمته لكن يفرضها التطور في الكتابة وفي حركة الشخوص والمعاني.

العناوين تأتي مع الكتابة ربما تأتي أولًا من حالة الغموض ومن البحث الخفيّ عن المعنى الذي أبحث عنه في الكتابة وربما تأتي إليّ التجلي الإلهي، وبعد الانتهاء من كتابتها وصل هذا العنوان، وفي قصة أخرى كانت تدور في نهايتها. في قصة "سدرة المنتهى" مثلًا، يتجسد نص شعري عن السدرة.. مكان للولوج قبل دخول الكهرباء، يشبه الأحلام التي نحلمها، سعينا طول الوقت عبر ما كتبناه أن نحيي ذاكرة يتهددها الزوال.

■ الجديد: تتنزع الكثير من قصصك نحو الغموض والإبهام.. ما الذي تضفيه هالات الإبهام على القصة من أبعاد؟ ومتى يصبح الغموض والدلالات غير المفهومة شاهدًا على القصة لا لها؟

● الكفراوي: لا نكتب الغموض بهدف الغموض، أي قصدية في عمل أدبي تفسده، ولكن الغموض عندي يأتي من خلال نص كثيف بشعريّته والتباس شخصياته وغياب معناه، الغموض لا يجب أن يكون سعيًا لإحداث الغموض ولكنه سعي لطرح أسئلة على القارئ والوصول إلى المعنى، كما أن الكاتب فعل عركته مع نصه على القارئ أن يفعل جهده في قراءة النص.

في قصة "الأمهري" بيع الرجل عندما كان طفلًا في أسواق الإسكندرية، وغيّروا دينه، لكنه ظل متذكرًا التراتيم المسيحية التي كان يسمعها طفولته، القصة تقول إنه لا احد له الحق في أن يغير دياناتك او يتحكم فيها، هنا لا نتحدث عن غموض، ولكن يجب أن نغير نحوك ويدل عليك.

■ الجديد: بورخيس "الكاتب في شبابه يشعر بطريقة أو بأخرى أن ما يوشك أن يقوله هو إما سخيف أو واضح فيحاول أن يخفيه تحت زخارف باروكية أو أن يبتكر كلمات طوال الوقت".. إلى أيّ مدى ينطبق وصف بورخيس عليك؟

● الكفراوي: بورخيس هو منشئ سحرية الكتاب واسطرتها وتحويل تراثات العالم إلى نصوص أدبية وله فهمه الخاص بالكتابة وشكلها، نختلف أو نتفق معه لكن يظل هذا التصور خاصًا به، وأيّ كاتب جيد في العالم له طريقة في الكتابة، وهناك طرق عند الأفذاذ كالذي هي النهج والمنهج والاختيار عند الآخرين مثل ماركيز وفوكنر، هؤلاء شكلوا طرق تتناسل من طرقهم كتابات كثيرة، أنا ككاتب محب للقراءة أقف عند الكتابة اللاتينية وشيوخ الأدب اللاتيني وما كتبوه من واقعهم وكتبته أنا بطريقتهم عن واقعي.

الطريقة التي يتحدث عنها بورخيس لا تنطبق سوى عليه، هو كاتب مكتبة. كل ثقافات العالم في وعيه، فمع نصه أنت أسير لثقافات العالم العبري والعربي واللاتيني والفرانكفوني والانكليزي، هو الذي يحتشد بالزخارف واللغة والسحرية والأسئلة دون إجابة، أنا لا تستهويني مثل هذه الطريقة لكني استفدت منه في تحويل الواقع إلى أسطورة.

كتابة حديثة

■ الجديد: يرى فويتنس أن الأدب يخلق واقعًا ولا يرضى بنفسه قناعًا للواقع فيما يرى ستندال أن الأدب مرآة للواقع. كيف تنظر إلى المسألة؟

● الكفراوي: هما مدرستان يفرق بينهما زمن طويل. ستندال ابن المدرسة الواقعية بذهنية القرن 19، أما فويتنس ابن حداثة الرواية في القرن العشرين وما بعد القرن العشرين، وواحد من الكتاب اللاتينيين الكبار الذين أسسوا رؤية لتقاطع الثقافة الأوروبية مع ما انتج في الوقت الحاضر وعندما يقول إن الأدب يخلق واقعه، فهذان هما الصيغة والتخييل المطلوبان لخلق كتابة حديثة لا تشبه الواقع، نحن لا نكتب الواقع ولكننا نكتب بالواقع الموجود في وعينا ككتاب، المسألة هي لملمة هذه العوالم وتحويلها إلى فن وإبداع.

الرمز والغموض

■ الجديد: يقول إمبرتو إيكو "كلما ازداد الرمز مراوغة وإبهامًا ازداد دلالة وقوة؛ فالسر يكون قويًا حينما يكون فارغًا، إذ يمكن وقتها ملؤه بأيّ نظرية ممكنة". هل تتفق معه في هذا الطرح؟

● الكفراوي: هذه الجملة تعد توصيفًا لأعمال إيكو رجل الرياضيات، وظهر ذلك جليًا في "اسم الوردة"، فأدوار الخراط لديه بعض الشيء بالرموز والشفرات مثل إيكو، لكن كتاباتي قائمة على التعبير عن واقع الحياة من خلال الفن، أنا ككاتب ملتزم بعالم وشخوص ومعنى ووعي قديم وماض عشته، وبالتالي ما اكتبه لا يتقابل مع الشكل والمعنى عند إيكو؛ فالغموض عند إيكو قائم على الغموض الديني في صراع المذاهب والكنيسة والحروب والقتل وسفك الدماء، في كتابه "اسم الوردة" يستعرض القرون الوسطى في أوروبا، لكن غموضنا يشبهنا. غموض ليل في قرية مصرية قبل دخول الكهرباء، يشبه الأحلام التي نحلمها، سعينا طول الوقت عبر ما كتبناه أن نحيي ذاكرة يتهددها الزوال.

■ الجديد: هل ثمة جهود بذلتها للتطوير من أسلوبك المميز؟ وهل تلمح آثار تطور ما عبر مجموعاتك القصصية عبر الزمن؟

● الكفراوي: بالتأكيد، الكاتب المتابع والمطلع على تجارب الآخرين لا بد أن يتطور. نجيب محفوظ كتب قصيدة شعر وملخص وجوده في "أصداء السيرة الذاتية" على سبيل المثال. الوعي بالقراءة والنتاج الإنساني يطور من شكل الكتابة، في العمل الأخير "عشرون قمرًا في حجر الغلام" خفت وطأة الشعر وجسامة اللغة، وازداد الميل نحو التجسيد والقص الذي قال عنه همنغواي "لا تحدثني عن الحزن ولكن ضعني في موقف حزن"، بالإضافة إلى البعد عن السرد الخارجي والكاتب العليم. الكتابة الآن سعي للإتقان والاستفادة مما يجري من حداثة الكتابة والإصرار على أن ما تكتبه يشير نحوك ويدل عليك.

> صارت الكتابة أكثر صعوبة، وأضحت علاقتي مع الكتابة يحكمها الصراع والخوف منها؛ فأنا ككاتب متقدم في السن افتقدت جزءا من الجسارة

روايات فرنسية تحت البوركيني

سعيد خطيبي
كاتب من الجزائر

لكلّ عام، مع بداية الخريف، ينطلق الحديث عن جديد الإصدارات الأدبية في فرنسا، عن الأعمال الآهلة، عن الأسماء المرشحة للجوائز الأدبية الكبرى، عن النُصوص التي لاقت اهتمام النُقاد والملاحق الأدبية والبرامج التلفزيونية، يكثر الحديث، في الإعلام وفي الشارع، يرتفع اللغط تنشط المكتبات، وتكتظ الجرائد والأسبوعيات بمساحات إعلانية للكتب الجديدة. لكن خريف 2016، يحمل خاصيّة تميّزه عن الأعوام الماضية، إنه الموسم الأخير الذي يسبق سنة انتخابية ملتهبة، سنة سيجد فيها اليسار نفسه في مواجهة صعبة مع اليمين المتطرف، هو موسم "التموقعات" إن صحّ التعبير، هكذا يصير الحديث عن الأدب، في فرنسا، متّصلاً -بالضرورة- بالحديث عن السّياسة.

قبل أيّام، بدأت القوائم الأوليّة للمرشحين إلى الجوائز الكبرى (غونكور، رينودو، فيمينا، جائزة الأكاديمية الفرنسية.. إلخ) في الظّهور، ولم تحمل مفاجآت، بحكم أن الأسماء «الكبيرة» -التي تعوّد عليها القارئ- لم تصدر لها أعمال جديدة هذا العام، مما أوجد منفذًا لكتّاب آخرين، يشتغلون في هدوء، لوضع أقدام لهم في واجهة المكتبات، وضمن أولويات النُقاد والمتابعين.

رواية «لا مبالاة» (منشورات غاليمار) للفرنسية كارين تويل (1972) تصدّرت، منذ شهر، المشهد الأدبي الجديد، فالنّاقد الشهير برنار بيفو يرشحها لأن تكون رواية الموسم. برز اسم كارين تويل، في فرنسا، خصوصا في العام 2002 إثر صدور روايتها الثّانية «عن الجنس الأنثوي»، واشتهرت بروايتها «الهيمنة» (2008)، التي لاقت احتفاءً مهما في أوساط «سان جيرمان»، وفي الصّحف الباريسية. وفي العام 2010، كادت تقتنص «الغونكور» بفضل رواية «ستّة أشهر، ستّة أيام».

في روايتها الأخيرة «لامبالاة»، يُصادف القارئ جنديا سابقًا في أفغانستان، يدعى رومان، سيعود إلى فرنسا ويقع في حبّ الضّحايفة الشّابة ماريون، المتزوّجة من رجل أعمال شهير، سيجد نفسه متورطا في فضيحة جنسية (تذكّرنا بفضيحة دومينيك ستروس كان، 2011)، هكذا يدخل رومان نفسه في دوامة من التّفاعلات مع قضايا الرّاهن، في مساءلات عن الوضع الاجتماعي والسّياسي في فرنسا، فالرواية تستمد جزءًا من مادتها من الأحداث اليومية الجارية الآن، تجعل منها مادة خامًا في سرديّاتها، تحوّل وقائع عادية إلى قصّة أدبية، ولا تغفل عن قضية مهمّة ألا وهي الحرب على الإرهاب وصعود الإسلام الرّاديكالي في بلدها، مع إشارات إلى ما يحدث حاليا في العراق وسوريا، وهي أمور تشير إليها الرّوائية بشكل غير مباشر، لكن القارئ سيتنبه إليها بسهولة.

إذن، رواية كارين تويل، المرشحة بقوة في عدد من قوائم الجوائز الأدبية، تختصر لوحدها بعضا من خصائص الدّخول الأدبي الجديد في فرنسا، المشبع بأسئلة سياسية، خصوصا حول الإسلام والعنصرية، كما لو أن قضية «البوركيني» التي شغلت الرّأي العامّ، هذه الصّائفة، لم تكن كافية لينتقل حسيسها إلى الأدب أيضا. ضمن الأجواء المتصاعدة نفسها، سنجد رواية «أغنية دافئة» (منشورات غاليمار) للصّحافية المغربية ليلى سليماني (1981)، التي منذ صدور روايتها الأولى «في حديقة الغول» (2014)، باتت رقما مهما في الخارطة الأدبية الباريسية، تشدّ الانتباه إليها، وتحظى بأرقام مبيعات معتبرة.

في روايتها الثّانية، تنطلق ليلى سليماني من فاجعة: رضيعان مقتولان، ومُربيتهما أيضا، بعدما حاولت الانتحار. قبل أن تحكي بالتّفصيل يوميات زوج عادي: بسّول ومريم، يستعينان بمربية تُدعى لويز للاعتناء بطفلين لهما. ومن فصل إلى آخر، ندرك العلاقة المضطربة بين الطّرفين، كيف أن مريم وبول كانا يعاملانها أحيانا بمهانة وباحتقار. «أغنية دافئة» لليلى سليماني هي أيضا أغنية للموت، جاءت محمّلة بعنف وبمشاهد صادمة، لتخبرنا، في الأخير، كيف أن مربية أطفال هادئة بإمكانها أن تصير «وحشا ادميا».

الفظاعة والعنف هما ثيمتان تحضران في باكورة البوروندي غابل فاي (1982)، التي جاءت بعنوان «بلد صغير» (منشورات غراسيه)، الذي يعود فيها إلى وطنه الأم: بوروندي، سنوات الحرب الأهلية الأخيرة (1994)، وينظر إليها بعيون طفل في العاشرة. طفولة صعبة عاشها المؤلف، سنتنقل، بسرعة، من جنّة حالمة إلى أرض للويلات، فالحرب بين قبيلتي الهوتو والتوتسي ستحوّل رواندا وبوروندي إلى أرض مفتوحة للحرائق، هذا الذي يحكي عنه غابل فاي، ولكن من دون السّقوط في البكائية، ولا في تكرار السّوداوية، التي عادة ما تميّز روايات الكتّاب الأفارقة، فهو يكتفي بالنّظر للحرب، وللأحداث الدّامية التي رافقتها، عن بعد، بعيد كتابتها من دون أن يُشعر القارئ بأنه نادم عمّا حصل.

ضمن هذا الفضاء الأفريقي المشوب بصراعات لا تنتهي، تأتي رواية «مدار العنف» للموريسية ناتاشا أباناه، والتي تدور وقائعها في أرخبيل «مايوت» (إقليم فرنسي، يقع بين جزر القمر ومدغشقر)، حيث يموت أفارقة غرقا، في سبيل الوصول إليه، في سبيل الوصول إلى جنتهم الفرنسية المتخيّلة.

هذا العام، يختلط السّياسي بالأدبي، يسافر ياسمينة خضرا إلى كوبا ليصدر «الربّ لا يسكن في هافانا»، وتعود سوريا، إلى الواجهة مع سمر يزبك (1970)، فقد رشح كتابها عن يوميات الثّورة السّورية، الذي ترجم تحت عنوان «أبواب العدم» (منشورات ستول)، إلى جائزة «ميديسيس» للكتاب الأجنبي.

أدوار غائبة

عبدالغني فوزي
شاعر وكاتب من المغرب

الكل يقر الآن أن هناك أزمنة قراءة. وهي متعددة المستويات؛ ويمكن بسط ذلك بالتدرج انطلاقا من البيت الذي لا يسعى لمكتبة إلى جانب المتاع، بل لأفرشة والثلون مع دورة الفصول، إلى المدرسة التي تعمل وفق ثنائية: القراءة النفعية والأخرى العامة التي تكسر الدوائر وتدعو للامتداد في المجتمع والحياة؛ إلى الشارع والمجتمع الذي لا يمارس الثقافة كضرورة، بل بخفوت أو بهرجة تفرغ هذا الثقافي من محتواه وأسسه. فالإنسان لا يتغير بالزفت بل بالثقافة وحدها ليكون في قلب المعارك كرافعة لحياة خالية من العقد والمركبات كما يقول هذا الروائي عبدالكريم جويطي.

وحين نقر بهذه المعضلة، فإننا نعترف بشكل من الأشكال بالأعطاب السارية في هشيم المؤسسات الثقافية والحزبية؛ فالأولى تقدم فقرات ثقافية، لكن هل طرحت خطط لتقريب المكتوب في حلبة وإطارات تحفز على القراءة، أما الثانية فتشتغل بطرق مختلفة حول الثقافي إما بالإدعاء أو توظيف الثقافة في المعركة الأيديولوجية أو تعميمات تجعل الثقافي مضيعا في البرامج العامة، الشيء الذي يجعل الثقافي في آخر الاهتمام والأولويات فمرّا في حجر الغلام". خفت وطأة الشعر وجسامة اللغة، وازداد الميل نحو التجسيد والقص الذي قال عنه همنغواي "لا تحدثني عن الحزن ولكن ضعني في موقف حزن"، بالإضافة إلى البعد عن السرد الخارجي والكاتب العليم. الكتابة الآن سعي للإتقان والاستفادة مما يجري من حداثة الكتابة والإصرار على أن ما تكتبه يشير نحوك ويدل عليك.

ويغلب ظني، أن فعل القراءة بمعناه الممتد داخل المجتمع، ظل مؤجلا على الرغم من الوعي الحاد بهذه الكارثة التي تخشّب الأمّة ؛ وتجعلها متصلة في الترسيات، وتابعة، بل كعجين يمكن أن تصنع به أي شيء.

في بلدان أخرى وثقافات لها علاقة قوية بالكتاب والقراءة، ويبيع كتابها بالملايين، حين يستشعرون الخطر المحدق بالأدب والثقافة في المدرسة والمجتمع، يبادرون كجهات مسؤولة إلى طرح سؤال القراءة، وكيف نقرأ؟

ويبدو هنا

عشاق ومرضى وأسرى أستراليون من دمشق إلى بانكوك

فلاناغان وروايته «الدرب الضيق إلى مجاهل الشمال» بالعربية

عبدالله مكسور
كاتب من سوريا

❏ قبل الشروع بقراءة رواية "الدرب الضيِّق إلى مجاهل الشمال"، لا بدَّ من البحث في تاريخ الحرب العالمية الثانية "1939 -1945"، خصوصاً فيما يتعلق بالمشاركة العسكرية الأسترالية في مناطق مثل سوريا ولبنان وفلسطين، وأخرى في الشرق الأقصى الآسيوي في سنغافورة واليابان.

ذلك البحث الأولي سيمنح القارئ أرضية صلبة تمكّنه من فهم طبيعة وعمق التواجد الأسترالي وشبكة التحالفات التي بناها ذلك الجيش الذي وقع جنوده أسرى لدى الجيش الإمبراطوري الياباني عقب سقوط سنغافورة، فاستخدمهم الجنرالات إلى جانب العبيد في إنشاء سكة الموت.

يطوف الكاتب الأسترالي ريتشارد فلاناغان، المولود في العام 1961، عبر 477 صفحة في روايته "الدرب الضيِّق إلى مجاهل الشمال" الفائزة بجائزة "المان بوكر العالمية"، والصادرة بترجمة خالد الجبيلي عن دار الجمل منذ أسابيع، في عوالم غريبة وغرائبية بذات الوقت، فتبدأ الرواية تاريخياً في 15 فبراير من العام 1943، بطلها هو دوريغو إيفانز، الطبيب الجراح الذي ترمي به الأقدار شاهداً على المجزرة الصامتة التي كانت تُنَفَّذُ على طول 414 كيلومترا، لتمتد جغرافياً من شمالي بانكوك حتى بورما أو ما يعرف اليوم بميانمار.

ريتشارد فلاناغان استقى عنوان روايته من قصيدة "هايكو" للشاعر الياباني الشهير ماتسو باشو، لكنه في المتن لجأ إلى ذاكرة حيَّة ورثها عن أبيه الذي حمَل الرقم "335" في فترة اعتقاله لدى القوات اليابانية بعد سقوط سنغافورة، رحلة عذاب ومعاناة قبل أن يولد الكاتب بما يقارب العقدين من الزمان، كان أبوه حينها شاباً مقاتلاً في الجندية الأسترالية التي طافت بلاد الشام في حربها ضد حكومة فيشي الفرنسية الموالية للألمان.

في هذه الرواية التي سكنَت فلاناغان من مراحل طفولته الأولى، كما يبدو واضحاً في تصريحاته، قد أخذت منه أكثر من 12 سنة في كتابتها، حيث اعتزل مراراً على جزيرة في قرية نائية بالقرب من مسقط رأسه في مدينة "تسمانيا" بأستراليا، جالساً في كوخ منقطع عن العالم ليكتب فقط، يقول إنه أنجز خمس نُسخ لا تشبه بعضها من هذا النص، وهذا واضح في طريقة السرد التي انتهجها الكاتب، فالعمل ينتقل على العديد من المستويات، يميل في جانب منها إلى التقريرية بينما تحل الصيَغ والتراكيب الوصفية على مساحات واسعة منها.

في الفصول الأولى يستهل الكاتب الحديث عن الجيش الأسترالي وتواجده في سوريا، فالمدن السورية تظهر دون أسماء واضحة سوى دمشق العاصمة، يصف القتلى من الجنود والمدنيين، الدمار الذي حلَّ بالقرى والمدن، الانتقالات العسكرية على رقعة الشطرنج، تصرُّفات الجنود التي تميل إلى الارتفاع عن مستوى الموت في لحظة اكتشاف ماهيَّته، إنها حالة التصالح مع ثيمة الموت والحرب في آن معاً.

ينتقل الكاتب بين دوائر الحكاية مروراً من ملبورن وسيدني إلى دمشق والقاهرة وصولاً إلى شمالِ بانكوك في تايلاند، فنجد العديد من التفاصيل التي يوردها الروائي نهلاً من ذاكرتهِ التي أراد في هذا النص كشف حساب متأخر معها.

ثيمة الرواية

تلك العتبات كلها جاءت للكشف عن ثيمة الرواية، التي تأتي فضاءاتها نتيجة القرار الإمبراطوري الياباني بإنشاء خط حديدي يربط بانكوك مع بورما، كان ذلك أوائل العام 1943 حيث وصل الأب أسيراً إلى سيام، تزامن وصول الأسرى مع إحساس عارم بالإحباط في صفوف اليابانيين المدنيين في ظل قلة موارد البلاد وعدم قدرة الدولة على استرداد البحار من القبضة العسكرية الأميركية، ذلك الإحباط كان يقابله إيمان عميق لدى جنود الإمبراطور بأن النصر حليفهم لأنهم يملكون روح النصر، روح الإمبراطور التي لا تُقهَر، لذلك غامر الجنرالات بقرار الربط البري بين اليابان وبورما لتزويد الفيالق العسكرية بالعتاد والرجال في سبيل خوض المعركة للسيطرة على الهند، الطريق البري يفرض قوانينه والجغرافيا لها مزاجيَّتها التي يحاول اليابانيون كسرها بقوة العبيد من الآسيويين والأوربيين وأسرى الحرب من الجيش الأسترالي الذين فاق عددهم 22 ألف جندي بعد سقوط سنغافورة.

كان العالم مقسوما عند البطل إلى قسمين، مَن قضى في بناء الخط الحديدي، والعالم الذي يعيش خارج الخط، فرقة الناجين من البناء لم تكن مدرجة في خيالاته أبداً، لذلك نراه يُغرق في وصف كلمة الخط بأنها تنطلق من نقطة إلى نقطة، خط طول بلا عرض، مقبرة مفتوحة لعظام الراحلين، في ظروف استثنائية خارج نطاق التخيُّل يشتغل الأسرى إلى جانب العبيد في حرب لا تمثل شيئاً واحداً بل هي أشياء كثيرة تختلط مع بعضها البعض لتغيِّر مصائر الجميع، المنتصرين منهم والمهزومين.

الحب والحرب

من الواضح أن الكاتب واصلٌ إلى حد الإشباع الكلّي من تفاصيل تلك المرحلة، فنراه يسرد بجرح مفتوح عن وجبات الطعام منتهية الصلاحية، والأمراض المعدية التي بدأت تتفشّى بين الجنود والعبيد، في صورة سيطرة العدم على كل شيء، فيطغى الموت على الأحداث رغم أنَّه لا يشكّل اللحظات الأكثر قسوة في المعتقل أو جولات الحرب.

السرد الروائي يأتي على لسان الطبيب الجراح "دوريغو إيفانز ، الذي يقرر بعد سنوات طويلة من استقراره بمدينة أديلالد الساحلية في أستراليا، كتابة مذكّراته عن سكة الموت اليابانية، كونه الشاهد الناجي من المجزرة التي امتدت لسنوات، فيلجأ هنا إلى استجرار التجارب المُروِّعة من عيار آخر لا تقل عن قسوة الحرب، البطل يتورَّط بقصة حب عنيفة مع زوجة عمه "إيمي" التي تصغره بسنوات، يلجأ إلى الحب المحرَّم في ظل الحرب العبثية التي تسيطر على العالم وكأنَّه يعتبر نفسه جزءاً من هذا التلوُّث الذي يسيطر على العالم ككل.

ربما السنوات الطويلة التي مرَّت بها كتابة فصول هذه الرواية، فرضَت على الكاتب علاقة خاصة مع شخصياته التي يعرف بعضها حُكماً بسبب كتابته عن سيرة أبيه، هذه المعرفة جعلت الفصل الأخير يلجأ إلى الخراب الكلّي في النفس البشرية، الخراب الذي يفرض نفسه بصورة الكهولة التي يصل إليها البطل وتلقّيه خبر وفاة عمه وزوجته وثلاثة آخرين نتيجة حريق كبير شبَّ في فندق الملك، فلا يجد الطبيب المتقاعد مكاناً يلوذ إليه سوى الطبيعة التي تغرَق بمطر غزير يمشي في ظلّه ديغور ليلاً فتتعثّر عيناه بزهرة نبتت في غير مكان ووقت ظهورها الطبيعي، ينحني قليلا ثم يمشي إلى اللامكان.

لا بد من القول أخيراً إن المترجم كان أميناً على النصّ من حيث الترجمة، هذا جاء واضحاً في آلية نقل الرواية الأصلية لمشاهد عديدة كان بالإمكان صياغتها عربياً بطريقة أفضل، أو بإعادة تفكيك مقاطع كاملة وتركيبها من جديد، وهذا ما يدعمه خلوّ الرواية تقريباً من أيّ مفردات لا معنى لها بالعربية حيث غابت الهوامش كلياً عن المتن.

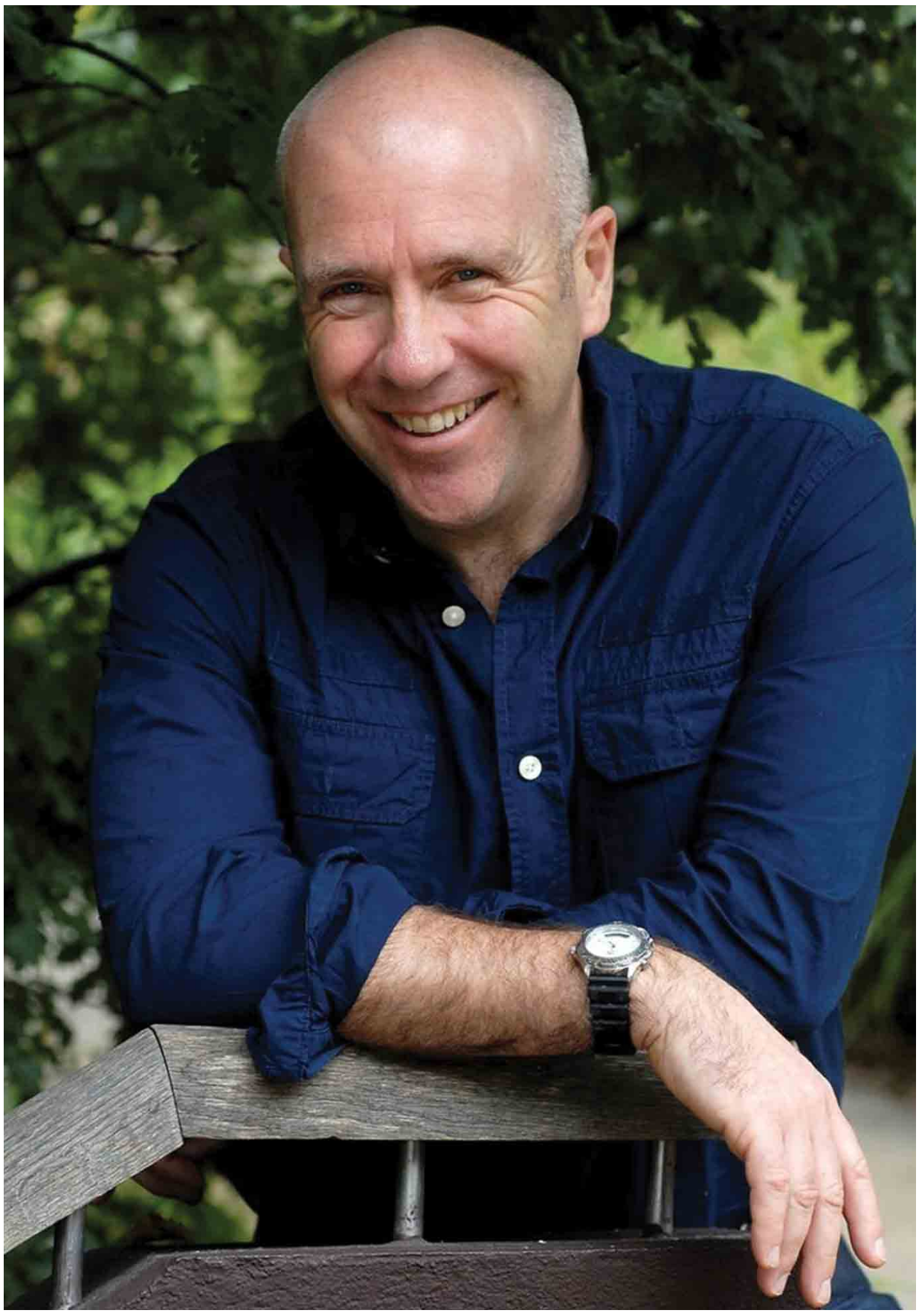

فلاناغان: الحرب تغيِّر مصائر الجميع

رف الكتب

«سلفنة» الأذهان

❏ في كتاب "فسيفساء الإسلام" يبين اللبناني سليمان مراد أستاذ تاريخ الإسلام وحضارته بماساشوست لمحاوره الأميركي بيري أندرسن أستاذ التاريخ وعلم الاجتماع بكاليفورنيا أن الإسلام ليس واحدا بل متعدد، إذ انقسم منذ ظهوره إلى مذاهب ونحل، مع ما يتبع ذلك من تباين الشعائر، وكيف أن المسلمين بعد صدمة الاستعمار زهدوا في عمومهم في اعتبار الدين حلاً لمشاكلهم التنموية والاقتصادية، فأصبح تدينهم معتدلا يمارسونه ممارسة أقرب إلى التقاليد دون تعصب ولا تزمت، ولكن الأعوام الأخيرة شهدت بروز السلفية الوهابية التي تريد أن تفرض نفسها كمثال للإسلام الحق، وما داعش إلا صورة منها، حتى بات المسلمون وغير المسلمين يعتقدون أن الأمر كذلك. هذا "النجاح" يفسّره الباحث بانصراف المعتدلين إلى ما يفيدهم في حياتهم العملية، وكثرة العراقيل التي تمنع القلة المستنيرة من الإصلاح، فهم عادة ما يُنعتون بأعداء الإسلام، والمتواطئين مع الغرب.

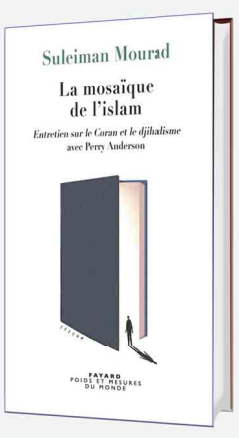

متاعب العمل الثاني

❏ "بيست سيلر" أو "الكتاب الأكثر مبيعا" هو عنوان الرواية الثانية للكاتب والصحافي المغربي رضا دليل، وبطلها روائي ينال الشهرة والمجد عن رواية أولى، فينصرف عن الكتابة ليغنم ما يأتي من وراء هذا العمل الذي جعل منه نجما بارزا في سماء الدار البيضاء، حيث تتعدّد الدعوات وترتفع المبيعات وتنهال المكاسب، وفي ظنه أن ذلك سيدوم إلى ما لا نهاية، ولكن بعد مضيّ أعوام يخفت نجمه ويلتفت النقاد إلى سواه، فيضطرّ إلى الجلوس لإبداع عمل ثان. هذا العمل الثاني سيستعصي عليه، وسيلفي نفسه عاجزا أمام الصفحة البيضاء، لا يدري ما يكتب. وبما أنه قد أصبح في الأثناء ربّ أسرة، فقد صار يشعر أن المخرج الوحيد بالنسبة إليه هو "بيست سيلر" وإلا فالإفلاس على الأبواب. الرواية يمكن أن تقرأ كسيرة ذاتية، ويمكن أن تقرأ كنقد اجتماعي لواقع مدينة عملاقة مليئة بالمتناقضات.

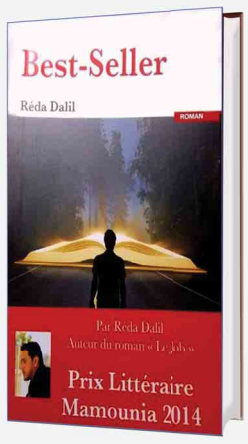

التاريخ بين الحتمية والاحتمال

❏ ماذا كان يحدث لو جرى التاريخ أو الحياة مجرى آخر؟ ما نسميه التفكير ضد الوقائعي يتخلل النقاش بعفوية ويغذي فرضيات عن إمكانات ماض لم تتحقق أو وقائع مستقبل لم تقع. نجد ذلك في الأدب مثلما نجده في التأملات السياسية. في كتاب طريف يجمع بين المعرفة والخيال المستند إلى معطيات تاريخية ثابتة عنوانه "لأجل تاريخ الممكنات" يحلل كنتان دوليرموز الأستاذ المحاضر بجامع باريس 13، المتخصّص في التاريخ الاجتماعي والثقافي للقرن التاسع عشر، وبيير سنغارافيلو أستاذ التاريخ المعاصر بالسربون المتخصص في تاريخ الاستعمار في القرنين التاسع عشر والعشرين، الاستعمال ضد الوقائعي، سواء في الأعمال الأدبية أو في الفرضيات الجدلية، للإحاطة بظروف استعمالها استعمالا ملائما في العلوم الاجتماعية، والوقوف على رهانات السببية والحقيقة، والعلاقات بين التاريخ والأدب التخييلي، بين الحتمية والاحتمال.

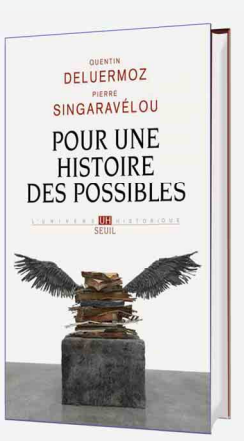

الحي السري في المنامة

روائي بحريني يوثق في «جراندول» تاريخا «مسكوتا» عنه

سعد القرش
روائي من مصر

شارع في المنامة والصورة من الخمسينات

❑ فتيان في الصف الأول الثانوي تحملهم مغامرات ليلية إلى عالم سريّ، يجرّبون فيه الحرية الشخصية، ويتخففون من قسوة مدير المدرسة. في حيّ «جراندول» المغلق على مائحات اللذة السرية وطالبيها برعاية الاحتلال البريطاني يمسي هؤلاء الصبية رجالا يختبرون الرغبة في التحقق، وتختلف مصائرهم، ثم يتغير وجه الحيّ نفسه، بخلخلة العلاقات الاقتصادية، وحقائق القوة بين أطرافه، مع صعود الوعي العام في البحرين، وانتزاع حق الإضراب بتخطيط من يساريين في البلاد، ضد تعنت شركة النفط ومديرها الأميركي.

تبدأ أحداث «جراندول» للكاتب البحريني خالد البسام عام 1951، ولأن أبطال الرواية تلاميذ في مدرسة ثانوية للبنين بمنطقة محافظة في وسط المنامة، فليس «هناك أيّ رائحة للأنوثة على الإطلاق»، ويركضون نحو خمسة كيلومترات لرؤية تلميذات خارجات من مدرسة البنات، وهناك يتخيل التلميذ «عبدالله المنامي» نفسه يشاهد فيلما رومانسيا لعبدالحليم حافظ أو عمر الشريف. سلوك بريء يعزيه عن رؤية وجه مدير المدرسة المتجهم دائما «شيخون» وهو قائد سابق في الجيش السوري وشارك في حرب 1948، ويبدو أن الهزيمة في الحرب أورثته سادية يمارسها على الصغار، ويكفي تأخر أحدهم ثلاث دقائق، بعد قرع الجرس، لاستفزاز «الطاغية» شيخون، وضربه للتلميذ بخشونة. من ضحاياه «عبدالله المنامي» الذي تألم يوما كاملا بعد تلقيه الضرب العنيف، وعجزت يده عن تناول الطعام، فيكره كل العصيّ حتى عصيّ العميان، ويقرر عدم الرجوع إلى المدرسة، بعد أن نجا من موت، ويهمس لنفسه «لا أريد أن أذبح»، ولكن أمّه تتوسل إليه، وتحذره موضحة أن ترك المدرسة يعني التشرد وضياع المستقبل، فيرضخ ويعود، ويفاجأ بأن زميله في الفصل «عبدالمحسن» تزوّج، وغاب عن المدرسة وعمل حمالا في سوق المنامة.

يضيق عالم المدرسة المحدود بخيال الصبية، فيعقدون اجتماعات سرية، ويقررون المغامرة بالذهاب إلى «جراندول» في وسط المنامة، ولا يعترض إلا عبدالله مدفوعا بالخوف والمثالية الأخلاقية، كما أنهم صغار يعولهم الآباء. يختلف الزملاء على فكرة اقتحام «جراندول»، وهل يكتفون هناك برؤية النساء؟ أم يفعلون ما يفعله روّاد الحي؟ كانوا يعلمون أن «جراندول» له قوانينه وأعرافه المطبقة على النساء والزبائن، وهي كافية لبث الخوف لدى من يدخل للمرة الأولى. حسم الفتيان أمرهم وذهبوا لإشباع فضولهم، ينوون الفرجة على الحيّ الذي وجدوه مزدحما في شهر رمضان، ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل؛ فالمكان الذي تخيلوه قطعة من الجنة كانت أزقته ضيقة، وبيوته قديمة ومتهالكة.

«جراندول» - التي صدرت في سلسلة «روايات» الهلال في القاهرة - رواية مهمة لخالد البسام (1956 - 2015)، بعد دراسات أرّخ فيها لجوانب ثقافية وفنية واجتماعية وسياسية في البحرين والخليج عموما. هنا سرد فني لتاريخ آخر، غير رسمي، تنطلق فيه كاميرا الروائي من حيّ البغاء، لكي ترصد بعضا من تفاصيل الخريطة الاقتصادية والاجتماعية، وصعود الوعي، ونموّ التيارات اليسارية، وحركات الاحتجاج.

البسّام المثقل بوعي تاريخي وسياسي لم يستسلم لغواية الانزلاق إلى شراك تفاصيل جنسية ستجد هوى في نفس قارئ يحلو له التلصّص على جانب من تاريخ الخليج، بنظرة أفقية، استشراقية ربما. لم يهمل المؤلف تلك التفاصيل تماما، وتعامل معها من الداخل، بعين حانية لا تتّهم ولا تستعرض، بل تكشف برفق يشي بالحياد المراوغ، بداية من مفارقة تمثلها لافتة «هذا بيت أشراف.. الرجاء عدم طرق الباب في أيّ وقت»، وقد أوقع سوءُ الحظ ساكنيه أن يكون بيتهم في مدخل حيّ الدعارة، فلم يسلموا من أذى سكارى يطرقون الباب بعنف، ويسبّون أهله لأنّهم لا يردّون. وهناك أب مسكين، يطوف باحثا عن ابنته الكبرى، ولا يقتنع بإنكار القوادين لوجودها، ويثق بوقوعها في قبضة قواد يخفيها، ويستثمر أنوثتها بانتقاء رواد يأتون من أجلها، ويدفعون فيها الكثير، ولدواعي السرية «وضرورات المهنة» يغيّر اسمها دائما.

كانت الفتاة قد اختطفت مثل الكثيرات من منطقة الأحساء، عن طريق عصابات متخصصة تجمع معلومات عن المواصفات الجسدية للفتاة والأحوال العائلية والاقتصادية لأهلها، وفي الليل تنفذ خطة الخطف امرأتان، الأولى تقيّد الفتاة، والثانية تعصّب عينيها وتكمّم فمها فتعجز عن الصراخ، فيأتي رجلان ويقتادان الفريسة إلى الميناء حيث تنتظر سفينة متجهة إلى البحرين. وبعيدا عن الشاطئ تنزع العصبة عن العيون، وترى الفتاة أخريات من مدينتها. وفي «جراندول» يتسلم الخاطفون مكافأة، وتجد الفتاة نفسها رهينة غرف «تتسع لعشرات الفتيات من كل مكان في الخليج، بعضهن اختطفن مثلها وغيرهن هربن من أهاليهن.. من إجبار أب على زواج ابنته من شيخ ستيني... ومن المساخر أن يكون حيّ جراندول هو المأوى ربما الوحيد بينما تقوم دار الاعتماد البريطاني التي تحكم البلاد عمليا بالإشراف عليه»، والتفتيش الدوري؛ للاطمئنان على نظافته، وسلامة العاملات فيه.

في مقابل قهر يعانيه والد الفتاة، يكسر الفقر قلب عجوز تأتي بابنتها إلى الحيّ، لكي تعرضها على قواد «سمعنا كلاما طيبا عنك، وقلنا نجرّب حظنا. وكما ترى فالبنت صغيرة وجميلة لكننا فقراء.. وقد أحضرتها بنفسي واعتبرها بنتك على كل حال.. لي رجاء واحد وهو أن أعيش معها في الحي. فهل هذا ممكن؟». عين القواد «جبار» مدربة على فرز «البضاعة»، وتحييد مشاعره تجاه الأم، فيخبرها بأنه سينظر في أمر إقامتها، والأهم بعد ظفره بهذا الصيد أن يبلغ العجوز بصيغة التعاقد، إذ ستنال البنت ربع ما يدفعه الزبائن، ويجادل بأن لديه «التزامات كثيرة ندفعها للوكالة البريطانية مقابل الرخصة»، وأنه سيضمن للبنت المسكن والمأكل والحماية، أما اسمها الجديد «جميلة» فلم يطلب له ثمنا! وستعاني جميلة بعد أن صارت ملكة عرش جراندول من مطالبات «العاهرات القديمة» برحيلها، أما «أم عزيز» فتنشغل بحصر الأموال التي حصدتها ابنتها «جميلة» في الليلة السابقة.

تعايش في «معتقل جراندول» نقيضان، اللذة للقادرين من رواده، والشقاء والامتهان للعاملين فيه، باستثناء القوادين الذين يعتقلون النساء ويمنعون هروبهن. وقد أدت الاتصالات الجنسية إلى إصابة نساء صغيرات بأمراض بعضها بسيط يزول بعلاجات بدائية، وبعضها مزمن أجبر البعض على الاعتزال فعملن قوادات أو شحاذات في السوق. كانت الشكوى هي سلوى مسامراتهن وقد صارت العودة نوعا من «المغامرة المجنونة».. وجميعهن لا يعرفن ماذا يفعلن؟ وكيف يتدبرن أمور المعيشة والرزق سواء كان حلالا أو حراما!»، وأحيانا يقدن الصغيرات إلى السفن البريطانية، فيفزن بكؤوس من النبيذ الفاخر، ويتبادلن الحكايات بتبرّم عن الشروط القاسية للضباط والجنود والبحارة الذين «يريدون فحصا وتقريرا مصدقا»، وخصوصا من الصغيرات. من الصغيرات الجميلات من ظللن يحلمن بالخروج. كانت «لولوة» مضطرة، وتعي أنها تؤدي عملا مهينا، وتواجه القواد بأن جراندول «قذر بامتياز، بل ربما هو أقذر حيّ في المنامة كلها». وأحبها عبدالله، وهي قرأت ذلك في عينيه، بل «وصلت درجة حبّه لها إلى مرحلة الطهارة، فهو لم يمسك يدها حتى الآن!.. وجدت فيه كل ما تتمناه في الرجل من حنان وصدق وحب أصيل وإخلاص»، وافتعلت مواقف حتى تمكنت من طرد الزبائن، ويرسب عبدالله في الامتحان، فيسخر أصدقاؤه قائلين إنه «نجح في الحبّ وفشل في الدراسة»، وتنصحه لولوة بتعلم الإنكليزية في مدرسة الأميركان، وتتحمل هي الرسوم المالية، ثم يظفر بالعمل مترجما في شركة النفط الأميركية، ويتزوجان. ويمنحه العمل أفقا آخر، ومفردات جديدة منها الإضراب، حين يضرب العمال، بتحريض يساريين يعملون في الشركة، للمطالبة برفع أجورهم المتدنية، ولكن خبرتهم في هذا الأمر «معدومة»، فتتمكن الشركة من إحباطه.

في الصراع بين نهاية عصر الفتوات - القوادين وبداية «الدولة» يكسب الفتوات جولة، برفض «كيرك جلاس» نائب الوكيل السياسي للوكالة البريطانية في البحرين بيع الحيّ، ويتأكد للجميع «تحالف مقدس» بين جراندول والاحتلال البريطاني، وقد انتصر القوادون - الذين يؤجّرون البيوت - في معركة غير متكافئة بإقناع البريطانيين بأن التاجر الذي يريد شراء الحيّ سيغلقه ويحوله «إلى مركز إسلامي من مسجد كبير ومركز تحفيظ القرآن ومكاتب وغيرها.. وكان الإنكليز يقولون للعالم المتحضر إننا نقوم بدور الانتداب على البلدان الصغيرة، ونضمن كل الحريات بها، ولا نصادر أيّ شيء يمس حرية البشر فيها، سواء في الحريات الشخصية كالدعارة، والحريات الدينية كالموافقة على إنشاء الكنائس وحماية الأقليات العرقية».

وعلى طريقة التطهر في الدراما ينشب حريق في الحيّ. كان رجلان بغترة بيضاء قد سكبا الجاز وأشعلا النيران وهربا. تأخر الإطفاء ثم بدأ بطيئا، وأصيب البعض، وتفحمت جثث، وطاردت الشرطة عبدالله واتهمته بإشعال النيران. واختفت ملامح الحيّ إلا من بقايا بيوت محترقة.

رف الكتب

الفردوس الأندلسي

❑ في كتابه الجديد "أسطورة الفردوس الأندلسي: المسلمون والمسيحيون واليهود تحت الحكم الإسلامي في أسبانيا القرون الوسطى"، يستقصي المؤرخ الأميركي/الأسباني داريو فرنانديز موريرا، أستاذ الدراسات البرتغالية والأسبانية بجامعة نورث ويسترن في إلينوي، المقولات المتعلقة سواء "بالدور الهام الذي لعبه الإسلام، على المستوى الثقافي، في تطور الحضارة الأوروبية الغربية"، أو تلك التي تستبصر القرون الوسطى حيث ظهرت "أوروبتّان: الأولى؛ أوروبا مسلمة آمنة في دفاعاتها، ومتسامحة دينيًا، وناضجة ثقافيا وعمليا. والثانية؛ أوروبا المسيحية، والتي كانت ساحة لحروب متلاحقة حيث سادت الخرافة عوض الدين وكان نور المعرفة ضعيفا". صدر الكتاب في أواخر شهر فبراير من هذا العام، عن معهد الدراسات المشتركة بين الكليّات في الولايات المتحدة.

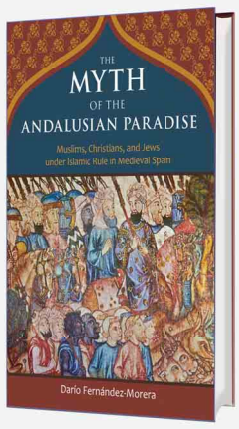

الشرق والتاريخ الجديد

❑ "إنّه يقلب التاريخ رأسًا على عقب"، بهذه الجملة عنونَ ريتشارد لفتهاوس مراجعته النقدية لأحدث كتب مدير مركز الدراسات البيزنطية بجامعة أكسفورد بيتر فرانكوبان «طرق الحرير: تاريخ جديد للعالم». ولم تكن هذه العبارة مبالغا فيها البتّة، فهذا الكتاب يقدم تاريخًا مغايرًا "للفكرة التقليدية القائلة بأن الحضارة الغربية تنحدر من الرومان الذين كانوا ورثة الحضارة اليونانية التي كانت، بدورها، في بعض الروايات، وريثة الحضارة المصرية.. حيث يجادل كوكبيرن بأن الإمبراطورية الفارسية هي التي كانت المركز المحوري لصعود الحضارة الإنسانيّة.

يظهر الكتاب، في استقصائه العميق، كيف تلاقى الشرق والغرب، لأول مرة، على طرق الحرير، عبر التجارة والفتوحات، وعبر استبطان مكثف لزمن يمتّد من "صعود الإمبراطوريات وسقوطها إلى انتشار البوذية وصعود المسيحيّة والإسلام، إلى الحروب العظيمة في القرن العشرين".

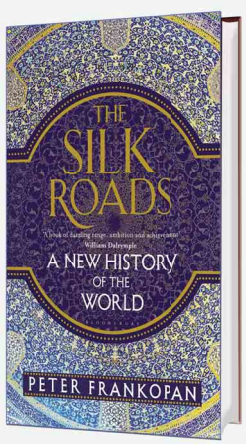

الربيع العربي والنموذج التركي

❑ بعد كتابه "ثورة خاملة: استيعاب التحدي الإسلامي للرأسمالية"، يعود الكاتب التركي جيهان توعال، أستاذ علم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا، إلى الحديث عن سلطويّة أردوغان في كتابه الجديد "سقوط النموذج التركي: كيف أطاحت الانتفاضات العربيّة بالليبرالية الإسلامية" الذي صدر في هذه السنة عن دار "فيرسو" بنيويورك. يجادل توغال في كتابه بأنّ جذور السلطوية التركية الصاعدة بقوّة في الآونة الأخيرة "ليست نابعة، بكل بساطة، من سلطوية أردوغان فحسب، ولكنها متجذرة، عميقًا، في النمط التركي العجيب لليبرالية الإسلامية.. حيث يعتقد بأنّ معضلة تركيا ناجمة عن المزاوجة بين النيوليبرالية والديمقراطية التي تشكّل أساس هيمنة حزب العدالة والتنمية منذ صعوده إلى الحكم في العام 2002.. ولا يمكن فهم هذا الأنموذج إلا بوصفه استجابة للسياسات الإقليمية، خاصة بوصفه استجابة للنموذج الإيراني، بمزاوجته بين مذهب التشاركيّة والثورة الإسلامية".

إيتيل عدنان الدمشقية اليونانية في معرض باريسي

قصائد بصرية بريشتها الطفولية في مناسبة بلوغها التسعين

باسل العودات
كاتب من سوريا

❏ برعاية وتنظيم معهد العالم العربي في باريس، وبالتعاون الوثيق مع غاليري ليلون، وغاليري كلود ليمون، وصفير زملر، تعرض الفنانة السورية-الأميركية إيتيل عدنان أعمالها للجمهور الباريسي، للمرة الأولى بمعرض فردي شامل.

والمعرض الفردي هذا، والذي يستمر حتى نهاية العام الجاري، يقع عند تقاطع الصورة والنص، الكتابة والرسم، وهما طريقتا التعبير عن نفس اللغة، حيث تُقدّم في المعرض الذي صممه المفوض سيباستيان ديلو، العديد من الأعمال لها بالفرنسية والإنكليزية أدباً وشعراً ورسماً وتشكيلاً، ضمن أربعة محاور رئيسية هي:

النصوص العظمى: عن فتح القراءة ونهاية العالم العربي، وأهمية الكتابة في عمل الفنان والالتزام السياسي.

> بينما تحضر أحداث التاريخ المعاصر في شعرها، من فلسطين ولبنان إلى سوريا والعراق، كاشفة عن وجه المبدعة الملتزمة، يغيب هذا المنحى بصورة عامة عن أعمالها الفنية. عندما ترسم، تنتصر لجانب آخر في نفسها، لوجه آخر من وجوهها

جبل تامالباي: الذي كانت تراه من شرفة منزل صديقتها في أميركا، وتتأرجح هذه اللوحات بين التجريد والتشكيل. الجسور-المنفيين: حيث يعرض رحلاتها من نيويورك إلى بيروت، ومن سان فرانسيسكو إلى باريس، بأعمال مستوحاة من هذه الأرجاء.

عالم من الألوان والأصوات: تلك التي اكتشفتها من خلال الرسوم التي تُنقش على السجّاد.

المعرض يؤرخ لعقود من الإنتاج الفني والأدبي لهذه الفنانة المخضرمة، ويتنوّع بين الكتابة والرسم والطباعة على السجاد، ويضم مجموعة من المطويات "الأكورديون" على الطريقة اليابانية، مصوّرة وملونة بالباستيل، تجتمع الكلمة والصورة في تآلف وانسجام، أو تتلاعب فيها بالألوان على شكل سطور تكتب ضمنها كلمات، بعضها حديث والبعض الآخر يعود إلى سبعينات القرن العشرين، ويضم كذلك رسوماً بريشتها عن الحرب والسّلم والحرية، إضافة إلى رسوم على الورق وعلى خامات مختلفة أخرى استقتها من فن تطريز السجاد الذي اكتشفته في مصر خلال أول زيارة لها في ستينات القرن الماضي، ومن بين المعروضات أيضاً قصيدة للشاعر العراقي بدر شاكر السياب كتبها لابنته، رسمتها بكلمات عربية مُلوّنة، فيها براءة وعفوية.

لا تُصنّف أعمال إيتيل ضمن مدارس ونظريات فنية، وهي أعمال مسافرة مثلها، في الزّمان والمكان، من بيروت إلى باريس ثم نيويورك، وتجتمع في معرضها هذا لتضع حصيلة عقود من العمل والإبداع، وتصف هي إبداعها التشكيلي بأنه نوع من الشعر، شعر بصري، قادر على إيصال الصوت والمعنى.

وُزّع المعرض كغرف، ففي الأولى توجد النهاية العربية، وفيها تسلط الضوء على الحروب ودائرة الموت المحيطة بالشرق الأوسط، والحلول الثورية والعسكرية، والسلام، وقبول الآخر. وفي الثانية كانت الجبال الموضوع الأساس، الذي تعتبرها معجزة صغيرة من التوازن، وإعلان حب للكون، وفي الثالثة كان المنفيون هم الأبطال، من رحلة منفاها، وسفرها، بحثاً عن الذات، وفي الرابعة كانت عوالم الألوان والأصوات، ونسيج من الثقافات واللغات.

وعن أعمالها قال الكاتب والشاعر عيسى مخلوف "كل هذه الجبال والتلال والوهاد، البحار والخلجان والشواطئ، كلها، في عيني إيتيل عدنان، أشرعة لسفر ملون في الذات والطبيعة. يكفي أن تحمل بيدها أنابيب الألوان الزيتية، تضغط عليها بأصابعها، وتفرغ عيّنات منها فوق سطح القماشة، حتى تولد المفاجأة. المشهد الطبيعي في لوحتها مكتف بذاته ولا يحتمل عناصر أخرى. تغيب الشخوص كليا عن أعمالها. وتبدو تلك الأعمال كالحديقة اليابانية التي لا ينظر إليها إلا من الخارج. وحدها العين البصيرة تطأ أرضها وتحلق في فضاءاتها".

ولإيتيل العديد من الأعمال الأدبية، ونشرت عشرين كتاباً بالفرنسية والإنكليزية، شعراً ونثراً، وعن علاقة الكتابة بالفن والرسم عندها، قال مخلوف "تتحرّك لوحة إيتيل عدنان في موقع آخر غير الذي تتحرك فيه أعمالها الأدبية، بينما يحضر لبنان الحرب الأهلية في رواياتها "الستّ ماري روز" (1977) أو في كتابها "يوم القيامة العربي" (1989)، وبينما تحضر أحداث التاريخ المعاصر في شعرها، من فلسطين ولبنان إلى سوريا والعراق، كاشفة عن وجه المبدعة الملتزمة، يغيب هذا المنحى بصورة عامة عن أعمالها الفنية. عندما ترسم، تنتصر لجانب آخر في نفسها، لوجه آخر من وجوهها، هو الوجه الذي يلتفت إلى الطبيعة وعناصرها، الوجه الذي يقبل بحب على العالم".

لا يبدو على أعمال إيتيل التأثّر بالعمر، فهي ترسم بروح شابة مُتّقدة، وتكتب بنضارة ربيع العمر، وتقوم بالعملين معاً بحرية وانطلاق كعصفور يبحث عن حرية، وتُقدّم أعمالاً مسافرة، لا يُعكرها الزمان، ولا الذاكرة.

ويقول مخلوف "تغيب الشخوص كلياً عن أعمالها، وتبدو تلك الأعمال كالحديقة اليابانية التي لا يُنظر إليها إلّا من الخارج، وحدها العين البصيرة تطأ أرضها وتحلّق في فضاءاتها، وهذا ما يميّزها عن الحديقة الأوروبية أو الحديقة في الإسلام، كما عهدناها، مثلاً، في "جنّة العريف" في غرناطة، لا أثر لشيء في اللوحة من خارج المشهد إذن. لا شيء يعكر صفوَ اللوحة حتى توقيع الفنانة.. وهل تحتاج اللوحة إلى توقيع ممّن تتماهى مع المشهد الذي ترسمه، وهو، على نحو ما، صورتها الشخصية".

والشاعرة الفنانة إيتيل عدنان، وُلدت في بيروت عام 1925 من أب سوري دمشقي وأمّ يونانية، وعاشت ضمن تنوّع عرقي وثقافي سليم، وكان والداها يتكلمان مع بعضهما باللغة التركية، وأمها تتكلم معها باليونانية، وكان الناس في بيروت يتكلمون معها بالعربية، وفي مدرستها بالفرنسية، ودرست بالجامعة بالإنكليزية، فتحدثت كل هذه اللغات بطلاقة، وألّفت أولى قصائدها باللغة الفرنسية في سن العشرين، وصارت خريجة جامعات السوربون، ثم بيركلي وهارفارد، ودرّست الفلسفة من العام 1958 ولغاية العام 1972.

اشتركت بحملات في كاليفورنيا ضد حرب فيتنام، وحروب أخرى، كحرب الجزائر والحرب اللبنانية حيث كانت تقيم في لبنان في العام 1970، قبل أن تغادر إلى ولاية كاليفورنيا لتحصل على اللجوء هناك.

تنتمي عدنان إلى جيل لا يستطيع فصل السياسة وهموم البشر عن همّه الشخصي، فهي لم تتردد فيما مضى بتوجيه النقد للعالم العربي، في شعرها، الذي ينطق بلغة كونية فلسفية لا عرقية، وتتحدث عن كفاح الإنسان ضد الحروب والظلم، وفي لوحاتها، التي تصوّر فيها الجمال والسلام والتفاؤل، وكتبت رواية "الست ماري روز" (1977) باللغة الفرنسية عن الحرب الأهلية اللبنانية التي شهدتها، وفازت بجائزة جمعية الصداقة الفرنسية العربية، وأدانت الإمبريالية والوحشية في ديوانها "بحر وضباب"، وساندت الثورة الفلسطينية شعراً ورسماً، ومؤخرا عبّرت عن تأييدها للثورة السورية، لأجل تحول ديمقراطي يصون كرامة البشر وحرياتهم.

وتقول في لقاء سابق عن وضع العالم العربي "لقد كان العالم العربي برمّته في أيدي أنظمة استبدادية، تُعتبر في غاية الفساد، ولا تريد الرحيل ببساطة، لأنّها مترسِّخة في البنى الهيكلية وذلك أيضاً بسبب الدعم الذي تتلقاه من الخارج، وبناءً على ذلك فإنّ المشكلة لها وجهان، إذ أنّ كلّ بلد لديه مشكلاته المحلية ويعتبر نفسه بالإضافة إلى ذلك معرَّضاً لتأثير القوى العالمية، وعلى سبيل المثال سوريا التي تحكمها حكومة فاسدة منذ أكثر من أربعين عامًا؛ كانت الأوضاع هناك على وشك التحسّن حيث قامت ثورة ما تزال مستمرة، ولكن النظام مع ذلك يرفض بشدة إجراء أيّ إصلاحات، روسيا والصين تساعدان النظام السوري، وصحيح أنّ بإمكان الشعب السوري المسكين أن يثور على حكومة بلده، ولكنه لا يستطيع بمثل هذه السهولة أن يثور على روسيا والصين، ولذلك فإنّ الدول العربية غير متحرِّرة لا من حكوماتها ولا من بقية حكومات العالم، وهذا وضع مأساوي".

تشبه أعمال إيتيل عدنان الفنية الحديقة اليابانية

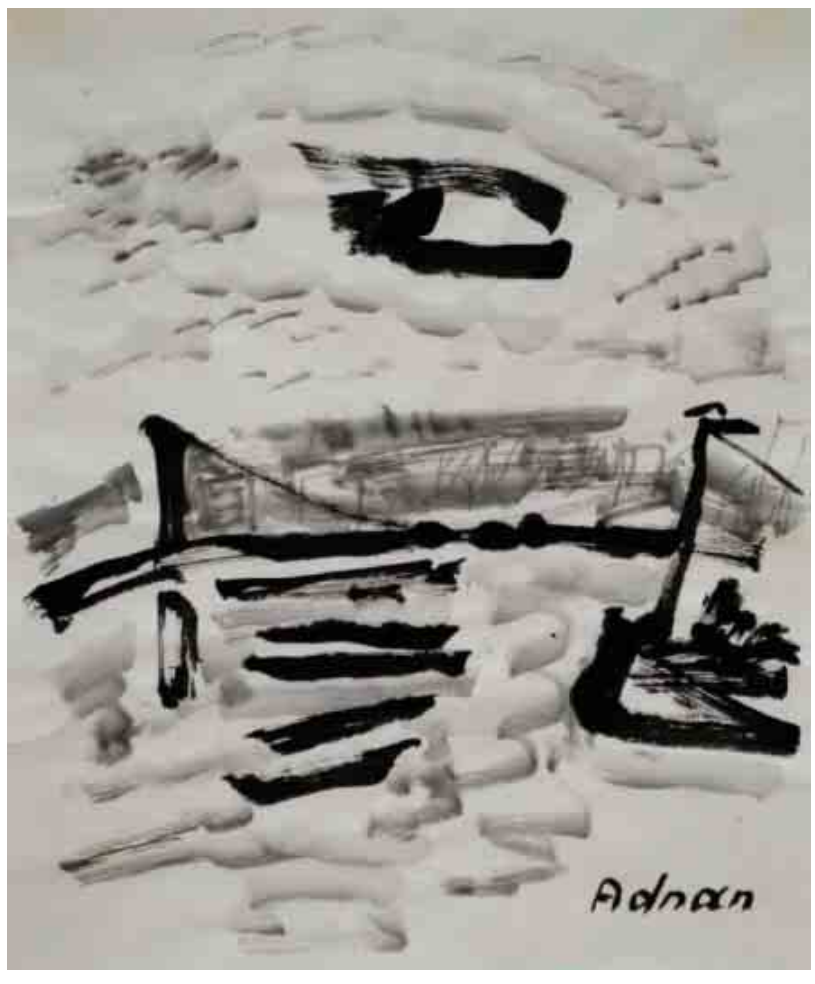

كل ما هو طفولي يظهر في تخطيطات إيتيل عدنان

وقال عنها الشاعر الأميركي روبرت بلاي "إن موهبة الشاعر السويدي توماس ترانسترومر تكمن في إدراكه متى يتوقف عن الكتابة ليتردد صدى البلاغة في هوامش القصيدة، شأنها شأن النغمات الموسيقية، ويتراءى لي أن عدنان تنعم بالموهبة نفسها، لا تصوغ المقطع الأخير كي يُعبّر متعالياً عن حكمة أخلاقية، وإنما تتيح للقارئ فرصة لإتمام ذلك المقطع المتواري عمداً".

خلال رحلة حياتها، ترجمت ونشرت في العديد من البلدان، كما عرضت أعمالها الفنية المختلطة في لندن ونيويورك، وفي متحف الفن الحديث في الدوحة بقطر، واقتنيت أعمالها في العديد من المتاحف، ومن كتبها الأخيرة "سماء بلا سماء"، و"باريس عندما تتعرى" و"قصائد الزيزفون".

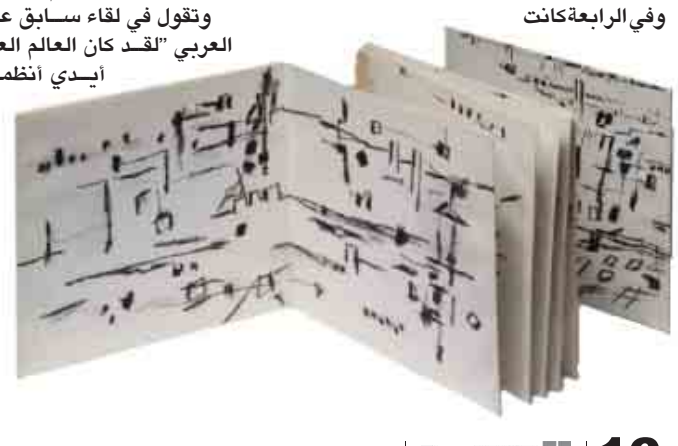

اشتهرت إيتيل عدنان بكتابة الاشعار بحروف ورموز طفولية في كتب فنية

صمت ليس من ذهب

تحسين الخطيب
كاتب من الأردن

❏ لا مسؤولية أخلاقيّة دون معرفة. بيد أنّ هذه المسؤولية تتفاوت، لدى الفرد، بتفاوت درجات المعرفة لديه، وإلى أيّ مدى تستطيع هذه المعرفة، بدرجات تفاوتها وظلال وجودها العميقة، أن تكون قادرة على تحقيق "استنارة" فكرية تجعل المعرفة غير منشودة لذاتها، كمعرفة مجرّدة ليس إلّا، إنما بوصفها طريقًا نورانيًا يذهب فيها المرء، بمشقة بالغة، نحو استبطان دواخل نفسه، في المقام الأول، واستبصار مجاهل أغوارها، لكي يتعرّف على نفسه، بكل جوارحه، ويفهمها، وينقّيها من كل ما يعكر صفو وجودها كذات متحققة في العالم الذي يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم. ومن ثم يكون، بعد ذلك السفر الطويل في قرارة النفس، قادرًا على الولوج إلى العالم الخارجيّ، بكل حواسّه، وإدراكه بروح بصيرة، بثقل المسؤولية التي وضعتها تلك المعرفة على كاهليه.

ولا انفصال من الناحية الاصطلاحية، بين "المسؤولية الفكرية" و"المسؤولية المعرفية"، بل إنّ أحد التعبيرين يستخدم، لدى كثير من المفكرين، كمرادف للآخر، للدلالة على "التسويغ المعرفي" الذي هو -وفق التعريف الفلسفي- مرادف للعقلانية، وتعبير واضح عن الموقف "الصحيح" النابع من معتقدات المرء في ضوء مداركه المعرفية. بيد أنّ الفلاسفة قد اختلفوا حول مسألة تحديد درجة "صحّة" موقف المرء، فربطوها بالمعتقدات نفسها؛ سواء كانت هذه المعتقدات مقولبة، أم هي معرفة تنطق عن موقف أخلاقي أو مسؤول.

ولقد فرّق مفكرون كثيرون بين العديد من المستويات لهذه المسؤولية الأخلاقية التي تنبع من تلك المعرفة. فمسؤولية المثقف -عند نعوم تشومسكي- تنحصر، جوهريًا، وعميقًا، في سعي المثقف الدؤوب إلى البحث عن الحقيقة وفضح الأكاذيب. أمّا إدوارد سعيد، فقد عدّ المثقف الحقيقيّ ذاك الذي "يسعى إلى تحطيم الأفكار الشائعة والقوالب الجاهزة والمقولات المختزلة التي تحول بدرجة كبيرة دون الوصول إلى الفكر الإنساني وتحدّ من التواصل"، والذي يبقى صاحب وعي دائم "بمعايير الشقاء الإنساني والطغيان، بصرف النظر عن انتمائه الفكري، وخلفيته القومية، وولاءاته الفطرية. فلا شيء يشوّه الأداء العلني للمثقف أكثر من الوقوف على الحياد وتغيير الموقف وفق ما تمليه الظروف، والصمت الحذر، والتبجح الوطني، والجحود الذي يستعيد الماضي على نحو دراماتيكي".

ولم يشهد "مصطلح" المثقف ميوعة بالغة السيولة كتلك التي يشهدها الآن. فقد غامت الحدود بين الأشياء، وأصبح شراء الأنفس بالأموال والمناصب -جهارًا نهارًا- خدمة لهذا الطرف ضدّ ذاك، دون أن يجد "المثقف"، الذي كان دائمًا يتغنى بقيم الديمقراطية والحرية والعدالة ومقاومة السلطة، في نفسه حرجًا من ذلك، بل إنّه قد ذهب أبعد، حين استمرأ هذه اللعبة القذرة التي باتت سمه العصر، مستفيدًا من حالة الاستقطاب الحادّ، فراح يجيد الرقص على الحبال، ويحسب خطواته بحرفية التجار المهرة، ولا يتورع عن فعل أيّ شيء في سبيل تحقيق مصلحته الشخصية، ولو على حساب أقرب المقربين إليه. ولم تتوقف المسألة عند هذا القدر فحسب، بل رأيناه يقطع الأشواط دفعة واحدة، ويحرق المراحل كلها، حين راح يزيّن بيع روحه للشيطان، وخنوعه المشين تحت قدمي "عجل الذهب"، بكلمات وعبارات ليست أقلّ من عيار تلك التي كان يتغنّى بها، حتى أصبح الحديث، في الغالب الأعمّ، عن وجود مثقف عربي "مستقل"، يفضح الأكاذيب ويقول الحقيقة، كل الحقيقة، ضربًا من الجنون.

وليس بالضرورة أن يكون صمت البعض، في هذه اللحظة الحاسمة، صمتًا من ذهب. بل إنه أقرب إلى الفضيحة الأخلاقية منه إلى أيّ شيء آخر. فالنجاة لا تكون دائمًا في السكوت.

لا تغلقِ البابَ الذي تأتي منهُ الريحْ
تعبتَ؟
ضعْ كأسًا طافحةً
على الكتاب،
وحلّقْ بإصبعكَ الوسطى
عاليا،
قبلَ أن تستريحْ!

دول الخليج تستقطب السياح بتنوع وجهاتها

الإمارات تستأثر باهتمام رواد معرض سوق السفر العالمي بلندن

شكل معرض سوق السفر العالمي 2016 الذي أقيم على امتداد 3 أيام في دورته الـ37 بلندن، منصة متميزة للكثير من الدول لتسلط الضوء على المقومات السياحية التي تمتلكها، والفعاليات والمهرجانات التي تنظمها على مدار العام. وهيمن الحضور الخليجي على أجنحة المعرض وكان محل اهتمام وإقبال كبيرين من قبل الرواد، واستقطب تنوع وجهاته السياحية الكثير من الزائرين.

❑ لندن – شهدت العاصمة البريطانية لندن منذ أيام الدورة الـ37 من فعاليات معرض سوق السفر العالمي الذي يعد حدثا عالميا في قطاع السفر.

ويمثل هذا المعرض الذي يقام في لندن سنويا، أكبر معرض في قطاعي الضيافة والسياحة، ومن أهم المعارض السياحية على مستوى العالم.

وشكل المعرض فرصة هامة للمشاركين، إذ ضم الكثير من الدول الهادفة إلى عرض برامجها وفرصها السياحية، إلى جانب الخبراء والمختصين والعاملين بالقطاع السياحي، فضلا عن تقديمه لبرامج وأنشطة مرتبطة بالسياحة.

كما أن زيارة المعرض فتحت أمام الزائرين فرصة للتعرف على الوجهات السياحية، حيث مثلت أجنحة المعرض المتخصصة في الصناعة السياحة والسفر والاستثمار والطيران والنقل الجوي وتقنيات السفر وغيرها، منصة لبناء الصلات مع مختلف الزوار ضمن قطاع السياحة والسفر العالمية، إلى جانب توفير فرصة للقاء هيئات السياحة ووكالات السفر وعقد صفقات بينهما.

وعلى الرغم من الحضور الكبير للدول ووكلاء الأسفار، لفتت دول الخليج الأنظار إليها، وهيمنت على منصات أكبر معرض عالمي للسياحة، حيث شهد المعرض مشاركة كافة دول الخليج.

ومنذ انطلق معرض السفر العالمي في لندن، استحوذت أجنحة دول الخليج على اهتمام رواده، لا سيما دولة الإمارات التي حازت خمسة أجنحة بأكملها.

وقدمت الإمارات خلال أكبر معرض للسياحة والضيافة في العالم، عروضا استقطبت إليها الكثير من الحضور، وشدت إليها الأنظار وعجّت بالزائرين من مختلف الجنسيات والاختصاصات.

وحصدت الإمارات الكثير من التوقعات والإعجاب، إذ أشار بعض المشاركين في المعرض إثر زيارتهم إلى جناح أبوظبي، إلى أن المعالم السياحية التي تتميز بها أبوظبي تؤهل الإمارة لأن تصبح مقصدا سياحيا مهمّا خاصة في ظل تعدد أنواع السياحة والمرافق الترفيهية وتطور مستوى الفنادق. وأبهرت المعالم الجديدة التي روّجت لها الإمارات للراغبين في الجمع بين السياحة العلاجية والتسوق، لا سيما وأنها تحتكم على أسواق تجارية حرة وشديدة التنافسية على مستوى العالم.

> إمارة الشارقة تعزز مكانتها كوجهة سياحية بارزة على مستوى المنطقة والعالم، مع تركيزها على تطوير خدماتها ومرافقها السياحية، وتقديم كافة التفاصيل والمواعيد لأهم مهرجاناتها وفعالياتها على مدار السنة

جولات بين معالم جديدة

قبل افتتاحها بشكل رسمي الحضور، وهو ما يرجّح أن تزيد فور افتتاحها في العاصمة الإماراتية من عدد الليالي السياحية التي يقضيها الزوار فيها.

ووفقا لمسؤولين في الشركات التي أثثت جناح أبوظبي، فإن اهتمامات زوار الجناح كانت منصبة على الاستفسار حول المعالم الحالية والجديدة في الإمارة، وخاصة جزيرة ياس، وجامع الشيخ زايد الكبير إلى جانب متحف اللوفر الذي وقع تأجيل افتتاحه إلى 2017.

وأحسن الخليجيون استغلال منصة معرض سوق السفر العالمي للترويج والدعاية لمعالمهم الحالية والجديدة، وتقديم صور حولها إلى كافة أقطاب قطاع السياحة في العالم لاجتذابهم إلى زيارتها والتعرف عليها عن كثب.

ولا توفّر دولة الإمارات جهدا خلال المعارض الكبرى لاستقطاب المزيد من السياح، إذ أظهرت على هامش مؤتمر السياحة العلاجية الذي أقيم في مركز دبي الدولي للمؤتمرات والمعارض في الـ9 من أكتوبر الماضي، أنها تسعى إلى أن تصبح مركزا للسياحة العلاجية العالمية والوجهة المفضلة للمرضى المحليين والأجانب.

كما أن الإمارات أصبحت تعدّ أيضا من أكثر الوجهات السياحية جذبا للسياحة العلاجية مؤخرا، وتشكل الوجهة المثالية المنطقة والعالم، علما وأنها تعمل على تطوير خدماتها ومرافقها السياحية، بحيث تتماشى مع القطاع ومتطلبات الزوار من الفئات كافة، مع التركيز على العائلات.

وسعت الشارقة إلى تقديم كافة التفاصيل والمواعيد لأهم مهرجاناتها وفعالياتها على مدار السنة، فضلا عن معالمها وأنشطتها.

واستأثرت المملكة العربية السعودية على اهتمام رواد المعرض عبر جناحيها، إذ خصص أحدهما للخطوط الجوية السعودية والآخر للهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني التي شاركت في المعرض مع عدد من شركائها من الجهات الحكومية والخاصة.

وعملت الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني على الترويج للعديد من المنتجات التي تجتذب السائح الأجنبي، بالإضافة إلى الإجابة على كل الاستفسارات التي تهم المستثمرين الأجانب.

وعلى ضوء المعرض ترجّح العديد من المصادر أن تؤدي "رؤية السعودية 2030 إلى إنعاش القطاع السياحي في المملكة، وأن تشهد السعودية في وقت قريب تدفق أعداد غفيرة من السياح من مختلف أنحاء العالم لقضاء الإجازات والعطلات الترفيهية.

وإلى جانب دول الخليج عرف المعرض مشاركة مصرية، عبر جناح أثثته 18 شركة و26 فندقا، إضافة إلى شركة مصر للطيران واتحاد الغرف السياحية.

إلى أين تذهب

صحراء الدناكل الإثيوبية تشبه مشهدا من ألعاب الكمبيوتر الشهيرة

❑ أديس أبابا – تجتذب صحراء الدناكل الواقعة في شمال شرق إثيوبيا العديد من السياح، بفضل ما تزخر به من مناظر طبيعية نادرة يرسم ملامحها بركان نشط وبحيرة ملح، وهذا ما يملأ الكثير من زائريها بالشعور وكأنهم في رحلة إلى كوكب آخر.

وأكثر ما يميّز صحراء الدناكل، انخفاضها الشديد، الذي يصل في بعض المناطق إلى 160 مترا تحت سطح البحر، بالإضافة إلى أنه مع حلول الظلام تنخفض درجة الحرارة لتصل إلى 35 مئوية عند بداية رحلة المغامرة لتسلق بركان "إرتا أليه" النشط بشكل مستمر في منطقة عفار.

وعلى ضوء المشاعل يقود المرشد من قبيلة عفار البدوية السيّاح عبر الحمم البركانية، وبعد جولة التسلق، التي تمتد إلى أربع ساعات، يتم الوصول إلى فوهة البركان، وينعم السياح بإطلالة رائعة على الحمم البركانية، التي تغلي باستمرار. وأشار فابيان مارباخ، القادم من سويسرا، إلى أنه من الرائع حقا مشاهدة البركان النشط حيث يعتبر بركان "إرتا أليه" واحدا من البراكين القليلة النشطة في العالم، والتي تلقي بحممها باستمرار.

وينسى السياح متاعب الصعود والتسلق بمجرد الوصول إلى القمة، التي يبلغ ارتفاعها 600 متر، وفي ظلام الليل تبدو الحمم في المخاريط البركانية بشكل رائع، ومع ثورات البركان يرتفع الشرر المتوهج للعديد من الأمتار.

وينعم السياح في هذه المنطقة بمشاهدة مناظر طبيعية، يندر وجودها في أيّ بقعة أخرى من العالم، مثل البركان النشط وبحيرة الملح التي تمتد إلى الأفق، وثقوب الكبريت وقوافل الجمال، التي لا نهاية لها.

وانطلاقا من مخيم بسيط على حافة فوهة بركان "إرتا أليه" يسير السياح على مسار حاد إلى داخل الصحراء المكونة من الحمم البركانية.

ويتعين على السياح توخّي أقصى درجات الحيطة والحذر عند السير حول الحمم البركانية النشطة، ويعتمد المرشد المحلي على خبرته ونظرته في عدم الخوض في الحمم البركانية.

وفي الكثير من المواقع يشاهد السياح الحمم البركانية ذات اللون الرمادي والأسود، والتي تتشكل على هيئة تجاعيد وطيّات، ومن خلال الفتحات والثقوب الصغيرة يلاحظ السياح أن هذه الحمم البركانية لا تزال متوهّجة. ومع حلول منتصف الليل يكون السياح قد شاهدوا ما يكفي من الحمم البركانية النشطة، ويتم تجهيز بعض المراتب البسيطة للنوم، وهنا يظهر أمام السياح مشهد بديع للسماء الصافية المرصعة بالنجوم.

وتبدأ رحلة العودة قبل شروق الشمس حتى يتجنب السياح التعرض للحرارة الشديدة خلال النهار.

ويهيمن على هذه المنطقة الجرداء قبائل عفار البدوية، التي تدين بالإسلام. وتعتمد هذه القبائل في معيشتها منذ قرون على تعدين الملح وتربية الإبل والحمير والماعز.

وتمتد الرحلة من بركان "إرتا أليه" إلى وادي دالول، الذي ينخفض 100 متر أسفل مستوى سطح البحر، لمسافة 800 كيلومترا وتستغرق يوما كاملا.

وتسير الرحلة عبر الأراضي القاحلة، التي تسود فيها درجات حرارة مرتفعة، حتى تنتهي الرحلة عند بحيرة الملح آسال، والتي تمتد على مساحة شاسعة إلى الأفق.

ويصل عمق مياه البحيرة إلى الكاحل ويظهر من أسفلها ألواح الملح الأبيض كالثلج. وتعمل الينابيع الجوفية على إمداد البحيرة بالمياه، التي تبدو كمرآة. ونظرا للألوان الشديدة المكثفة والمناخ القاري يشعر السياح كأنهم في مشهد من ألعاب الكمبيوتر الشهيرة.

وتعتبر بحيرة الملح من أهم مصادر الدخل لقبائل عفار، حيث يقوم السكّان منذ قرون طويلة بتعدين الملح. ويعتبر الاستمرار في عمليات نقل الملح على ظهور الجمال خلال القرن الحادي والعشرين من الأمور المملة والبطيئة، إلا أن قبائل عفار تفتخر بذلك وبحفاظها على تقاليدها الأصيلة.

وتنطلق سيارات الجيب، التي تقل المجموعات السياحية من بحيرة الملح باتجاه الشرق، حتى تصل إلى حقول الكبريت في وادي دلول، وتقع هذه المنطقة على مسافة بضعة كيلومترات من الحدود الإريترية، ولذلك تظهر نقاط حراسة إلزامية تضم ثلاثة جنود في كل نقطة مسلحين ببنادق الكلاشينكوف.

ويعمل النشاط البركاني الجوفي على إخراج المعادن إلى سطح الأرض، حيث يظهر الكبريت بكل درجات اللون الأصفر، ولا توجد أي عوائق أمام السياح للاستمتاع بهذه المناظر الطبيعية الخلابة. وتنتشر التجمعات المائية الصغيرة في العديد من الأماكن، وتظهر بألوان وأشكال بديعة ويشعر السياح مع هذه المناظر الطبيعية وكأنهم على كوكب آخر.

الاحتفاظ بصورة

■ أخبار سياحية

◄ السياحة التونسية تشهد انتعاشا

■ عدد السياح الروس الذين زاروا تونس حتى شهر أكتوبر من العام الحالي فاق التوقعات المعلنة من قبل وزارة السياحة.

وبحسب ما أفادت به وزيرة السياحة سلمى اللومي الثلاثاء الماضي في جلسة استماع في البرلمان، فقد زار تونس حتى نهاية الشهر الماضي 620 ألف سائح روسي من بين نحو خمسة ملايين سائح أجنبي.

وإجمالا سجل عدد السياح الوافدين على تونس تطورا بنسبة 3.3 بالمئة حتى شهر أكتوبر الماضي مقارنة بنفس الفترة من العام الماضي.

◄ دبي تستعد لأوسكار الإعلام السياحي

■ المركز العربي للإعلام السياحي يعلن بدء استقبال الترشيحات للدورة التاسعة لجوائز أوسكار الإعلام السياحي العربي بداية من 13 نوفمبر حتى منتصف الشهر المقبل.

وأشار المركز في بيان إلى أن الجوائز تهدف إلى دعم حركة السياحة في المدن العربية وتسليط الضوء على المدن العربية المتميزة سياحيا وتحفيز السياحة العربية البينية كما تهدف إلى تكريم الشخصيات والمؤسسات والفنادق التي تسهم في دعم السياحة في المنطقة العربية.

◄ الخطوط الكويتية تجدد أسطولها

■ مدير مكتب شركة الخطوط الجوية الكويتية في لندن مانع المانع يؤكد حرص المؤسسة على العودة بكل قوة إلى المنافسة، لا سيما بعد التحديث الأخير لأسطولها وخطتها لإطلاق وجهات جديدة سترى النور قريبا.

وقال المانع على هامش افتتاح معرض السياحة والسفر العالمي، إن الشركة بدأت بالفعل اتخاذ "خطوات جادة" إذ ضمت مؤخرا سبع طائرات جديدة من طراز (320 إيه) من شركة أيرباص والتي سيتم تشغيلها على الخطوط القصيرة، بالإضافة إلى خمس طائرات أخرى من الطراز نفسه سيتم تشغيلها على الخطوط متوسطة المدى.

◄ فرنسا تطمئن السائحين الآسيويين

■ فرنسا تعتزم الاستعانة بعدد أكبر من وحدات الشرطة وكاميرات المراقبة لطمأنة السائحين الآسيويين الذين أدت السرقات وهجمات المتشددين إلى عدم إقبالهم على زيارة فرنسا وتفادي حدوث هبوط حاد في أعداد السائحين.

وفرنسا أكثر الدول شعبية في العالم بالنسبة إلى السائحين فقد زارها العام الماضي نحو 85 مليون زائر ويوظف قطاع السياحة نحو مليوني شخص.

وستركز الأعداد الإضافية من الشرطة والكاميرات بشكل أساسي على نقاط جذب الزوار وطرق الدخول إلى باريس والمناطق المحيطة بها.

◄ متحف اللوفر بأبوظبي يفتتح في 2017

■ الافتتاح الرسمي لمتحف اللوفر في أبوظبي تأجل حتى العام 2017 بسبب أعمال إنشائية معلقة.

ويأتي مشروع افتتاح متحف اللوفر في أبوظبي ومتحفين آخرين في إطار مساعي الإمارة الخليجية لتنويع اقتصادها بعيدا عن النفط باستثمار مليارات الدولارات في قطاعات السياحة والصناعة والبنية الأساسية.

وقال مصدر مقرب من المشروع "أولا يتعين استكمال مباني المتحف وتسليمها وبعد ذلك يأتي الافتتاح المقرر الآن خلال عام 2017".

وأضاف "هناك بعض الأعمال التي يتعين إتمامها مثل التصميم الداخلي والاختبارات وهي حاسمة مع الافتتاح".

◄ جسر جايرلاي الألماني يحبه السياح

■ جسر جايرلاي، أطول جسر معلق بالحبال في ألمانيا، يأتي ضمن أحب 100 مقصد سياحي في البلاد.

وأحصت كاميرا ويب عبور أكثر من 370 ألف سائح على الممشى المتأرجح الذي تم افتتاحه قبل أكثر من عام ويقع الجسر فوق ذراع جانبي من وادي موزيل الذي يتميز بمناظره الخلابة.

وجاء جسر جايرلاي في المركز الـ85 في استطلاع عن أحب مئة مقصد سياحي في ألمانيا أجرته منظمة "المراكز الألمانية للسياحة" بين أكثر من 40 ألف زائر من 66 دولة.

الذكاء الاصطناعي يضمن سلامة أطفال المستقبل

أساور تنقذ حياة الأبناء وروبوت يلبي الحاجة للأمومة

الأجهزة الذكية ترافق الأطفال

يسعى الباحثون إلى إيجاد حلول لأمراض جديدة منها ارتفاع نسبة السمنة بين الأطفال ومعاناتهم من كثرة الخمول ونقص الحركة، لا سيما وأن الهاتف الذكي بمختلف تطبيقاته الحديثة يشد انتباه الأطفال بعيدا عن ممارسة أيّ أنشطة أخرى. كما أن مرض التوحد الذي توسعت دائرته بين الأطفال يعزل مرضاه.

❏ **لندن** – يعمل الذكاء الاصطناعي على مساعدة الأطفال على تجاوز بعض الأمراض، ويحاول العلماء من خلال ابتكار الأجهزة الذكية، الاهتمام بالأبناء وبصحّتهم الجسدية والنفسية.

وقد قام فريق من العلماء الفرنسيين مؤخرا، بتطوير سوار متصل بالإنترنت، هدفه متابعة حركة الطفل ودفعه لمزاولة النشاط الحركي.

وبحسب الأطباء الفرنسيين يأتي طرح السوار الذي أطلق عليه اسم "سوار فيفوفيت"، لبث الرغبة في المزيد من النشاط والحركة لدى الأطفال، بعد أن حذرت العديد من الدراسات الأخيرة من سيطرة السمنة على الأطفال، بالإضافة إلى استعمالهم المفرط للأجهزة الذكية التي ساهمت في الخمول وتقليل الحركة.

وأشار الأطباء إلى أن السوار موجود في الوقت الحالي بالصيدليات الفرنسية متخذا أشكالا وألوانا مختلفة تحث الأطفال على ارتدائه حول معاصمهم.

وكان علماء من روسيا أعلنوا العام الماضي عن اعتكافهم على ابتكار سوار يرسل إشارات إلى والدي الطفل تعلمهما بأنه على وشك أن يغرق.

وصمّم السوار بشكل يمنع إرسال إشارات كاذبة، عندما يسبح الطفل بصورة طبيعية، لأنه مجهز بأجهزة استشعار يمكنها التعرف على حركات الأيدي غير الطبيعية وكذلك ازدياد ضربات القلب.

وطوّر فريق من الباحثين في أميركا برنامج كمبيوتر لقياس مشكلات التخاطب واللغة لدى الأطفال.

وابتكر فريق من الباحثين في مختبر علوم الكمبيوتر والذكاء الاصطناعي بمعهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا بالتعاون مع معهد المهن الصحية بمستشفى ماساشوسيتس العام برامج كمبيوتر يمكنها قياس قدرات النطق والتخاطب لدى الأطفال بشكل آلي بل وتقديم تشخيص دقيق لطبيعة المشكلات التي يعانون منها.

ونقل موقع ساينس ديلي المعني بالأبحاث والابتكارات العلمية عن الباحث جون جوتاج، وهو أحد أعضاء فريق البحث، قوله خلال مؤتمر علمي للتخاطب "لقد أوشكنا على الانتهاء من عملنا".

ويقوم البرنامج بتحليل تسجيلات صوتية لأداء الأطفال بناء على اختبار قياسي قائم على تلاوة قصة ما على الطفل مصحوبة بمجموعة من الصور، ثم يطلب من الطفل إعادة رواية القصة بأسلوبه الخاص.

وقال جوتاج "الفكرة المثيرة هناك هي إمكانية إجراء الاختبار بشكل آلي تماما اعتمادا على آلة بسيطة للغاية".

وأضاف جوتاج "يمكننا أن نتخيل إجراء عملية تلاوة القصة بواسطة هاتف محمول أو كمبيوتر لوحي، وهو ما يفتح المجال أمام إمكانية إجراء اختبارات التخاطب لعدد كبير من الأطفال بتكلفة منخفضة، وهو ما سيسدي خدمة جليلة للمجتمع".

كما أن فريقا من الباحثين بجامعة ميغيل هيرنانديز الأسبانية عكف على تطوير روبوت يحمل اسم "أيسوي 1" للمساعدة في علاج الأطفال الذين يعانون من أعراض اضطرابات نفسية ناجمة عن مرض التوحد.

وأفاد فريق البحث أن الهدف من "أيسوي 1" البحث عن السبل التي يمكن من خلالها المساهمة في تحسين جلسات العلاج التي تجرى بعيادات الجامعة للأطفال المصابين بمرض التوحد.

ويعتمد أسلوب العلاج المتّبع حاليا بالجامعة لمساعدة الأطفال من مرضى التوحد على استخدام الروبوت أيسوي بالفعل كمساعد للأخصائي المعالج، ولكن أعضاء فريق البحث يريدون دمج خبراتهم في مجال العلاج النفسي السلوكي وعلوم الروبوتات في ابتكار أساليب جديدة لجعل الروبوت أكثر فائدة في جلسات العلاج.

ويعكف الفريق على تطوير الروبوت واختباره على الأطفال من مرضى التوحد بالعيادات الخارجية للجامعة، وتكمن الفكرة في أن الطفل المريض يمكنه عن طريق التفاعل مع الروبوت أن يقوم بتحسين مهاراته الانفعالية والاجتماعية والذهنية، ويستطيع الروبوت بعد تطويره أن يساعد الأخصائي المعالج عن طريق التعبير عن الانفعالات المختلفة بحيث يستطيع الطفل المريض التعرّف عليه.

كما يمكنه اقتراح ألعاب تستهدف تنمية المهارات المختلفة. وأفاد الموقع الإلكتروني ساينس ديلي أنه من المتوقع أن يكون الطفل على علاقة انفعالية مع الروبوت، وهو ما سيؤدي إلى تعظيم الفائدة العلاجية التي تتحقق خلال الجلسات.

وأشار الباحثون إلى أنهم يهدفون في المستقبل إلى تعزيز دور الروبوت لمساعدة الأطفال الذين يعانون من مشكلات نفسية أخرى مثل الاضطرابات الناجمة عن النشاط الزائد أو غياب التركيز وغيرها.

ووفقا لفريق البحث من المقرّر اعتبارا من يناير 2017، طرح نسخة مجربة ومختبرة من البرنامج المستخدم لتشغيل الروبوت أيسوي مع نمط تشغيل مخصص للأطفال من مرضى التوحد بحيث يمكن أن يستخدمه الأطباء والآباء على حدّ سواء.

وطرحت عالمة نفس أيسلندية أواخر يوليو الماضي دمية قادرة على مساعدة الأم على تنويم الطفل ليلا. وحاولت عالمة النفس إيجاد حلّ لاضطرابات النوم عند الأطفال كونها من أكثر المشاكل التي تؤرق حياة الأم، وذلك من خلال دمية بنبضات قلب وأصوات تنفس تحاكي حياة الطفل في رحم والدته.

وتهدف الدمية التي أطلقت عليها اسم "لولا" إلى إيهام الطفل بأنّ والدته بجانبه لتساعده على الاستسلام للنوم بسرعة ولأطول فترة ممكنة، خاصة خلال الليل لمساعدة الأم على النوم ساعات طويلة تمكّنها من بدء يوم جديد مليء بالنشاط والحيوية.

وابتكرت الفكرة الأم وعالمة النفس إريان إيغرستوتر، والتي تعمّقت في أبحاثها عن النوم إلى جانب الطفل، ليخطر ببالها تنفيذ دمية تساعد الأطفال على النوم، في حال لم تتح الفرصة للأهل بالنوم إلى جانبهم.

ووفقا لإيغرستوتر تهدف الدمية أيضا إلى تنظيم التنفس ودقات قلب الطفل، ما ينجم عنه نوم الرضيع لفترة أطول وبنوعية أفضل، بالإضافة إلى إشعار الطفل بالأمان.

وعملت مبتكرة الدمية الأيسلندية مع المستشفيات والباحثين لتنفيذ فكرتها بالشكل الأفضل، وحصدت الفكرة إقبالا كبيرا، علما وأن هذه الدمية يتمّ بيعها في الوقت الحالي على الإنترنت.

ونجح الأطباء سنة 2014 في ابتكار أذن اصطناعية بتقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد للأطفال المولودين بتشوهات خلقية.

وأفاد الباحثون أن هذه التقنيات الجديدة ستسمح بإعطاء الأطفال الذين يعانون من تشوهات الأذنين، أذنا جديدة مطبوعة بهذه التقنية الرائدة لتصحيح عيوب التشوهات الخلقية باستخدام الطباعة ثلاثية الأبعاد.

وقد اكتشف البروفيسور أليكس سيلفاليان وفريقه من جامعة لندن أن هيكل الأذن يمكن طباعته باستخدام حبر بيولوجي، يستطيع بناء الشكل الخارجي والداخلي للأذن.

> الروبوت أيسوي يستطيع تحسين مهارات الطفل المريض بالتوحد، الانفعالية والاجتماعية والذهنية، كما يمكنه اقتراح ألعاب تستهدف تنمية المهارات المختلفة

بعدها يتم زراعة هذا الشكل تحت جلد الذراع، حيث تنمو حوله الأنسجة والأوعية الدموية، وبعدها يتم استخراجه وزراعته على جانب من الرأس.

وقد ثبت بالفعل للعلماء أن الأذنين تمكن زراعتهما على ظهر الفئران، ويتوقع أن تنتقل هذه التجارب إلى الإنسان مستقبلا.

ويقول البروفيسور أليكس، الذي يرأس تكنولوجيا النانو والطبّ التجديدي في كلية لندن الجامعية "في المستقبل أعتقد أن الجرّاحين سيتمكنون عبر الهاتف الذكي من طلب أجهزة وأعضاء كاملة داخل الجسم بهذه التقنية".

كما عمل الذكاء الاصطناعي على تعليم الأطفال من خلال ابتكار روبوتات وتطبيقات بهدف مساعدة الأطفال على التعلم.

وقد قام بعض الباحثين من جامعة بيليفيلد بالعمل على روبوت وبرمجته بشكل متطور، من أجل أن يكون قادرا على تعليم الأطفال اللاجئين اللغة الألمانية، خاصة أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين 4 و5 سنوات، وهذا لتأهيلهم للاندماج مع الأطفال الآخرين عندما يلتحقون بالمدارس.

ويسعى الباحثون إلى تسريع عملية دمج الأطفال وتمكينهم من اللغة من خلال الروبوت الذي أطلقوا عليه اسم "ناو".

الجدير بالذكر، أن الذكاء الاصطناعي لم يكتف بمساعدة الأطفال ومعالجتهم، وإنما عمل أيضا على معالجة عقم الوالدين من خلال استبدال الإنجاب برضيع آلي لتلبية حاجة المرأة للأمومة، حيث أزاحت شركة تويوتا موتور النقاب الشهر الماضي، عن روبوت لرضيع آلي في حجم الكف أطلقت عليه اسم "كيروبو ميني" وصمّم ليكون رفيقا صناعيا في سن الرضاعة وذلك في ظل الانخفاض الشديد لمعدلات الإنجاب باليابان وحرمان يابانيات كثيرات من الأمومة.

وقال فومينوري كاتاوكا كبير مهندسي تصميم "كيروبو ميني"، "يهتز الروبوت قليلا بهدف محاكاة رضيع جالس لم يطور بعد مهارات التوازن بالكامل. ويستهدف هذا الضعف استثارة تواصل عاطفي".

وتعتزم تويوتا بيع "كيروبو ميني"، الذي تطرف عيناه ويتكلم بنبرة صوت عالية كالأطفال في اليابان، العام المقبل.

وستبيع الشركة الروبوت مع فراش يوضع فيه ويمكن تثبيته في مكان وضع الكوب في السيارة.

جديد التكنولوجيا

❏ شركة ويلى فوكس البريطانية تطلق هاتفين جديدين من الفئة المتوسطة بنظام التشغيل سيانوجين أو إس البديل لنظام غوغل أندرويد.

ويظهر الجهازان في جسم من الألومنيوم، وشاشة قياس 55 بوصات بدقة إتش دي.

ويشتمل الهاتفان على بعض الوظائف مثل نظام المسح الضوئي للبصمة وتقنية أن أف سي وبطاقات سيم المزدوجة ووظيفة الشحن السريع للبطارية قدرة 2700 ملّي أمبير. ويعمل الجهازان بنظام سيانوجين او اس 13 المعتمد على أندرويد6 المعروف باسم مارشميلو.

❏ شركة هواوي تكشف النقاب عن هاتفها الذكي مات 9 الجديد من الفئة الفاخرة، موضحة أن جهاز الفابلت الجديد يأتي مزودا بشاشة أي بي إس قياس 5.9 بوصة تعمل بتقنية الدقة الفائقة الكاملة.

وتشتمل باقة التجهيزات التقنية للهاتف الذكي على كاميرا مزدوجة مطوّرة من شركة لايكا. وتروج الشركة لجهاز الفابلت من خلال البطارية سعة 40000 ملي أمبير/ ساعة، والتي تزخر بوظيفة الشحن السريع، حيث يكفي شحنها لمدة نصف ساعة لكي تدوم يوما كاملا. وتشحن بالكامل خلال ساعة ونصف.

❏ شركة سوني تعلن عن طرح جهاز الألعاب بلاي ستيشن 4 برو (بي أس4 برو) مع تطوير الغرافيك في 30 لعبة.

وأكدت شركة سوني على طرح 15 لعبة أخرى حتى نهاية العام الجاري، من أجل الاستفادة من القدرة العالية لجهاز الألعاب.

ولا تشتمل قائمة الألعاب المطورة على أسماء شهيرة، كما أن لعبة محاكاة كرة القدم فيفا، لا تعمل إلا بواسطة الإصدار الحديث فيفا 17 فقط. وتمتاز الألعاب المخصصة لجهاز بلاي ستيشن 4 برو بدعم دقة الوضوح 43840×21600 كي بيكسل لأول مرة، طالما أن أجهزة التلفاز تدعم هذه الوظيفة.

❏ شركة غوغل تعلن عن إطلاق الإصدار 2.0 من تطبيق أندرويد أوتو، والذي يمكن تشغيله على شاشة الهاتف الذكي مباشرة، ومن ثم يمكن استخدامه في أيّ سيارة، بشرط توفر الإصدار 5.0 (لولي بوب) من نظام التشغيل أندرويد أو أعلى. وفيما مضى كان تطبيق أندرويد أوتو يعمل فقط في السيارات المزوّدة بأنظمة ملتيميديا متوافقة وشاشة عرض خاصة، في حين كان الهاتف الذكي مجرد مُشغّل عبر كابل "يو إس بي".

يُشار إلى أن أندرويد أوتو يقدم العديد من الوظائف المتعلقة بالخرائط والملاحة وتشغيل الموسيقى والتحدث الحرّ أثناء المكالمات الهاتفية واستعمال الوظائف المختلفة بواسطة الأوامر الصوتية، كي لا يرفع قائد السيارة يده عن المقود أثناء القيادة، وبالتالي لا يتشتت انتباهه.

❏ مجموعة من الباحثين البريطانيين يطورون جهازا جديدا في حجم ذاكرة الفلاش "يو إس بي" قادر على كشف مرض نقص المناعة البشري خلال 30 دقيقة.

ويعتمد الاختبار الجديد على أخذ نقطة دم من الشخص ثم توصيل الفلاش "يو إس بي" داخل كمبيوتر، حيث ينشئ إشارة تمكن قراءتها عن طريق الكمبيوتر أو أيّ جهاز نقال يدعم منفذ "يو إس بي".

وقال الباحثون المطورون للجهاز إن اختبار "يو إس بي" يستخدم لمساعدة المرضى في المناطق البعيدة على كشف المرض والتحكم فيه بطريقة فعالة، مشيرين إلى أن اكتشاف المرض بسرعة والتحكم فيه، هو أساس نجاح علاجه.

البيت ناد رياضي مصغر يحافظ على اللياقة دون تكاليف باهظة

أدوات وأجهزة بسيطة تدرب كل العضلات في أي وقت

يميل الكثيرون إلى ممارسة التمارين الرياضية داخل القاعات المجهزة بالآلات والأجهزة المتطورة وينفقون في ذلك أموالا كثيرة، طوال فترة التمرين التي قد تنقطع، أحيانا، لضيق الوقت أو لالتزامات أسرية أو اجتماعية. ويحدث ذلك في الوقت الذي يمكن لمن يرغب في الحفاظ على نسق منتظم من اللياقة، أن يوفر المال والوقت باقتناء أدوات بسيطة غير مكلفة لتدريب كل عضلات الجسم العلوية والسفلية ويكون كل ذلك في البيت.

الرياضة بالبيت أقل كلفة وأكثر سلامة

❑ **لندن** – يشجع مدربو اللياقة فكرة تحويل البيت إلى ناد رياضي مصغر يحتوي على كل الأدوات الأساسية لتدريب جميع العضلات. فأغلب المتدربين يحتفظون ببعض الأدوات ولا يلقون بالا إلى أهمية تجميع عدد أكبر منها وتصنيفها حسب العضلات المراد تدريبها. فقد نجد في بيوتنا حبل النط أو الكرة الطبية أو غيرهما ولا ندرك أن هذه الأدوات على بساطتها يمكنها تشكيل برنامج رياضي شامل.

الكرة السويسرية

أجمع علماء الرياضة بجامعة سان دييغو على أن التمارين بالكرة السويسرية تزيد وتحسن القوة للعضلات الأمامية والجانبية للبطن والجانبية للظهر. وهي تساعد أيضا على تقوية عضلات الثبات والتوازن المحيطة بالعمود الفقري والعضلة المسؤولة عن تقوّس المنطقة القطنية وتثبيت أكثر من 12 فقرة بالحوض.

ويطلق على الكرة السويسرية اسم الكرة الطبية أيضا لأنها تنمّي توازن الجسم وتساعد على تأهيل جسد المرأة، بعد الولادة.

وتعمل هذه الكرة على تنمية التحكم العصبي العضلي حول منطقة الوسط وعضلات سقف الحوض والحجاب الحاجز. وللجلوس عليها فوائد كثيرة:

● تخفيف الجهد على منطقة أسفل الظهر وراحة للمنطقة القطنية.

● تنشيط الدورة الدموية بالأطراف والأرجل ومنع تورم القدمين.

الوقاية من الدوالي ومنع المشاكل المترتبة عنها بالجلوس لمدة طويلة.

● شد عضلات البطن وبالتالي مساعدة الأمعاء على الهضم والتخلص من الغازات بالجسم وبالتالي راحة القولون.

● تشجيع الأطفال الذين يقضون ساعات طويلة أمام الكمبيوتر والتلفزيون على الحركة والنشاط بدلاً من السكون والسلبية.

● الكرة تجبر الجسم على الحركة بالجلوس عليها وبالتالي تعزز تحريك عدد من العضلات بما يفقد الجسم كمية هامة من السعرات الحرارية وبذلك يتم تخفيض الوزن.

وأثبتت البحوث الحديثة أنه تمكن إزالة الكرش واستبدالها ببطن مسطحة ومشدودة باستخدام الكرة السويسرية وفي وقت أقلّ من التمارين التقليدية. وباعتبارها قاعدة مطاطية وغير مستقرة فإن ممارسة الرياضة عليها تحفز الجسم أكثر لإشراك العضلات الأساسية وتوزيع الجهد عليها.

ويتفق الكثير من الأطباء والمدربين على أن التمرينات بالكرة السويسرية تمارسها جميع الأعمار وهي مفيدة في العلاج الطبيعي والنفسي والبدني، كما أن هناك سيدات غير مدربات مارسنها وقد رفعت من مستوى القوة لديهن وكذلك الثبات الداخلي وأزالت آلام أسفل الظهر لديهن.

يذكر أن استخدام الكرة السويسرية في العام 1960 كان موجها لإعادة تأهيل إصابات العمود الفقري بسويسرا. وانتقلت في العام 1980 إلى الولايات المتحدة وَصارت تستخدم للرياضيين.

حبل القفز أو النط

توصف رياضة نط الحبل بأنها رياضة الجسم الكامل، التي تقوم فيها كل أجزاء الجسم بالحركة، مما يعكس المنافع على الجسم ويزيده قوة وخفة في الحركة والسرعة والتوقيت والإيقاع. وقال باحثون، في كلية العلوم الرياضية في جامعة واسيدا باليابان، إن التحرك والقفز هبوطا وصعودا ويمينا ويسارا باستعمال الحبل يعدّان أفضل وسيلة للحدّ من الشهية وطرد آلام الجوع وخسارة السعرات الحرارية والحصول على جسم نحيف ومثالي في دقائق معدودة مقارنة برياضة ركوب الدراجات والمشي. وتشمل فوائد نط الحبل:

● زيادة تدفق الدم.

● المساعدة في التخلص من السموم بتفتيح المسامات والتعرق.

● إنقاص الوزن، حيث يحرق أكثر من 200 سُعرة حرارية.

● تحسين المزاج.

● المساهمة بشكل كبير في التوازن الهرموني.

● تخفيف التوتر والإجهاد.

● تقوية الأعضاء الداخلية للعمل بشكل أكثر كفاءة وتحسين أداء أعضاء مهمة في الجسم كالقلب والجهاز التنفسي. وكما أفادت الدراسات فإن ربع ساعة (15 دقيقة) من القفز على الحبل تساوي تقريباً (45 دقيقة) من السباحة و(30 دقيقة) من الركض وساعة من المشي.

● تؤثر رياضة نط الحبل على جميع عضلات الجسم ولكن تأثيرها الأكبر يكون على عضلات البطن، حيث تقوم بتحريكها وهزّها خلال عملية القفز. وحتى يتم بذل مجهود أكبر في عضلات البطن، فيفضّل أن يتم القفزُ على رجل واحدة.

● القفز بالحبل يقوم بتحريك الأمعاء والتخلّص من مشاكل الانتفاخ وهو أفضل رياضة للجهاز اللمفاوي الصحي الذي يمثل نظام الصرف في الجسم.

● تحسين قوة العضلات في الساقين وخاصة للجزء السفلي منها.

> التحرك والقفز هبوطا وصعودا ويمينا ويسارا باستعمال الحبل يعدان أفضل وسيلة للحد من الشهية

ولمن يريدون ممارسة القفز بالحبل في البيت، يفضل توخيهم للحذر وتأمين المكان جيدا بأن يمنحوا مدى واسعا للحركة دون الارتطام بالأثاث. ويفضّل أن يكون هذا التمرين على أرضيّة خشبية للتقليل من قوة اصطدام الأقدام بالأرض. ويوصى الرياضيون بارتداء ملابس ضيّقة مناسبة حتى لا تعيق الحبل عند البدء في التمرين وحذاءً رياضياً خفيفاً.

سجادة اللياقة أو اليوغا

سجادة الرياضة على اختلاف أنواعها تساعد الجسم على ممارسة التمارين بشكل جيد بدل الاعتماد على أرضية صلبة قد تتسبّب في عدد من الإصابات أو قد تزعج عضلات الساقين ولا تساعدها على الاسترخاء. ومن أشهر التمارين التي نمارسها على السجادة تمارين التمدد أو الإطالة واليوغا.

وتمارين التمدد بالغة الأهمية لتجنب ظهور الألم في العضلات. وأوضح أخصائيو العلاج الطبيعي والطب الرياضي أن تمرينات الإطالة هي جزء أساسي في أيّ برنامج لتنمية المرونة أو الحفاظ عليها كصفة بدنية هامة للأداء في الأنشطة الرياضية. ولتحقيق أفضل الفوائد من برنامج تنمية المرونة ينبغي أن يخطط له جيدا ويطبّق بانتظام خلال فترة زمنية محددة بغرض التدرج إلى زيادة مدى الحركة في المفصل.

وأثبتت نتائج الأبحاث العلمية أن الإطالة العضلية وبصفة خاصة تمرينات الإطالة البطيئة ذات فعالية في تقليل الألم العضلي سواء أثناء التمرينات أو بعدها مباشرة. كما أشارت الدراسات إلى أن الإطالة الثابتة تزيل الألم العضلي وتساعد على خفض أعراض التوتر العصبي، بالإضافة إلى فعاليتها في إزالة التعب الموضعي المتأخر.

حبل المقاومة

تعتبر تمارين حبل المقاومة من التمارين التي يسهل على المبتدئين من كلا الجنسين ممارستها للاستفادة منها في شدّ عضلات الجسم وزيادة معدل مقاومتها، حيث أنها لا تحتاج إلا إلى مسافة صغيرة فارغة في أحد أطراف البيت، بالإضافة إلى ثمن الحبل الزهيد.

وهناك مجموعة مختلفة من تمارين حبل المقاومة تعمل على تدريب الجسم كله ومنها:

1 - تمرين القرفصاء

● الوقوف باستقامة مع الإمساك بقبضتي حبل المقاومة في كلتا اليدين.

● ترك حبل المقاومة يتدلى، نحو الأسفل، مع جعل نقطة المنتصف من طوله تحت كلا القدمين والمباعدة قليلاً بين الساقين.

● توجيه الذراعين نحو الأعلى حتى يصبحا على نفس خط الأكتاف، مع ثني المرفقين ورفع اليدين نحو أعلى الرأس.

● الانخفاض تدريجيا مع ثني الركبتين للأسفل ودفع أسفل الظهر نحو الخلف، كما هو الحال في وضعية السكوات.

● البقاء على هذا الوضع لبضع ثوان، ثم العودة للوقوف باستقامة مع بقاء الذراعين على نفس الوضعية. ويعاد التمرين على ثلاث مجموعات، وفي كل مجموعة يكرر التمرين اثنتي عشرة مرة.

2 - تمرين الشد للأعلى بحبل المقاومة

● الوقوف باستقامة مع الإمساك بقبضتي حبل المقاومة بكلتا اليدين مع توجيه الأصابع بعكس اتجاه الجسم وإرخاء الذراعين على طرفي الجسم. المباعدة قليلاً بين الساقين، مع الوقوف بالقدمين على حبل المقاومة كما هو الحال في التمرين السابق.

● رفع اليدين نحو الأكتاف، مع ثني المرفقين والمحافظة عليهما على جانبي الجسم وبقاء الجسم مشدوداً باستقامة.

● إنزال الذراعين ببطء، حتى العودة إلى وضعية الراحة.

● إعادة الشد للأعلى على ثلاث مجموعات، بحيث يكرر الشد في كل مجموعة خمس عشرة مرة.

3 - تمرين الشد لأحد الجانبين بحبل المقاومة

● الوقوف باستقامة، مع إمساك طرفي حبل المقاومة بقبضة واحدة وترك القبضة الأخرى محررة.

● الوقوف بالقدم اليمنى على النقطة الواقعة في منتصف طول حبل المقاومة.

● رفع الذراعين نحو الأعلى بزاوية مائلة نحو الجانب الأيسر للجسم، مع المحافظة على دوران الجسم نحو الجانب الأيسر مع شد حبل المقاومة للأعلى.

● إنزال اليدين ببطء، حتى العودة لوضع الراحة. إعادة الشد الجانبي على ثلاث مجموعات، بحيث يكرّر في كل مجموعة خمس عشرة مرة. إعادة التمرين بنفس القدر مع الساق اليسرى.

4 - تمرين المقص بحبل المقاومة

● الاستلقاء على أرضية مريحة، مع تثبيت قبضتي حبل المقاومة في كلتا القدمين.

● الإمساك بحبل المقاومة من نقطة منتصف طوله بكلتا اليدين.

● رفع الساقين قليلاً عن الأرضية، مع شد الحبل نحو أعلى البطن.

● رفع الساق اليمنى نحو الأعلى، ثمّ خفضها نحو الأسفل ورفع الساق اليسرى نحو الأعلى، بشرط عدم ملامستهما للأرض.

● تكرار رفع كلتا الساقين بشكل متبادل تماماً كشكل المقص. إعادة الحركة السابقة خمس عشرة مرة متتابعة.

آلة الركض أو التريدميل

لاكتمال النادي الرياضي المنزلي، يوصي مدربو اللياقة بالحرص على اقتناء آلة الركض الكهربائية. ويعد هذا الجهاز جهازا أساسيا في البيت لضمان مستوى معتدل أو عال من اللياقة البدنية، فالقيام بالتمارين الرياضية داخل البيت، اعتمادا على بعض الأدوات البسيطة والمهمة لا يمكن أن يغني عن أهمية رياضتي المشي والركض.

وبينت دراسة صادرة عن عيادات "مايو كلينيك" أن آلة الركض المنزليّة تخلّص الجسم من تراكم الدهون، بالإضافة إلى عدد من الفوائد الأخرى، أبرزها:

● تحسين أداء المجموعات العضليّة الكبرى والصغرى في الفخذين والردفين بشكل مباشر.

● حرق الكثير من السعرات الحرارية وبالتالي فهي خيار جيّد لمن يرغبون في التقليل من وزنهم والوصول إلى الوزن المثالي.

● تساعد على الإسترخاء والتمكّن من النوم العميق لاحقاً؛ لكون الجسم قد بذل مجهوداً، وبالتالي يتمكّن من النوم بسرعة.

● زيادة نشاط الدورة الدموية، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على صحّة الإنسان، فيزيد ذلك من التركيز بشكل عام.

ويؤمن المشي على جهاز التريدميل القدرة على السير دون التعرّض للمضايقات أو الغازات المنبعثة من السيارات، أي أنه ملائم لجميع الحالات والأوقات والظروف الجوية المختلفة، بل وسيصبح ممتعاً إذا تم وضعه أمام التلفزيون. كما أنه يقلّل من المضار الممكنة على الجسم كالركبتين والأقدام والكاحلين والوركين وغيرها من الأعضاء نتيجة السير على الإسفلت، بل هو أكثر أماناً من حيث نسبة الحوادث ولا سيما لكبار السن.

وينصح خبراء اللياقة بالركض ببطء لعشر دقائق، ثمّ التدرّج في زيادة الوقت دون سرعة، مع التحقّق من انتظام التنفس ونبضات القلب.

ومن الشروط الواجب توفرها في آلة الركض أن تكون مزودة بجزء إضافي لامتصاص الصدمات وأن تكون ضخمة وصلبة بصورة تجعلها قادرة على حمل البدناء، وناعمة السطح لتفادي التعثّر أثناء استخدامها.

النساء العربيات يقبلن على التسوق الرقمي

اهتمامات المرأة التونسية تتجاوز نقاط إبسوس العشر وتفوقها

أفادت مؤسسة بحثية من خلال إجراء استطلاع رأي "هي تتحدث" بأن المرأة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا صاحبة النفوذ الأكبر إذا ما تعلق الأمر بقرارات شراء المقتنيات المنزلية والإنترنت وغير ذلك من المسائل المرتبطة بالتسوق. لكن المرأة لا يمكن حصرها في الأشياء التي اعتبرتها إبسوس صالحة لتقديم صورة حول مواقف وطموحات النساء بهذه المنطقة.

شيماء رحومة
كاتبة من تونس

❏ يعتبر الاهتمام بشؤون المنزل وتلبية احتياجاته الضرورية وغير الضرورية من مهام النساء في جلّ الدول العربية ولا تصرف المرأة جهدا في القيام بذلك على أكمل وجه.

وارتبطت المرأة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بتحمل مسؤولية التسوق وتوفير كل ما تحتاج إليه وما يصلح لبيتها، وهذا ما كان على لائحة إبسوس حين حاولت تقديم صورة للنساء بهذه المنطقة.

وأطلقت إبسوس، وهي مؤسسة بحثية رائدة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مشروعا يحمل اسم "هي تتحدث"، وهو عبارة عن جهود بحثية شاملة حول دراسة المرأة في المنطقة.

وحاولت إبسوس أن تسلّط الضوء على مواقف النساء في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وطموحاتهن، وأنماط الحياة والسلوكيات لديهن، وبالتالي توفير فهم شامل لهذه الفئة عبر مختلف جوانب حياتهن.

وأفرزت نتائج بحث هذه المؤسسة أن المرأة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تشتهر بـ10 أشياء تميزها عن غيرها من النساء وإن كانت تشترك معهن في أغلبها.

وعلى رأس اللائحة نجد التسوق حيث أظهرت استطلاعات الرأي "هي تتحدث" أن النسبة الأكبر من النساء بهذه المنطقة تتحمل مسؤولية التسوق وتوفير متطلبات البيت فعلى سبيل المثال 94 بالمئة من النساء في مصر يقمن بذلك.

وغالبا ما تنفرد المرأة باتخاذ القرارات اللازمة للتبضع، لا سيما إذا تعلقت المشتريات بالأغذية والمشروبات، وإن أظهرت النتائج أنها تشارك أسرتها في مثل هذه القرارات.

التسوق الإلكتروني يسهل حياة المرأة

وأشارت إبسوس إلى أن النساء في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا النسبة الأكبر منهن تعوّل على العلاوات في الحصول على قوتها وأن نسبة قليلة تضطر للعمل.

لكن في تونس نسبة كبيرة من النساء تعمل وهناك نسبة منهن تمثل المعيل الوحيد للأسرة، وهناك تونسيات يحصلن على مساعدات من الدولة في شكل جراية شهرية إلا أنهن يمثلن قلة قليلة غالبا تنحصر في المسنات.

وأقرت نتائج الاستطلاع أن المرأة العربية توازن في اختيارها للمنتجات بين النوعية والعرض والتخفيضات، بحيث تركز 55 بالمئة من النساء على العلامة التجارية، في حين تفضل 45 بالمئة من هن مواسم التخفيضات.

في تونس مثلا تحاول المرأة الحصول على المنتج بأقل من ثمنه وبجودة عالية فهي لا تركز فحسب على موسم التخفيض الذي أصبحت فيه مسألة التلاعب بالأسعار والمنتوجات منكشفة لها لأنها أثبتت جدارتها في الإلمام بالأسعار ودراية بالعلامات التجارية.

ويعتبر ارتياد الأسواق التي تبيع الملابس المستعملة وجهة التونسية المفضلة.

وقد أقر 57 بالمئة من النساء بأنهن دائمات الاطلاع على أفضل العروض والصفقات.

أما في ما يخص الإنترنت فإن نسبة كبيرة من النساء في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يستخدمنها ومنهن 54 بالمئة موجودات في المغرب، وتختلف نسبهن باختلاف المواقع والتطبيقات اللاتي يستعملنها.

أفادت إبسوس أن النساء في هذه المنطقة لا يزلن يعتمدن على الوسائل الإعلامية التقليدية للحصول على المعلومات التي يردنها حول المنتجات والعلامات التجارية وأنهن لا يعولن على التسوق الرقمي.

انفتاح التونسية على العالم من خلال الإنترنت جعلها تطور محرك بحثها عن المنتجات بعيدا عن الوسائل التقليدية حيث ظهرت العديد من الصفحات التجارية على فيسبوك وأبدت المرأة بمختلف شرائحها العمرية رغبة في البيع والشراء عبر الإنترنت.

وهذه تعتبر من النقاط التي ركزت عليها المؤسسة البحثية في سبرها للآراء، لكن واقع التونسيات يعكس اهتمامات أوسع بكثير من ذلك، إذ لم تعد مسألة التسوق والاهتمام بالماركات العالمية ومواسم التخفيضات هي العناوين الكبرى لمعرفة طموحات ومواقف التونسيات فهي لا تقدم سوى نقاط ثانوية مقارنة بإنجازاتها ورغباتها.

وضعت التونسية قدما ثابتة داخل مختلف المجالات حيث دخلت البرلمان وعملت بالحظائر لتثبت وجودها كفرد فاعل في المجتمع. وهي تثابر للقضاء على العنف ضدها، وسيبدأ البرلمان التونسي قريبا في دراسة مشروع قانون يتعلق بالقضاء على العنف المسلط على المرأة بجميع أشكاله.

ويعد مشروع القانون الذي كثيرا ما طالبت به خاصة المنظمات النسوية الناشطة في مجال الدفاع عن حقوق المرأة، الأوّل من نوعه لكونه يحاول توفير الإطار القانوني الذي يحمي المرأة من شتى أشكال العنف.

وإزاء هذا الحراك النسوي التونسي الذي أفرز قانونا جديدا لفائدة المعنفات يظهر تجاوز التونسية للمسائل اليومية العادية والتركيز على القضايا المصيرية. كما أن نسبة الطلاق عرفت ارتفاعا كبيرا، ممّا يصور موقف الرفض للسائد والمطالبة بالحرية إذا ما كان الزواج يشكل لها قيدا، فهي لم تعد تسمح بأن تهان كرمتها وتبتذل.

فالقانون التونسي مكن المرأة التونسية من المشاركة في اتخاذ القرار وتجاوز بها مسألة مشاركة العائلة في اتخاذ قرارا شراء لوازم البيت فحسب.

العناوين العريضة المسيطرة على صورة المرأة اللبنانية

شادي علاء الدين
كاتب من لبنان

❏ تسيطر على صورة المرأة في لبنان مجموعة من المعادلات والتقاليد الاجتماعية، والتمثلات الثقافية والسيكولوجية التي تحرص على ربط هذه الصورة بالصورة العامة التي يقدمها المجتمع عن نفسه.

يمكن اختصار صورة المرأة اللبنانية من خلال التوصيفات الأكثر تكرار في هذه المجموعة من الصفات عامة ومن بينها:

1 – الجمال: توصف المرأة اللبنانية بأنها تتمتع بقدر مميز من الجمال الطبيعي، وقد ساهمت الأفلام والمسلسلات منذ خمسينات القرن الماضي في ترسيخ هذه الصورة وخصوصا أن الكثير من النجمات اللبنانيات حققن نجاحا باهرا في العالم العربي، ما أدى إلى ترسيخ ملامح جمال المرأة اللبنانية وتحول هذا الجمال إلى سمة عامة وثابتة.

2 – الانفتاح الاجتماعي: ربما يكون لبنان تاريخيا أقدم بلد عربي تظهر فيه المرأة في المجال العام وهذا ما تسبب بارتباط صورة المرأة اللبنانية بالانفتاح الاجتماعي، وبأنها امرأة نزعت عن نفسها صورة المرأة التي لا تخرج من بيتها، والتي تقتصر مهمتها على إسعاد الزوج وتربية الأطفال، وكذلك فإن الانفتاح الاجتماعي ارتبط كذلك بفعالية مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي وذلك منذ فترة ليست بالقليلة. اجتمعت هذه العناصر لتساهم في رسم ملامح انفتاح اجتماعي يلتصق بصورة المرأة اللبنانية، ويخبر عن واقعها الخاص.

3 – التعليم العالي والثقافة الرفيعة: تعتبر المرأة اللبنانية الأكثر تعليما وثقافة، وتشير الدراسات والإحصاءات إلى أن نسبة الطالبات الإناث في مختلف الاختصاصات تفوق نسبة الطلاب الذكور، وكذلك فإن لبنان شهد ظهور مجموعة من الكاتبات والمؤلفات والباحثات اللواتي تجاوزت شهرتهن حدود لبنان.

4 – النعومة والإغراء: توصف المرأة اللبنانية بأنها ناعمة ومغرية وهذه الصفة تختلف عن صفة الجمال وتمتاز عنها، وهي ترتبط بمجموعة الصفات الأخرى التي تنسب للمرأة اللبنانية. الإغراء الخاص بالمرأة اللبنانية مبنيّ على واقع أن التقاليد العامة في البلد لا تفرض مناخا عاما من التشدد على المرأة، كما هو الحال في الكثير من بلدان المنطقة، لذا فإن قدرة المرأة اللبنانية على التعبير عن أنوثتها ونعومتها يتفوق على نظيراتها في المنطقة.

5 – الارتباط بالعائلة: ترتبط المرأة اللبنانية بعائلتها ولا تنفصل عنها أبدا، وحتى إن تزوجت وكوّنت لنفسها أسرة خاصة، فإن روابطها العائلية تبقى متينة وفاعلة حتى آخر عمرها.

6 – الأناقة: تهتم المرأة اللبنانية بالموضة والأزياء وتمتاز بأنها تجيد فن اختيار الملابس التي تظهرها على الدوام في هيئة جذابة.

7 – احترام التقاليد: تبقى المرأة اللبنانية على الرغم من انفتاحها ودخولها في المجال العام مرتبطة بالتقاليد الاجتماعية إلى حدّ كبير، ويتخذ هذا الارتباط العديد من الأشكال أهمها علاقتها الإيجابية بالقيم التي تربت عليها وحرصها على الحفاظ عليها.

8 – الاستقلالية: أدى دخول المرأة في لبنان لسوق العمل بكثافة إلى نجاحها في أن تشكل نوعا من الاستقلالية المادية بحيث صارت قادرة على تأمين حاجاتها المادية بنفسها وأن تكون في الكثير من الحالات معيلة لأسرتها.

9 – التدين: لا تزال المرأة اللبنانية بشكل عام امرأة متدينة، وتحتل القيم والضوابط الدينية جزءا أساسيا من مكونات شخصيتها ومحددات سلوكياتها، ويتجلى تدين المرأة اللبنانية من خلال مشاهد إحياء الطقوس الدينية التي تكون حاضرة فيها بقوة.

10 – ربة بيت ماهرة: تجيد المرأة اللبنانية تحضير أنواع كثيرة من الطعام وخصوصا المأكولات اللبنانية التقليدية، كما تجيد إدارة شؤون المنزل من اختيار الأثاث المناسب وصولا إلى الترتيب النظافة.

11 – الخجل: لا تزال سمة الخجل حاضرة في تركيب صورة المرأة اللبنانية على الرغم من أنها قد تبدو متناقضة مع صفات الاستقلالية والانفتاح، إلا أن هذه السمة تبرز بوصفها واحدة من العلامات التي تميّزها والتي تضفي على أنوثتها المزيد من العذوبة والسحر.

حيرة في الاختيار

التسوق.. أسلوب حياة

نهى الصراف
كاتبة من العراق مقيمة بلندن

❏ يرتبط مفهوم التسوق بالمرأة غالبا، حيث تجد معظم النساء متعة كبيرة في التجول في الأسواق والمراكز التجارية للحصول على مبتغاها من سلع سواء أكانت مقتنيات شخصية أو بضائع للمنزل، وتميل المرأة أكثر من الرجل عادة إلى الانجذاب للعروض التجارية والتخفيضات على السلع، فيما تتسوق بعضهن من دون الحاجة الفعلية لذلك إذ تشير بعض الدراسات إلى أنها الطريقة المفضلة للسيدات للتخلص من التوتر والقلق النفسي، ومحاولة مؤقتة للانفلات من بيئة العمل أو المنزل الخانقة. ولعل المرأة في الشرق لا تختلف عن مثيلاتها في الغرب، فيما يتعلق بميولها الشرائية، لذلك تنشط البحوث واستطلاعات الرأي العام في تقصي هذه الظاهرة التي تتعلق في جزء مهمّ منها بنمط حياة المرأة في العموم وأسلوب حياتها، الذي يؤثر ويتأثر بشخصيتها وتكوينها النفسي والعاطفي.

وفي هذا السياق، أطلقت "إبسوس"، وهي مؤسسة بحثية رائدة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مشروعا بحثيا يتعلق بأسلوب حياة النساء في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، سلوكياتهن وطموحاتهن، في محاولة لفهم شامل لجميع الجوانب التي تتعلق بها في هذه الرقعة الجغرافية من العالم.

المشروع الذي حمل اسم "هي تتحدث"، رصد لأسلوب حياة نساء من خلفيات ثقافية، اقتصادية، تعليمية، اجتماعية متنوعة، في محاولة لتقصي الأسباب والدوافع وطريقة تعاطيها مع مختلف جوانب الحياة الاجتماعية إضافة إلى تقديم صورة تقريبية عن بعض من أهمّ نشاطاتها وأسلوب عيشها.

وتناول المشروع في واحدة من دراساته، السلوك الاستهلاكي للمرأة وكيفية إدارتها لهذا النشاط المهمّ في حياتها، والذي عكست بعض نتائجه حقائق لم تكن مطروقة قبل ذلك، حيث كشفت الدراسة عن أن المرأة هي الشخص الرئيس في الأسرة الذي تناط به مسؤولية التسوق، في إشارة إلى مشاركة المرأة الفعلية في قرارات الشراء المنزلية بمختلف مكوّناتها. وعلى الرغم من أن قلة من النساء يعملن لتأمين مصدر عيشهن وأحيانا عيش أسرهن، "فإن أغلبهن ما زلن وفيات للعلامات التجارية الأكثر تداولا وهذا لا يمنع طبعا من تحقيق عنصر التوازن وذلك بالبحث عن خيارات تضمن النوعية الجيدة للسلع بأقل تكلفة ممكنة مع رصد العروض والتخفيضات خاصة في المواسم المخصّصة لذلك.

وأشارت الدراسة إلى أن بعض السيدات في منطقة الشرق الأوسط يستخدمن الإنترنت للتعرف إلى المعلومات التي تساعدهن في التسوق، إلا أنّ عملية التسوق الفعلي عن طريق الإنترنت تحقق نسب منخفضة مقارنة بطريقة التسوق التقليدية التي تتضمن زيارة محلات ومراكز التسوق. في حين تعتمد نسبة كبيرة منهن على وسائل الإعلام التقليدية لمتابعة أحدث المنتجات والعروض التجارية المتوافرة.

يذكر أن "إبسوس"، هي مجموعة شركات متعددة الجنسيات تأسست في العام 1975 ومتخصصة في مجال البحوث التسويقية والاقتصادية في أكثر من 64 دولة، وتغطي الدول اللاتينية وأميركا الشمالية وأوروبا والشرق الأقصى وأستراليا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

يوجد مقر الشركة الرئيسي في العاصمة الفرنسية، باريس. وتعتبر مجموعة "إبسوس" من كبرى شركات الأبحاث العالمية، حيث تحتل المرتبة الثانية على مستوى العالم في مجال الأبحاث.

> المشروع تناول السلوك الاستهلاكي للمرأة باعتبارها الشخص الرئيس في الأسرة الذي تناط به مسؤولية التسوق، في إشارة إلى مشاركتها الفعلية في قرارات الشراء المنزلية بمختلف مكوناتها

دخول الزوج إلى المطبخ يجعله أكثر جاذبية في عين زوجته

الرجل يرغب دائما في تكوين حياة غير تقليدية داخل المنزل

يعتبر بعض الرجال أن مساعدتهم لزوجاتهم في تحضير الأطعمة من الأشياء التي تؤثر على كيانهم كرجال، وتقلل من شأنهم أمام زوجاتهم وأمام الآخرين، كما أن العادات والتقاليد لا تسمح لهم بذلك، ما يجعلهم رافضين بشدة لممارسة ذلك، بينما يرى البعض الآخر أن ذلك فيه إحياء للسنة النبوية الشريفة، وأن قيام الرجل بالأمور المنزلية لا سيما المساعدة في تحضير الطعام من الأمور التي تجذب الزوجة نحوه، وتشعرها باهتمام الزوج بها، ورغبته في أن يظل معها حتى وإن كان ذلك في المطبخ.

سمية عبدالهادي

لمسات بسيطة تجدد العاطفة بين الزوجين

❏ تناولت دراسة أجراها باحثون من جامعة كوينزلاند بأستراليا، الأسباب النفسية التي تدفع الزوج إلى دخول المطبخ لمساعدة زوجته، وتأثيرات ذلك على المرأة وعلاقتها بزوجها، ومدى الجاذبية التي تشعر بها المرأة نحو الرجل، ومن أبرز الأسباب النفسية بحسب الدراسة أن الرجل يودّ دائما أن يشعر زوجته بأنه إلى جانبها، كما أنه يسعى دائما إلى إرضاء الزوجة بكافة الأشكال، ويرى أن تأثير ذلك على حالتها النفسية سيكون لصالح العلاقة بينهما، وسيجعله جذّابا بنظرها، ويدفعها إلى أن تعامله بالمثل.

كما توصلت دراسة أميركية حديثة إلى أن تقسيم الأدوار داخل المنزل، ومساعدة الزوج لزوجته في الأعباء المنزلية يلعب دورا هاما في العلاقة الحميمية بين الشريكين، حيث قامت هذه الدراسة بتقسيم الأزواج إلى مجموعات، المجموعة الأولى كانت تقوم فيها النساء بنسبة 65 بالمئة من الأعمال المنزلية، أما المجموعة الثانية، فقد قام الأزواج بتحمّل جزء من المسؤولية داخل البيت بنسبة تراوحت بين 35 و65 بالمئة، وقام الرجال في المجموعة الثالثة بأكثر من 65 بالمئة من الأعمال المنزلية.

وأفادت نتيجة الدراسة أن الأزواج الذين قاموا بالتعاون مع زوجاتهم ينعمون بالسعادة، بالإضافة إلى كون علاقتهم الحميمية أفضل، وقال الباحثون إن الموضوع لا يتوقف عند هذا الحدّ، بل قد يصل إلى تحسين العلاقات الاجتماعية بينهما، وتطويرها إلى الأحسن، مؤكدين أن أيّ علاقة حميمية ناجحة هي بالأساس مرتبطة بالتعاون في تقاسم المسؤوليات بين الزوجين.

> نسبة عالية من النساء قد تصل إلى 55 بالمئة يملن إلى مساعدة أزواجهن داخل المطبخ، معتقدات أن تلك المساعدة ستجذب وتثير الأزواج نحوهن

وتقول منى رضا، أستاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس "هناك العديد من الأسباب التي تدفع الكثير من الرجال للدخول إلى المطبخ لمساعدة زوجاتهم في الأطعمة، أو يقومون هم أنفسهم بإعدادها، على عكس آخرين يرون أن ذلك فيه إهانة لهم وهدم لكيانهم كرجال، غير مدركين أن الأمر برمته يجذب المرأة ويزيد من محبتها لزوجها، ويحسّن طبيعة العلاقة بين الطرفين.

ومن أبرز تلك الأسباب، أن الرجل يرغب دائما في تكوين حياة غير تقليدية مع زوجته، لا سيما فيما بينهما داخل المنزل، يدفعه ذلك إلى فعل أشياء غير معهودة منه، كأن يقوم بتجهيز وجبة الإفطار على سبيل المثال، أو أن يطلب منها التنحي جانبا وتركه لإعداد وجبة الغداء بمفرده، لإدراكه أن ذلك سيؤثر إيجابيا على علاقتهما، كما أنه يفضل أن يلمس من زوجته فرحة من خلال مساعدتها في إعداد الطعام".

وأضافت منى أن الرجل يشعر أحيانا برغبته في التنازل قليلا عن بعض الأفكار المتحجّرة والتنازل أمام زوجته، لكي يشعر بأنه وزوجته كيان واحد لا يفصل بينهما شيء، والتحلي ببعض المظاهر المثيرة كما تفعل المرأة في الكثير من الأحيان، ولا يجد ذلك إلا من خلال دخول المطبخ لإعداد الطعام، باعتبار أن هذا من أكثر الأشياء التي يرفضها رجال آخرون، وبالتالي يشعر بأنه تعامل مع زوجته بصورة متفردة تجذبها نحوه كثيرا، موضحة أن الأمر لا يشترط أن يتطور إلى إعداد الرجل للطعام، بل إن كونه يقوم بإعداد القهوة أو تناول كوب من الماء فقط يجعل المرأة تشعر بانجذاب نحوه، حيث أن مساعدة الزوج للمرأة من الأمور التي تثير رغباتها العاطفية، ومن ثم تتوطد العلاقة بينهما.

بدوره، يشير أحمد فوزي، استشاري الطب النفسي، إلى أن نسبة عالية من النساء قد تصل إلى 55 بالمئة يملن إلى مساعدة أزواجهن داخل المطبخ، معتقدات أن تلك المساعدة ستجذب وتثير الأزواج نحوهنّ، كما لو كانوا يقومون بشيء آخر داخل المنزل مثل إصلاح السيارة أو ممارسة التمارين الرياضية الخاصة بهم، كما تشعر الزوجة التي تجد من زوجها تلك الرغبة في المساعدة، أنها قد فازت برجل يحترم كونها أنثى، ويحق لها أن يتعامل معها كما تعامله هي، وأن يسعى هو لإسعادها كما تسعى هي، الأمر الذي يكون وقعه على علاقتهما الزوجية أكثر إيجابية، حيث يشعر الطرفان أن كلا منهما يضحّي من أجل الآخر، وإن كان الآخرون يخالفونه في ذلك.

وينوّه فوزي إلى أن المرأة ترى الرجل أثناء وقوفه بجانبها داخل المطبخ بصورة مختلفة، تجعله أكثر تميزا وشاعرية في عينها، وهذا نابع من كون المرأة أكثر حساسية من الرجل، أي أنها تستطيع قراءة الرسائل التي يحاول الرجل إيصالها لها، حتى وإن كانت خفية،، وبالتالي فهي تدرك جيدا أن قرار الرجل بدخول المطبخ لا يريد منه سوى إسعادها وتجديد لغة العاطفة بينهما، كما أن ابتسامته التي تحتل وجهه أثناء وجوده معها دليل على رغبته في مجاورتها، الأمر الذي يعزز من شعورها بالانجذاب نحوه، والرغبة في الوجود معها طيلة الوقت.

أما صلاح هارون، أستاذ علم النفس بجامعة بورسعيد، فيؤكد أن اضطراب مشاعر المرأة بين الحين والآخر يتطلب من الرجل القيام بأمر يبدو مختلفا لتجديد لغة العاطفة بينه وبين زوجته، وغالبا ما يرى الرجال أن دخول المطبخ لمساعدة المرأة من أكثر الأمور التي تبدو محبّبة لها، لذلك لا يتردد في القيام بذلك، وبالفعل يتجدد الانجذاب داخل المرأة نحو الرجل، كما أنها تشعر بالتميز بين صديقاتها والفخر بزوجها الذي يحاول إسعادها بكافة الطرق، وغض الطرف عن تعليقات الآخرين عليه.

وينصح هارون الزوج دائما بانتهاج السبل الجديدة لتجديد العاطفة بينه وبين زوجته، لا سيما أنها لا تقلل من شأنه كما يعتقد آخرون، كما أنها تظهره أمام زوجته بأنه شخص أكثر ثقة بذاته، باعتبارها من الصفات التي تبحث عنها المرأة في الرجل، وتعزز من شعورها بالانجذاب نحوه.

طبق اليوم

غراتان الدجاج وفواكه البحر

* المقادير:

- 250 غراما من صدر الدجاج المقطع تقطيعا رفيعا.
- 250 غراما من الجمبري المقشر.
- 250 غراما من الحبار المقطع.
- فص ثوم مفروم.
- ملعقة كبيرة بقدونس وكزبر مفرومين.
- فلفل أسود وملح.
- نصف ملعقة صغيرة فلفل حار.
- 100 غرام من جبن الموزاريلا المبشور.
- صلصة البيشاميل.
- 80 غراما من جبن الموزاريلا المبشور.

* طريقة الإعداد:

- تحضر صلصة البيشاميل بمرق الجمبري، فتذاب الزبدة في إناء على نار هادئة وترش بالدقيق، ويمزج الكل ويطهى لمدة 30 ثانية. ثم يضاف مرق الجمبري الساخن ويستكمل الطهي مع التحريك حتى تتخثر الصلصة.
- في مقلاة على نار متوسطة، تذاب الزبدة ويحمّر فيها الثوم والدجاج لمدة دقيقة تقريبا. ويضاف الجمبري ويستكمل الطهي على نار مرتفعة لمدة 30 ثانية ثم يضاف الحبار. ثم يستكمل الطهي لمدة 30 ثانية مرة أخرى ثم تزال المقلاة من فوق النار.
- تضاف التوابل والأعشاب وصلصة البيشاميل وجبن الموزاريلا المبشور. ويوضع خليط الدجاج وفواكه البحر في طبق غراتان مدهون بالزبدة ويرش الكل بالجبن المبشور. ثم يطهى الطبق في الفرن المسخن على درجة الحرارة 190، جهة المشواة، لمدة تتراوح بين 5 و10 دقائق.
- يقدم الغراتان ساخنا مباشرة بعد إخراجه من الفرن، حتى لا تفرز فواكه البحر ماءها الطبيعي.

موضة

تصاميم بلمسات براقة

❏ قدّمت المصممة السعودية أروى البناوي مجموعتها من الأزياء الخاصة بربيع وصيف 2017 ضمن فعاليات فاشن فورورد في دورته الثامنة التي أقيمت مؤخرا في مدينة دبي.

تضمّنت هذه المجموعة من الأزياء الصيفية 25 إطلالة تمّ تنفيذها بأقمشة القطن الناعم والجرزيه والحرير والساتان والليتين بالإضافة إلى الأقمشة التي تزيّنت باللمسات البرّاقة.

وزيّنت أناقة الطبعات المستوحاة من زمن ستينات القرن الماضي بعض الإطلالات، كما اختلطت القصّات الكلاسيكية مع القصّات العصرية في تصاميم تتوجّه بشكل مباشر للصبيّة التي تبحث عن أناقة متجدّدة ولكن غير خارجة عن المألوف.

بنت أروى البناوي القسم الأكبر من مجموعتها على اللونين الأسود والأبيض اللذين لوّنا التايورات العصريّة، والأثواب القصيرة، وتناسقت السراويل مع جاكيتات تحمل الطبعة نفسها.

وجاءت اللمسات الملوّنة بالأزرق والوردي والأصفر لتضيف لمسات من الانتعاش على الإطلالات الصيفية.

كما تمّ تنسيق أزياء العارضات مع أحذية سوداء تنوّعت بين الحذاء ذي التصميم الرجالي والصنادل ذات الكعوب العريضة والمرتفعة، وقد جاءت تسريحاتهن شبابية.

«أطفال النيكوتين» عرضة للإجهاد وحدة المزاج

❏ واشنطن – حذرت الطبيبة الأميركية إيناس فلاسكو في تقريرها الشهري الذي ينشر في مجلة "بيدياتريس" بالولايات المتحدة، الحوامل من مخاطر التدخين، واستندت في تقريرها على مراقبة 300 امرأة من الأشهر الأولى لحملهن وحتى ما بعد الوضع وإجراء فحوصات على المولود أيضا.

قسمت فلاسكو الحوامل إلى مجموعتين، مجموعة غير مدخّنة وأخرى من مدخنة بسيطة وحتى مدخنة لأكثر من عشرين سيجارة يوميا، فاتضح لها بعد الوضع أن أطفال المجموعة الأولى في حالة سليمة بينما أكثر من 90 بالمئة من أطفال المجموعة الثانية يعانون من ظواهر منها العصبية أو سرعة الانفعال أو حدة المزاج وبأنهم أكثر عرضة للإجهاد وقلة الراحة.

ودحضت نتائج هذه الدراسة دراسات سابقة قالت إن التدخين أثناء الحمل يؤدي إلى انخفاض وزن الطفل عند الولادة، حيث لفتت فلاسكو إلى أن التدخين لا يسبب انخفاض الوزن عند الولادة، حيث راقبت الطبيبة الطفل بيترو (ستة أسابيع)، الذي كان وزنه عند الولادة 15000 غرام وطوله 38 سنتيمترا وهذا قليل بالنسبة إلى طفل في عمره ونموذج لأطفال المدخنات خلال الحمل. فأثناء الحمل كانت أمّه تدخن 20 سيجارة يوميا، وكان يصل إلى الجنين كل يوم كمية سامة من النيكوتين، ومع أن حالته الصحية في تحسن متواصل إلا أنه عصبي الطباع وكثير الحركة.

وأشارت الطبيبة الأميركية إلى أن نسبة كبيرة من "أطفال النيكوتين"، وهي تسمية تطلق على أطفال المدخنات أثناء الحمل، تجمعهم صفات معينة تتمثل في ما يلي: الولادة المبكرة والعصبية وصعوبة النوم وكثرة البكاء. بالإضافة إلى ذلك يرفض الطفل الماء من أجل زيادة وزنه، واعتبرت أن ذلك مؤشر على طلبه للنيكوتين الذي كان يحصل عليه عندما كان جنينا، فشربه للماء يساعده على التخلي عنه.

وبالإضافة إلى هذه المشاكل السلوكية يصاب طفل النيكوتين بزيادة خطر معاناته من الربو والحساسية، وظهور أعراض تشوّه خلقي في القلب وعادة ما يكون أكثر عرضة للوعكات الصحية.

هذا وأوضحت فلاسكو أن أكثر من 17 بالمئة من النساء يواصلن التدخين خلال الحمل دون إدراك لعواقب ذلك على الجنين، لكن البعض منهن يتمكنّ من الإقلاع عن هذه العادة في وقت متأخر، بينما تعود نسبة لا بأس بها في أشهر متقدمة من الحمل إلى التدخين لاعتقاد النساء بأن الجنين أصبح في مأمن من كل خطر، لكن كل هذا يهدد صحة الطفل.

كما نبهت إلى أن الطفل قد يولد سليم الجسم، لكن كميات النيكوتين التي تنشقها عندما كان جنينا لا بد أن تظهر بعد عامين أو أكثر، حتى أنه قد ينعكس سلبا على خصوبة الأبناء في مراحل متقدمة من العمر.

مواصلة التدخين دون إدراك لعواقب ذلك على الجنين

المتحدي يفتح آفاقا جديدة أمام المدربين التونسيين الشبان

فوزي البنزرتي يؤسس أكاديمية دولية لتكوين المدربين

يستعد مدرب النجم الساحلي التونسي فوزي البنزرتي إلى افتتاح أكاديمية لتدريب المدربين. وقد تحصّل البنزرتي على الموافقة من الجامعة التونسية لكرة القدم لإنجاز هذا المشروع الرياضي الأول من نوعه محليا وعربيا وقاريا.

المشاكسة تجعل من فوزي البنزرتي مدربا استثنائيا

مراد بالحاج عمارة
كاتب من تونس

❑ **تونس** – تفتتح يوم 15 نوفمبر الجاري مدرسة البنزرتي لكرة القدم وهي أكاديمية دولية لتكوين المدربين وتعدّ الأولى من نوعها في أفريقيا وفي العالم العربي، تحت إشراف مدرب النجم الساحلي فوزي البنزرتي. ولا شك أن هذا المشروع سيفتح آفاقا كبيرة أمام المدربين التونسيين سواء الشبان أو الراغبين في الحصول على شهادة تدريب معترف بها من قبل الاتحاد الأفريقي. وسيتم تقديم هذه الأكاديمية خلال مؤتمر صحافي تزامنا مع الافتتاح الرسمي يوم 15 نوفمبر الجاري.

وقال البنزرتي في تصريحات صحافية "منذ فترة طويلة وأنا أفكر في إنجاز مشروع أساهم به في تطوير كرة القدم التونسية وبما أن تونس تراجعت كثيرا على مستوى التكوين قررت إنشاء أكاديمية لتكوين المدربين على أعلى مستوى".

وتابع المدير الفني التونسي قائلا "الأمر كان صعبا خصوصا على مستوى الحصول على التراخيص اللازمة من وزارة الرياضة ومن الاتحاد التونسي لكرة القدم وفي مرحلة أخيرة من الاتحاد الأفريقي".

وواصل "بعد الحصول على التراخيص، فكرت في مكان الأكاديمية بين سوسة والمنستير، وكان الاختيار على المنستير باعتبارها مسقط رأسي، وأيضا نظرا لموقعها الجغرافي باعتبارها تقع في وسط الجمهورية".

وأكد البنزرتي أن هذه الأكاديمية ستفتح آفاقا جديدة أمام المدربين التونسيين الشبان في الحصول على شهادة تدريب معترف بها من قبل الاتحاد الأفريقي، كما أشار إلى أن العديد من الفنيين التونسيين هم من أعلى طراز إضافة إلى العديد من الخبرات الأجنبية التي ستكون في الموعد للإشراف على معسكرات المدربين الشبان.

وأنهى فوزي البنزرتي حديثه "أعتبر أن تطوير كرة القدم التونسية ينطلق من مهمة تكوين الكفاءات الفنية والمدربين من أعلى طراز وأعتقد أن هذا ما سنسعى إليه من خلال الأكاديمية التي أسستها".

فكرة الإنشاء

بدأت فكرة إنشاء الأكاديمية بسبب إيمان وحبّ مؤسسها لمهنة التدريب وإدراكه لضرورة سد الفجوة التدريبية والعمل على تطوير الموارد البشرية وإكسابها قدرات وظيفية معتبرة تؤهل الراغبين في الحصول على مرتبة تقنية عالية من مواكبة كل ما هو جديد في ظل التنافسية العالية معتمدين على خبرة طويلة. ويعد مركز التدريب في الأكاديمية أحد روافد التدريب والتطوير وتديره مجموعة مؤهلة ذات خبرة تدريبية عالية في الإعداد والتصميم والتنفيذ والتقويم.. ويستعين المركز في تنفيذ دوراته التدريبية بالكفاءات المشهود لها بالتميز في القطاعات التدريبية المختلفة على الساحة المحلية وكذلك العالمية.

ومن بين شروط الدخول إلى هذه الأكاديمية هو وجود وتوافر تقنيات التدريب اللازمة لدى المدرب فضلا عن الاستعداد النفسي في أيّ وقت كان وحسب الوقت المتاح له. ويمكن لكافة المدربين في مختلف التخصصات التسجيل لدى إدارة الأكاديمية ضمن المدربين المتميزين.

فإنشاء أكاديميات لتكوين مدرّبين في كرة القدم وإعدادهم منذ بداية طريقهم ضرورة ملحه في أيّ بلد بالعالم. إذا أراد العرب المنافسة في المحافل الدولية وتطوير كرة القدم فيجب أن تكون لديهم أكاديميات تخرّج لاعبين وتكوّن مدربين على مستوى عال وتجهزهم للمنافسات العالمية. وقد أصبحت هذه الأكاديميات من أكثر الاستثمارات الناجحة في العالم ومن أكثر المشاريع المربحة في نوادي كرة القدم العالمية.

وعلى عكس أكاديميات تكوين المدربين والتي ستكون أكاديمية المدرب فوزي البنزرتي هي أوّلها، شهدت تونس خلال السنوات الأخيرة انتشارا كبيرا للأكاديميات الخاصة لتكوين البراعم والناشئين في كرة القدم ممن فضلوا تلقي أبجديات الكرة خارج أسوار الأندية. وحسب إحصائيات وزارة الرياضة في تونس فقد بلغ عدد هذه الأكاديميات حتى مطلع العام الجاري 86 أكاديمية تضم لاعبين تتراوح أعمارهم بين 4 و18 عاما، وذلك بإشراف أساتذة ومدربين متحصلين على شهادة التدريب في كرة القدم. وتباينت الآراء بشأن مستوى التكوين والتدريب في الأكاديميات الخاصة ومدى التزامها بالمقاييس المتعارف عليها لتخريج لاعبين شبان وإلحاقهم بالأندية والمنتخبات.

يقوم برنامج العمل داخل أكاديمية تكوين المدربين على شرح منهج واضح في التدريب. وإلى جانب الشرح العملي لمبادئ كرة القدم، فإن المكوّنين يسعون إلى إثبات كيف يتم تطوير هذه المبادئ في سياق التدريب على كرة القدم داخل النوادي. ولذلك فإن محتويات الدورة التدريبية تكون تطبيقية إلى حد بعيد.

ويتيح التدريب للمشاركين إنشاء علاقات مع المتخصصين في إعداد الفرق الاحتياطية داخل أفضل مكان في العالم لتخريج المواهب.

يجب على أيّ مدرب التفكير ومراعاة احتياجات مجموعته أو فريقه من ناحية التجهيزات وسقف التطور المطلوب وهي الأساسيات في المدخل الصحيح والإعدادي للتمرين، وأن يكون عارفا وملما بإمكانيات المجموعة وكم يمتلك من الخبرة اللازمة في عالم التدريب لكي ينظم إمكانيات التدريب وفق هذين المفهومين، وبعد ذلك يمكنه الانطلاق إلى التخطيط السليم للوحدة التدريبية التي هي الجزء الأساس لتخطيطه طويل الأمد أو قصير الأمد (الهدف) لتطوير مهارات وقدرات الفريق، لذا فإن ذلك يتطلب منه التفكير ومراعاة نقاط مهمة في التمرين الواحد في الوحدة التدريبية.

المولد والنشأة

ولد فوزي البنزرتي يوم 3 يناير 1950 بمدينة المنستير وسط تونس، وهو من عائلة رياضية. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بالمنستير، ثم التحق بالمعهد الأعلى للرياضة وتخرج منه عام 1975. مارس فوزي البنزرتي تدريس الرياضة في عدد من المعاهد التونسية في الفترة من عام 1975 وحتى عام 1977، وبعد حصوله على شهادة مدرب كرة قدم قرر التفرغ كليا للتدريب. بدأ البنزرتي مسيرته لاعبا عام 1968 ضمن الاتحاد المنستيري لكنه اختار التدريب عام 1977 حين أشرف على العارضة الفنية لأولمبيك سيدي بوزيد الدرجة الثانية. وفي 1979 تعاقد فوزي البنزرتي مع فريقه الأم الاتحاد المنستيري وقاده للصعود للدرجة الأولى في أعقاب موسم 1980–1981 قبل أن يغادره في 1982. وفي أوّل تجربة له مع النجم الساحلي في موسم 1986 – 1987 توّج بلقب الدوري التونسي. وفي عام 1990 درب النادي الأفريقي وقاده في العام ذاته لإحراز لقب الدوري وبلوغ نهائي كأس أفريقيا للأندية الفائزة بالكؤوس. وتسلم فوزي البنزرتي المسؤولية الفنية للترجي التونسي عام 1993 وتوج معه بالدوري وكأس أفريقيا للأندية عام 1994، وتعاقد مع النادي الصفاقسي في يونيو 1996 لكنه لم يلبث أن غادره قبل الموسم ليخوض أول تجربة خارجية على رأس نادي الشعب الإماراتي.

عاد فوزي البنزرتي للنادي الأفريقي عام 1999 وبلغ معه نهائي كأس أفريقيا للأندية الفائزة بالكؤوس قبل أن يتولى مسؤولية الأمور الفنية للملعب التونسي في 2001 لكنه سرعان ما استقال ليعود في عام 2003 لتدريب الترجي وتوّج معه بلقب الدوري. في عام 2005 عاد فوزي البنزرتي إلى الاتحاد المنستيري قبل أن يتعاقد في يونيو 2006 مع النجم الساحلي. وفي يوليو 2007 عاد مجددا لقيادة الترجي التونسي وسرعان ما غادره بعد شهر واحد ليتعاقد مع المنتخب الليبي قبل أن يعود للترجي في عام 2009 ثم يغادره من جديد بعد خسارة نهائي دوري أبطال أفريقيا 2010.

عاد فوزي البنزرتي ثانية لتدريب النادي الأفريقي في 2011 ثم أشرف على النجم الساحلي، فالشارقة الإماراتي في 2012. وفي نوفمبر 2013 تولى تدريب الاتحاد المنستيري لمدة أسبوعين قبل أن يعلن انسحابه بشكل مفاجئ ليحطّ الرحال بنادي الرجاء البيضاوي المغربي الذي بلغ معه الدور النهائي لمونديال الأندية. غادر فوزي البنزرتي الرجاء في مايو 2014 وتعاقد مع النجم الساحلي ليقوده لإحراز كأس تونس في أغسطس 2015 ثم كأس الاتحاد الأفريقي في نوفمبر من العام ذاته والدوري الممتاز في يونيو 2016.

درّب فوزي البنزرتي منتخب تونس لفترتين، الأولى في مارس 1994 والثانية في يناير 2010، كما درّب منتخب ليبيا من 2007 إلى 2009. ويعدّ البنزرتي المدرب التونسي الأكثر تتويجا بالألقاب، فقد فاز بلقب الدوري التونسي في ثماني مناسبات سنوات 1987 و2007 و2016 مع النجم الساحلي و1990 مع النادي الأفريقي و1994 و2003 و2009 و2010 مع الترجي، كما قاد النجم لإحراز كأس تونس (2015). وأحرز مع الترجي كأس أفريقيا للأندية البطلة (1994) والسوبر الأفريقي (1995) ودوري أبطال العرب (2009)، كما قاد النجم الساحلي للتتويج بكأس الاتحاد الأفريقي في 2006 و2015.

فوزي البنزرتي هو المدرب الذي خطف الأنظار أينما حط الرحال وصنع نجومية فاقت كل الحدود وبلغ العالمية عندما قاد فريق الرجاء البيضاوي إلى نهائي كأس العالم للأندية سنة 2013 ضد بايرن ميونيخ الألماني. ينتهج فوزي البنزرتي عادة الخطة المرتكزة على الضغط العالي ومساهمة كل الخطوط في الدفاع والهجوم ويركّز على الاستعدادات البدنية للاعبين واللعب الجماعي، وتعرف عنه صرامته في التدريبات وخاصة في الإعداد البدني، كما يعرف كذلك بغضبه المفرط تجاه الحكام واللاعبين وتشنجاته التي كثيرا ما جعلته عرضة للعقوبات مثل العقوبة الأخيرة التي سلطتها عليه لجنة التأديب والروح الرياضية التابعة للجامعة التونسية لكرة القدم بإيقافه عن ممارسة أيّ نشاط رياضي لمدة سنتين مع خطية مالية بعشرين ألف دينار.

وفي ديسمبر 2013 قلده العاهل المغربي الملك محمد السادس وساما بدرجة ضابط بعد أن قاد الرجاء البيضاوي إلى مركز الوصافة ضمن كأس العالم للأندية.

> البنزرتي هو المدرب الذي خطف الأنظار أينما حط الرحال وصنع نجومية فاقت كل الحدود وبلغ العالمية عندما قاد فريق الرجاء البيضاوي إلى نهائي كأس العالم سنة 2013 ضد بايرن ميونيخ الألماني

ولئن كان البنزرتي يصنف من بين أفضل المدربين في تاريخ الكرة التونسية، فإن بوادر التغيير لامست هذا الرجل، حيث أصبح تفكيره منصبا على الناحية المادية، الأمر الذي يجعله لا يبالي بعقوده الرسمية والتزاماته، بل يسارع إلى البحث عن فريق قد يدفع له أكثر وهو على ذمة فريق آخر، ما أثّر بشكل آلي على عطائه التكتيكي، كما أن رفضه الانتقاد، وردود فعله المثيرة للجدل تجاه الصحافة، وعناده الذي يفوّت على الأندية التي يدربها ألقابا ثمينة، جعلت منه مدربا استثنائيا.

ولعل الطريقة التي خرج بها النجم الساحلي من مسابقة كأس الكونفدرالية الأفريقية، على يد نادي تي بي مازمبي الكونغولي، من الدور النصف النهائي، قد أظهرت جليا جانبا من عناده الذي فسّره البعض بكونه "سكرات موت تكتيكي لدى المدرب فوزي البنزرتي"، الذي لقي انتقادات لاذعة حمّلته مسؤولية الإقصاء وحرمان أنصار الفريق من نشوة التتويج القاري للمرة الثانية على التوالي.

حسام حسن: العدالة غائبة في المنظومة الكروية بمصر

«العميد» يرى الفرصة سانحة لصعود الفراعنة إلى المونديال

يرى حسام حسن المدير الفني لفريق الكرة الأول بالنادي المصري البورسعيدي، أن الفرصة قد حانت لوصول منتخب بلاده إلى المونديال، بعد غياب 26 عاما، ويضم الجيل الحالي للفراعنة مجموعة جيدة من اللاعبين، وعليهم فقط التحلي بالروح القتالية طوال مشوار التصفيات.

عماد أنور

❏ أكد حسام حسن المدير الفني لفريق الكرة الأول بالنادي المصري البورسعيدي أن منتخب مصر، قادر على تخطي عقبة غانا في مباراة، الأحد، على الرغم من صعوبتها، لكنّ عاملي الأرض والجمهور يمنحان الفراعنة الأفضلية، لافتا في حواره مع "العرب"، إلى ضرورة عدم اعتبار أن هذه المواجهة تمنح المنتخب تذكرة الصعود للمونديال، وأنه لا تزال هناك أربع مباريات أخرى، لا تقل أهمية عن مواجهة المنتخب الغاني.

ويستضيف منتخب مصر، الأحد، منتخب غانا الملقب بـ"النجوم السوداء"، ضمن مباريات المجموعة الخامسة بالجولة الثانية، من التصفيات الأفريقية المؤهلة إلى كأس العالم 2018 بروسيا، ويعد حسام حسن من الجيل الذي شارك في آخر حضور للفراعنة بالمونديال، عندما شارك في نسخة عام 1990 بإيطاليا.

ويعد لاعب الأهلي والزمالك السابق، أحد أفضل المهاجمين في تاريخ الكرة المصرية، وأحرز نحو 83 هدفا دوليا و176 هدفا محليا، وضعته ضمن هدافي الدوري المصري على مرّ تاريخه، غير أنه اشتهر بالعصبية وكثرة الأزمات، واعترض "التوأم" (حسام وشقيقه إبراهيم حسن)، على اتهامه بإثارة المشاكل، وقال، إن عصبيته نابعة من الدفاع عن الكيان الذي يعمل به مهما كان، وأنه معروف عنه هذه الصفة منذ أن كان لاعبا صغيرا. وأضاف مدرب فريق المصري، أن إدارة المنظومة الرياضية في مصر، تثير الاستفزاز، وفي نظره أن العدالة غائبة بين ناديي الأهلي والزمالك، وبقية أندية الدوري، مؤكدا أن مسؤولي اتحاد الكرة في مصر يعملون ألف حساب لقطبي الكرة المصرية، ويمنحانهما كافة الحقوق، على عكس ما يحدث مع الأندية الأخرى.

> البرامج الرياضية تجذب المشاهدين بإثارة الأزمات الدائمة، وتسهر حتى الساعات الأولى من الصباح، وهو ما يتنافى مع قواعد الرياضة

وضرب حسن مثالا، بأن حكام المباريات يفكرون ألف مرة قبل احتساب ركلة جزاء ضد الأهلي أو الزمالك، خشية هجوم الجماهير وإعلام الناديين، كما قال أيضا، إن الحكام يتعاملون مع مدربي الأندية الأخرى بشكل غير لائق.

وقاد المدرب الذي نال من قبل لقب عميد لاعبي العالم، كأكثر اللاعبين مشاركة في المباريات الدولية (170 مباراة)، فريق المصري للصعود إلى كأس الكونفدرالية الأفريقية الموسم الجديد، للمرة الثانية في تاريخ النادي الذي ينتمي لمدينة بورسعيد، إحدى مدن قناة السويس، بعد أن احتل المركز الرابع في سلم ترتيب الدوري، الموسم الماضي (2015–2016).

ويحتل المصري المركز السابع برصيد 12 نقطة، جمعها من أربعة انتصارات ومثلها من الهزائم، ولم يحقق الفريق أيّ تعادل بعد انقضاء المرحلة الثامنة، قبل توقف المسابقة لارتباط المنتخب المصري بلقاء غانا.

وقال "العميد"، إن الدوري لا يزال في جولاته الأولى، وهناك متسع من الوقت لتطوير الأداء إلى الأفضل، وما تحقق حتى الآن يعدّ نتيجة طيبة، نظرا لعدم تمتع لاعبي الفريق بالخبرة الكافية، نظرا لصغر سن الغالبية.

وأثنى على المساندة الجماهيرية التي منحت الفريق الدافع للتقدم إلى المربع الذهبي في الموسم الماضي، وشدد على ضرورة تكرار نفس الإنجاز، شريطة أن تتوفر العدالة التحكيمية، التي جانبت البعض، ويطالب فقط بحقوق الفريق، ولا يريد منّة أو فضلا من أحد.

وشدد حسن (50 عاما)، على أن الظلم هو ما يدفعه للغضب، لافتا إلى تربص بعض المصوّرين لرصد تحركاته وانفعالاته أثناء المباريات، وأنه للأسف، تعتبره البرامج الرياضية، مادة خصبة ومثيرة تملأ بها الوقت، رغم أن عصبيته ما هي إلا "نرفزة" ملعب، ويعتبر أن الإعلام الرياضي سبب الفتن المثارة على الساحة، وهو أيضا ما أشعل فتيل الحرب في أزمة مباراة الأهلي والمصري (فبراير 2010)، والتي شهدت 74 من الضحايا، فالتناول الخاطئ حوّل الأزمة إلى عداء بين جماهير الناديين، ولم نزل نعاني مما حدث إلى الآن.

وتشوب الحساسية العلاقة بين إدارة جماهير ناديي الأهلي والمصري البورسعيدي، منذ واقعة إستاد بورسعيد التي راح ضحيتها 72 من مشجعي الأهلي عام 2012، وإلى الآن لم تقم مباريات الفريقين على ملعب أحدهما خشية وقوع كوارث، وباءت كل محاولات الإصلاح بالفشل.

«الشللية» تمنعني من تدريب الفراعنة

واصل مدرب المصري هجومه على الإعلام الرياضي، قائلا، إن هناك برنامجا أو اثنين يوجهان المنظومة الرياضية كيفما شاءا، وإنهما لو رضيا عن مدرب لرفعوه إلى عنان السماء وأتوا به لتدريب المنتخب الوطني أو أيّ ناد كبير، ويحدث العكس أيضا، كما تساءل ساخرا، هل من المعقول أن تزيد مدة إذاعة البرامج الرياضية عن 4 ساعات، وهل من المنطقي أن تظلّ حتى الساعات الأولى من الصباح، ألا يتنافى السهر مع الرياضة.

كان النادي المصري أولى واجهات المدرب الشاب في مسيرته التدريبية، بعد أن ودّع الملاعب، ثم تولى بعدها تدريب العديد من أندية الدوري الممتاز، ومنها المصرية للاتصالات، الإسماعيلي، مصر المقاصة والزمالك، لكن يظل ما حققه مع المنتخب الأردني، هو الإنجاز الأكبر في هذه المسيرة.

وتولى حسام حسن القيادة الفنية للمنتخب الأردني في صيف 2013، وقاده للصعود إلى كأس الأمم الآسيوية للمرة الثالثة في تاريخه، ولم يُمن الفريق بأيّ هزيمة طوال مشوار التصفيات، كما تأهل معه إلى ملحق تصفيات المونديال، ونجح أيضا في تقدم منتخب الأردن في ترتيب المنتخبات على مستوى العالم، وحل في المركز الرابع على المستوى القاري وسط كبار منتخبات آسيا: اليابان، كوريا، الإمارات، السعودية وغيرها.

وعلى الرغم من هذه الإنجازات ترك حسام حسن المنتخب الأردني، وكان يحظى بشهرة ومعاملة أكثر من رائعة، إلا أنه فضّل العودة إلى القاهرة لتدريب فريق الزمالك.

وقال حسن لـ"العرب"، إنه لا يمكن أن يتأخر عن أيّ ناد مصري، وإنه وقت أن كان لاعبا محترفا في صفوف نيوشاتيل السويسري، فضّل العودة مجددا إلى النادي الأهلي، بمجرد تلقيه اتصالا هاتفيا من الراحل صالح سليم، رئيس الأهلي في ذلك الوقت.

وخاض قائد منتخب مصر السابق تجربة احترافية، بعد مشاركته في كأس العالم 1990، ولعب في فريق باوك اليوناني، ثم نيوشاتيل السويسري، وسجّل له أربعة أهداف في مباراة واحدة بالدوري الأوروبي، غير أنه عاد إلى الأهلي موسم 1992 وتركه موسم (1999–2000)، واحترف في العين الإماراتي، ثم عاد للعب في الزمالك (الغريم التقليدي للأهلي)، في صفقة مفاجأة أثارت غضب جماهير الأحمر.

ويمتلك حسام حسن روحا حماسية منذ أن كان لاعبا، وهي الروح التي لم يتخل عنها حتى دخل عالم التدريب، ما دفع البعض للمطالبة بتوليه قيادة المنتخب المصري، خاصة وأن البعض يعتبره امتدادا للراحل محمود الجوهري، أحد أهم مدربي ومطوري كرة القدم المصرية.

ويرى حسن أن تدريب منتخب مصر يعدّ شرفا لأيّ مدرب، غير أن "الشللية" في الوسط الكروي تتطلب التودد إلى أشخاص بعينهم، إذا أراد الوصول إلى هذا المنصب، وهو شيء لا يجيد فعله.

ودائما يصطحب حسام حسن شقيقه التوأم إبراهيم، في أي جهاز فني يقوده، وقد كان رفيقا له أيضا في كل الأندية التي لعب في صفوفها، وهو ما برّره بأنه يفضل العمل مع فريق متجانس ومتفاهم، بعيدا عن أن إبراهيم شقيقه، وأكد على أنه منذ احترافه التدريب وهو يعمل مع نفس الأشخاص، الذين فهموا أسلوب عمله، كما أنه لا يعرف المجاملات.

ورفض حسام حسن في حواره مع "العرب" التطرق إلى الأزمة الأخيرة، التي قادته إلى السجن، مكتفيا بالقول إن الجميع التفت إلى ردّ فعله ولم يلتفت إلى الفعل من البداية.

السامبا قادمة يا جماعة

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❏ ثلاثية مقنعة وممتعة دكّ بها المنتخب البرازيلي حصون نظيره الأرجنتيني خلال سهرة كروية انطفأ خلالها نجم ميسي قائد منتخب "التانغو" الأرجنتيني مقابل سطوع بريق زميله في برشلونة نيمار قائد كتيبة "السامبا" البرازيلية.

اليوم وليس بالأمس، بات من حق الجماهير البرازيلية أن تمنّي النفس وتضع ثقتها في منتخب بلادها وتراهن بجدية على قدرته على العودة من الباب الكبير إلى الواجهة العالمية.

فما قدمه زملاء نيمار من عروض قوية خلال أغلب المباريات الأخيرة ضمن تصفيات كأس العالم الخاصة بالمنطقة الأميركية يعتبر دليلا قاطعا على أن "الأسد" البرازيلي استفاق من غيبوبته، وبات اليوم أكثر قوة وانسجاما واستعدادا على استعادة ذكريات الماضي المجيد.

المنتخب البرازيلي حقق العلامة الكاملة في آخر مباريات ضمن هذه التصفيات وهزم كل منافسيه، الأمر الذي جعله يحتل صدارة الترتيب ويضع قدما ثابتة في طريق العبور إلى المونديال الروسي بعد عامين، لكن الأهم من ذلك أن هذا المنتخب مزج بين الانتصارات والعروض القوية والمقنعة حتى وإن غاب النجم الأول نيمار.

وفي آخر مباراة والتي أقيمت يوم الجمعة الماضية، أكّد رسميا وبشكل حاسم أنه استعاد سالف عنفوانه وجبروته بعد أن تلاعب بالمنتخب الأرجنتيني وقدّم ضده مستوى رائعا للغاية، رغم أنه واجه منتخبا يضم لاعبين من الصف الأول عالميا يتقدمهم ميسي ودي ماريا وهيغواين وكذلك أغويرو.

فما الذي غيّر وجه منتخب السامبا سريعا وجعله يتدارك كل كبواته وعثراته التي انطلقت ذات مباراة شهيرة بائسة حزينة للغاية ضمن نهائيات مونديال 2014 في البرازيل بالذات، في تلك المباراة "الملعونة" خسر منتخب السامبا بسباعية كاملة ضد منتخب ألمانيا، هي هزيمة عجّلت برحيل المدرب السابق سكولاري ليتم تعيين اللاعب السابق دونغا من جديد، بيد أن الأخير لم يتخلص من عقدة الخسارة المذلة وفشل مرة أخرى في منح منتخب بلاده ما يصبو إليه، وبدا معه هذا المنتخب فاقدا لكلّ قدرة على الإبداع والخلق والتألق، فخسر معه في "كوبا أميركا" الأخيرة، وكانت نتائجه معه متذبذبة خلال بداية مراحل تصفيات كأس العالم.

هذا الأمر دفع الاتحاد البرازيلي لكرة القدم إلى إقالة دونغا وتعيين ليوناردو باتشي (تيتي)، وبقدرة قادر تغيرت أحوال منتخب السامبا مع المدرب الجديد، فبعد أن كان يحتل المركز السادس في التصفيات زحف المنتخب البرازيلي بسرعة البرق إلى الصدارة، حيث لم يخسر أيّ نقطة مع المدرب تيتي الذي غيّر وجه هذا المنتخب بشكل كامل وأعاد له بعضا من بريقه المفقود.

في الحقيقة فإن تيتي عرف كيف يوظف إمكانات اللاعبين الموجودين على ذمته، وتخلص من "العقد" التدريبية والفلسفة الفنية البالية التي كان يعتمدها سلفه دونغا، لقد أعاد منتخب البرازيل إلى الأرض وبدأ يعتمد أسلوب الفريق الشامل والواقعي الذي لا يعتمد فقط على الأسماء الرنانة، شكّل فريقا متكاملا متماسكا، فالكل يدافع ويفتك الكرة، والكل يهاجم ويضغط على المنافس.

لقد استوعب تيتي الدرس وفهم متطلبات الكرة الحديثة التي باتت لا تعتمد على اللاعب الأوحد فقط، بل من الحتمي والضروري قبل كل شيء تأمين التغطية الدفاعية ومن ثمة القيام بهجومات متقنة وسريعة، ويبدو أنه تعلم أساسا من تجربة منتخب الأوروغواي، وخاصة منتخب التشيلي مع المدرب الأرجنتيني خورخي ساماولي الذي نجح بشكل لافت خلال تجربته مع التشيلي في قيادتها للحصول على لقبي "كوبا أميركا" في النسختين الأخيرتين بعد أن قدّم للعالم صورة ناصعة لمنتخب قويّ ومتماسك للغاية من الناحية الدفاعية وقويّ هجوميا.

هذا الأمر تفطن له مدرب منتخب "الكناري" تيتي، فوضع خلف ظهره أهمية الأسماء والنجوم المعروفة وركّز على إعادة ترتيب البيت من الناحية الفنية، فزرع أسس مجموعة متكاملة ومنسجمة لا تتأثر إذا غاب عنها أحد أركانها، والأكثر من ذلك أنه أعاد اكتشاف العديد من اللاعبين ووفّق في توظيف قدراتهم ومهاراتهم العالية على غرار ألفيس ومارسيلو وكوتينهو نجم ليفربول، فعادت الماكينة البرازيلية إلى الدوران مع هذا المدرب الذي استوعب الدرس جيدا، ليبدأ موعد القطاف سريعا بعد الحصول على ذهبية كرة القدم في أولمبياد ريو الأخير لأول مرة في تاريخ مشاركات البرازيل الأولمبية.

بعد الحديث عن الماضي والحاضر، فإن المستقبل يبدو مع تيتي أفضل دون شك وقد يحمل معه نسمات منعشة لكل عشاق "السامبا" البرازيلية القادرة بعد سنتين في روسيا على محور الصورة السلبية لمونديال 2014 نهائيا، فما حققه تيتي بهذه الكتيبة يقدم شهادة ثبوتية أصيلة على قدرة البرازيل على التألق، ولمَ لا تجديد العهد مع اللقب العالمي الذي طال انتظاره.

تونس تحصد ثاني فوز في تصفيات المونديال

❏ **الجزائر** – تقدم المنتخب التونسي لكرة القدم خطوة جديدة على طريق العودة لبطولات كأس العالم بتغلبه على نظيره الليبي 1/صفر الجمعة، في الجولة الثانية من مباريات المجموعة الأولى بالدور النهائي من التصفيات الأفريقية المؤهلة لبطولة كأس العالم 2018.

وانتزع المنتخب التونسي (نسور قرطاج) فوزا غاليا هو الثاني على التوالي للفريق في المجموعة، ليرفع رصيده إلى ست نقاط وينفرد بصدارة المجموعة مؤقتا لحين انتهاء مباراة غينيا والكونغو الديمقراطية الأحد، حيث يحتل المنتخب الكونغولي المركز الثاني في المجموعة برصيد ثلاث نقاط.

وظل المنتخب الليبي في المركز الرابع الأخير بالمجموعة دون رصيد من النقاط، إذ مُني بالهزيمة الثانية على التوالي لتتضاءل فرص الفريق في بلوغ المونديال الروسي، حيث تتأهل للنهائيات المنتخبات التي تنهي هذا الدور من التصفيات في صدارة المجموعات الخمس.

وانتهى الشوط الأول من المباراة على ملعب "عمر حمادي" في باب الواد بالجزائر، بالتعادل السلبي بعدما ألغى الحكم هدفا صحيحا للمنتخب الليبي بداعي التسلل، كما حرم المنتخب التونسي من فرصة خطيرة بداعي التسلل أيضا.

وفي بداية الشوط الثاني، حصل المنتخب التونسي على ضربة جزاء طرد على إثرها اللاعب علي سلامة في الدقيقة 48 وسجل منها وهبي الخزري هدف المباراة الوحيد في الدقيقة 50.

ومع ذلك فشل المنتخب التونسي في ترجمة تفوقه الواضح في هذا الشوط إلى المزيد من الأهداف.

صدارة مؤقتة لنسور قرطاج

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

فاطمة ناصر دائمة السفر في «اختيار إجباري»

❏ **تونس** – تواصل الفنانة فاطمة ناصر حاليا تصوير أحدث أعمالها الدرامية العربية، والمتمثل في مسلسل "اختيار إجباري" مع مواطنها التونسي مجدي سميري، وتأليف حازم متولي، وسيتم تصويره بدبي والولايات المتحدة الأميركية، بالإضافة إلى العديد من الأماكن في مصر منها "دريم لاند" والتجمع الخامس.

و"اختيار إجباري" من بطولة كريم فهمي، أحمد زاهر، خالد سليم، إنجي المقدم، مي سليم وهيدي كرم، ويعتبر ثاني أعمال النجمة التونسية-العربية في دراما الـ60 حلقة بعد مشاركتها في بطولة مسلسل "المنتقم" منذ عدة أعوام.

وتدور أحداث المسلسل في إطار اجتماعي تشويقي، مستعرضا التأثير المفزع لتكنولوجيا التواصل الاجتماعي والإنترنت على أدق تفاصيل الحياة اجتماعيا وإنسانيا وسياسيا وحتى أخلاقيا وتربويا، وذلك من خلال أبطاله، وما تتضمنه حياتهم وعملهم من خطوط درامية إنسانية، ومن المقرّر عرض المسلسل خلال العام بعيدا عن الموسم الدرامي الرمضاني.

وعلى صعيد آخر أعربت فاطمة عن سعادتها بعرض فيلمها "روج" أخيرا بقاعات السينما المصرية والذي تعتبره تجربة خاصة جدًا لها، حيث لعبت فيه دور البطولة المطلقة للمرة الأولى مع المخرج الشاب جون إكرام.

وتألقت التونسية فاطمة ناصر في رمضان الماضي عبر ظهورها كضيفة شرف ضمن حلقات مسلسل "الخروج"، ومع ذلك لفتت إطلالتها الأنظار.

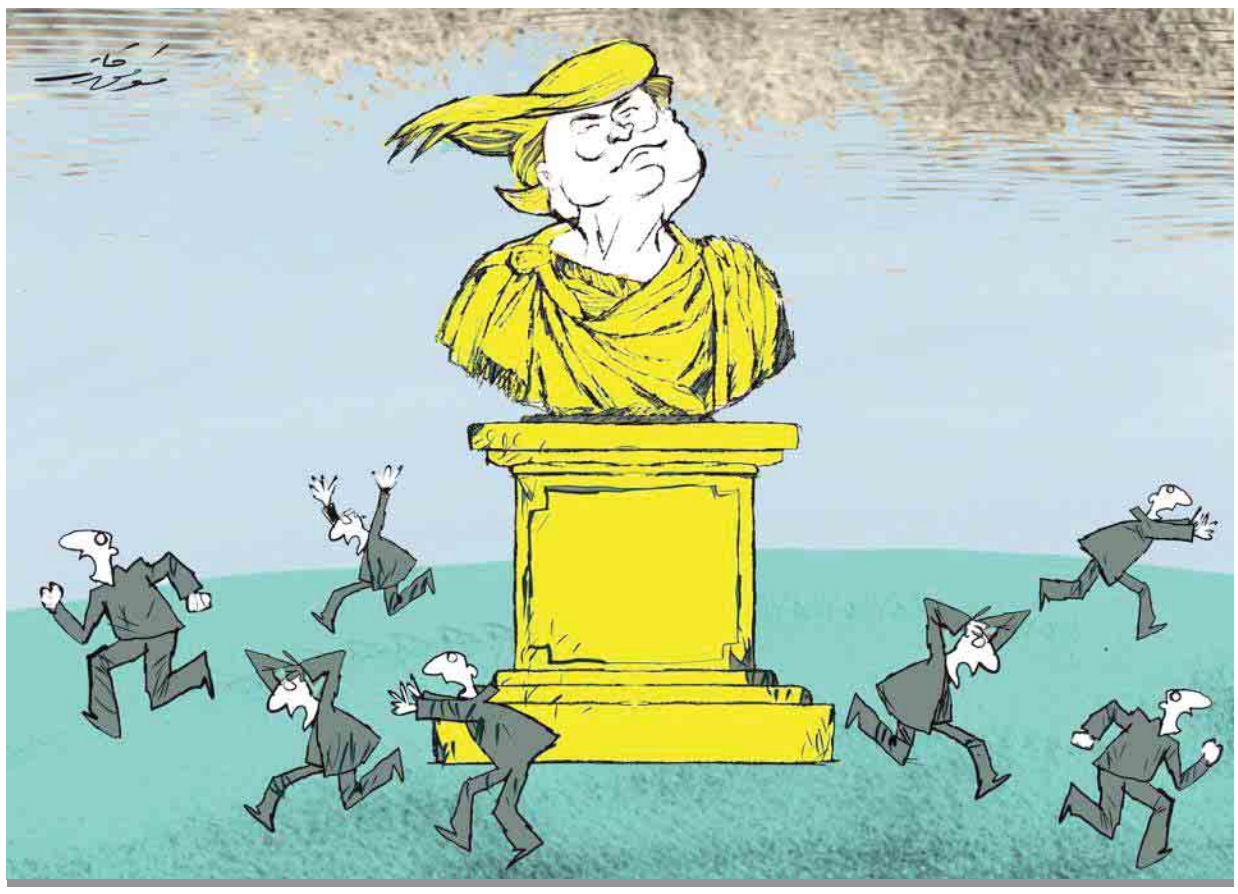

قفل نحاسي يخلّد قصة حبيبين في مصر

نجوى دردير

منذ القدم، والعشاق والمحبّون في مصر يبتدعون طرقا عجيبة ومبتكرة، للتعبير بها عن الحب للحبيب، البعض منهم ينحت الاسمين، يحيطهما قلب بالطباشير، على جذع شجرة، أو فوق صخرة على البحر تتلاطم بها الأمواج، أو حتى فوق مساند المقاعد بالحدائق العامة، ومناضد المدارس والجامعة والنادي، أو على الجدران، لكن الجديد أن تصبح "الأقفال"، رمزا لهذا الحب الجارف.

❏ صالح، شاب مصري، اختار طريقة أوروبية الأصل، ليعبر بها عن حبه لمحبوبته ليلى، فنحت اسميهما على قفل نحاسي، ثم ثبّته بسلسلة في سياج كورنيش النيل، أعلى جسر (كوبري) قصر النيل بالقاهرة، هذا المكان الشهير بلقاء الأحبة والعشاق، ولأنّ الطريقة ليست معتادة على المجتمع المصري، فقد لفتت أنظار كثيرين.

القفل ليس رمزا مصريا، بل هو رمز للحب عند الفرنسيين، الذين اختاروا جسر "بونت دي آرت"، المطلّ على نهر السين في باريس، لتعليق أقفالهم المعبّرة عن الحب منذ عام 2009.

الحب الحقيقي، ظلّ دائما أسمى المعاني البشرية وأنقاها بين رجل وامرأة، وتعدّد طرق التعبير عنه يعمّق معناه، ما يمنح العلاقة قوّتها وديمومتها، إلاّ أن طغيان التكنولوجيا، خاصة في مجال الاتصالات، أعطى للتعبير عن الحبّ أشكالا أخرى.

العاشقان، بدلا من حفر اسميهما على جذع شجرة، أصبحا يتبادلان رسائل افتراضية، عبر "واتس آب"، أو "إنستغرام"، وفي داخل الرسالة، هناك قلب مكتوب في منتصفه اسم الحبيب، أو يرسلان صورة لهما معا، بجوار اسميهما.

الأقفال والورد والكلمات ورسائل الهاتف المحمول، وحفر الأسماء على الشّجر، طرق للتعبير عن الحبّ وإسقاط لما تجيش به النفس تجاه من تحب، هكذا قال مدحت عبدالهادي، مستشار العلاقات الزوجية والأسرية بالقاهرة.

وفي تعقيبه على نحت أسماء المحبين على أقفال نحاسية على جسر قصر النيل، أكد أن هذا أمر جيد ورومانسي للغاية، برغم محاكاته للغرب، والشخص الذي أقدم على ذلك، يملك عاطفة جياشة وفطرية، ويتمتع بحسّ رومانسي.

وأشار عبدالهادي، إلى أن طريقة التعبير عن الحب، عبر نحت الأسماء، عادة قديمة ومعروفة منذ زمن بعيد، لكنها مازالت تشغل حيزا كبيرا في العلاقة بين الطرفين، وبرغم وجود تطبيقات تكنولوجيا الاتصالات الحديثة، إلاّ أن ذلك لم يقض على الكتابة على الجدران، أو على جذوع الشجر.

ووثقت الأفلام السينمائية أيضا، لحظات كثيرة في العديد من الأفلام الرومانسية من خلال العديد من المشاهد لكتابة أسماء المحبين على الأشجار، أو حتى على رمال الشاطئ، مثل فيلم "الوسادة الخالية" لعبدالحليم حافظ ولبنى عبدالعزيز، وفيلم "حبيبي دائما" لنور الشريف وبوسي.

وقالت شيماء إسماعيل، خبيرة العلاقات الأسرية، إن الفتيات، يحببن تلك الطريقة في التعبير عن حبّ الشباب لهنّ، لافتة إلى أن البنت عندما تجد اسمها الأوّل وحفره حبيبها أعلى جذع شجرة، أو منحوتا على قفل نحاسي، أو غيرها من الطرق، فإن ذلك يدخل على قلبها البهجة ويعزّز شعورها بالأمان ويشعرها بقوة العلاقة.

ملوك الفراعنة خلّدوا أسماء الملكات والأميرات على جدران المعابد ولم ينسوا رسم صورهنّ كذلك، كتعبير عن الحب وعن قيمة المرأة ودورها في المجتمع وقتها.

وقسّم جمال فرويز، استشاري الطب النفسي، من يقومون بكتابة أسماء محبيهم أو نحتها على الجدران والأقفال إلى نوعين، فئة من الشباب المراهق الذين يصفهم بأنهم يشوهون الآثار والجدران بتلك الكتابة، ويكون ذلك دليل قبح وليس حبّ، وفئة أكثر نضجا، ترسم اسم الحبيبة بشكل فني جميل لا يؤذي البيئة في شيء.

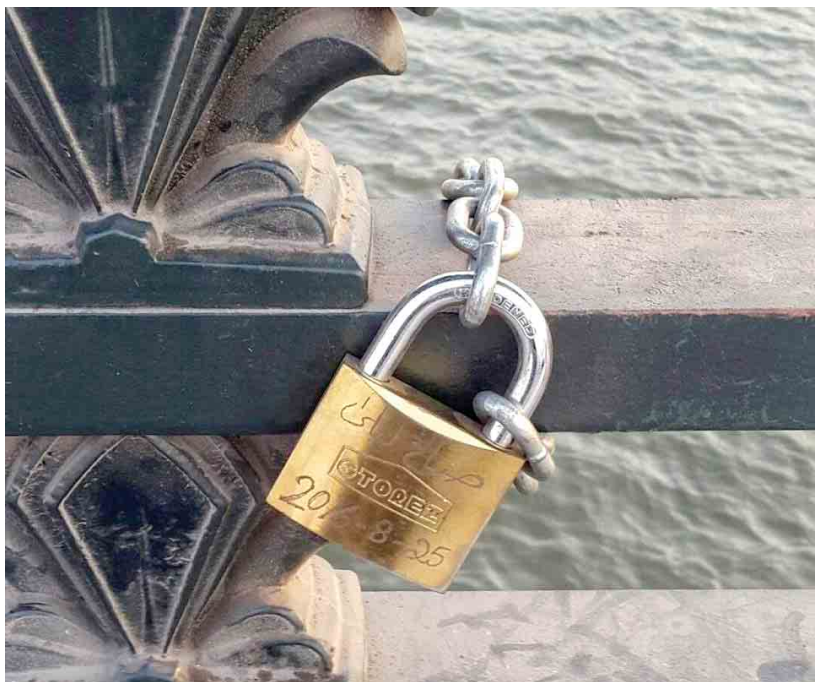

طريقة أوروبية لعشق مصري

صباح العرب

حكيم مرزوقي

غابة الديمقراطية

❏ خاطب الثعلب الغراب في لهجة حاسمة "عزيزي الغراب، هل أنت مع كلينتون أم ترامب.. هيّا قل رأيك دون خوف أو تردّد، فنحن في غابة ديمقراطية، لا تحرج ولا تبال بلونك الأسود بعد اليوم".

حرّك الغراب رأسه في إشارة إلى أنّ الأمر لا يعنيه، لكنّ الثعلب أصرّ على الأمر واستعجله فيه، فهو الذي يترأس لجنة استطلاعات الرأي في "الغابة الديمقراطية".

همّ الغراب بالإجابة فوقعت قطعة الجبن (نفس قطعة الجبن في الحكاية المعروفة)، التقطها الثعلب ولاذ -طبعا- بالفرار.

وقف الغراب يعاتب نفسه "ما الذي سيتغير، وما الفرق إن قلت له كلينتون أم ترامب، ستسقط مني قطعة الجبن في كلتا الحالتين، ليتني احتفظت برأيي، بل لماذا يكون لي رأي أصلا؟".

صاحبنا الغراب هذا، هو نفسه بطل أقدم كاريكاتير في التاريخ، إذ رسمه أحد بناة الأهرام على جدار كهفه الحزين وهو يطلع السلم درجة إثر درجة، يكابد على نفسه والعرق يتصبب غزيرا من ريشه المنتوف ومنقاره المغمّس في الإهانة.

هكذا خرج كل رسّامي الكاريكاتير في العالم من عباءة الغراب السوداء، وجعلوا من المتفرّج القارئ، شريكا بالتعليق أو مكتفيا بالابتسامة، خصوصا بالنسبة إلى أولئك الذين لا يحبون فتح أفواههم خوفا على لقمة، ولو من جبنة وخبز وزيتون.

كان صاحب الرسم كاظما لغيظه، ومرهقا مثل غراب يتسلّق سلّما، رغم كلّ ما أوتي من ريش.. وقدرة على التحليق فوق تلك المقبرة الأعجوبة.

ولأنّ فنّ المفارقات لا تصنعه إلاّ المفارقات، فإنّ الأهرام (هذه القبور القصور) بناها أموات تأجّل دفنهم، وما زلنا إلى الآن نشاهد في قاهرة المعزّ فئة (لا بأس بها) تسكن المدافن، تجاور وتحاور الأموات وقد محت كل الفوارق اللفظيّة.

بعض الناس طيور لا تحبّ الطيران، أو تخافه، وتكره قراءة قول الشابي "ومن لا يحب صعود الجبال، يعش أبد الدهر بين الحفر".

لم يكن ذلك الرسم فوق السحاب، وإنّما بالحجر، وعلى الحجر.. وفي كهف مظلم لا تدخله الشمس ولا ثعالب السلطة، عفوا.. وماذا سيحدث لو أخرج الرسم من السرّ إلى العلن؟ هل كان سيخفّف من معاناة صاحبه؟ أم أنّ الأمر لا يعدو أن يكون فعلا "تطهيريّا"، يمنح صاحبه التوازن والقدرة على الحلم والطيران، ولو بأجنحة متكسّرة.

قد نستغرب من أولئك الذين يقبّلون أيادي جلاديهم، ولا يدعون عليها حتى بالكسر كأضعف الإيمان، ولكن مهلا.. ماذا سيحصل إن دعوا عليها بالكسر أو بالبقاء أو حتى جهروا بآرائهم ودعواتهم؟

لكنّ لهذه الحكاية طعما آخر: أطبق السيّد الروماني بقبضته على يد حواريّ نحيف، قال الأخير "احذر يدي يا سيّدي"، شدّد السيّد بقوة فهمس الحواريّ "يدي تؤلمني، أظنّك ستكسر يدي يا سيدي"، فعلها السّيد وكسر يد الحواريّ الذي ردّ بنفس الصوت الخافت "ألم أقل لك إنك ستكسر يدي يا سيّدي".

الإمارات تتبع هجرة طيور الحبارى عبر الأقمار الصناعية

❏ **أبوظبي** – كشف الصندوق الدولي للحفاظ على طيور الحبارى، ومقرّه العاصمة الإماراتية أبوظبي، عن أن مشروعه لاستخدام الأقمار الصناعية في مراقبة تنقل طيور الحبارى مكّن من تحديد خطوط هجرة رئيسية لها، وكشف عن هجرتها لمسافة تزيد عن ستة آلاف كيلومتر من منطقة الخليج العربي وإلى بقية بلدان القارة الآسيوية.

وقال علي مبارك الشامسي، رئيس قسم الاتصال والعلاقات العامة بالإنابة في الصندوق، أن الصندوق يهدف إلى إعادة توطين طيور الحبارى واستدامة أعدادها في الإمارات والعديد من المناطق في آسيا وشمال أفريقيا.

وتابع الشامسي "يستخدم الصندوق أحدث التقنيات العالمية في تتبع طيور الحبارى من خلال تركيب جهاز صغير يصل وزنه إلى 45 غراما لإرسال موجات التتبع إلى القمر الصناعي كل أربع ساعات، وبإمكان هذا الجهاز تعريف الباحثين بالصندوق بخريطة تحركات الحبارى إلى أيّ مكان بالعالم، كما يقدم معلومات عن وضع البيض عبر مراقبة أنثى الطائر، حيث تفيد الدراسات بأن استقرار أنثى الحبارى لأكثر من ثماني ساعات في موقع واحد، يشير إلى بدئها في وضع البيض".

وذكر أن عدد الأجهزة التي تم تركيبها حتى الآن بلغ 2600 جهاز، وكان معظمها على طيور الحبارى الآسيوية.

وأشار الشامسي إلى أن بداية هذا المشروع كانت في عام 1994 من خلال وضع جهاز تتبع على أحد ذكور الحبارى البرية الآسيوية، الذي قضى الشتاء في المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي، ثم هاجر إلى تركمانستان.

وأضاف "تقنية التتبع بالأقمار الصناعية كشفت عن هجرة طيور الحبارى لأكثر من ستة آلاف كيلومتر، كما كشفت عن ثلاثة خطوط رئيسية لهجرة هذا الطائر، فالحبارى التي تتحرك من غرب كازاخستان لقضاء فترة الشتاء في منطقة الخليج، تمرّ بغرب إيران والعراق والكويت والأردن والسعودية، بينما تمر الحبارى القادمة من شرق كازاخستان عبر خط الهجرة الثاني والذي يقطع أوزباكستان وتركمانستان وإيران لتصل إلى الإمارات في فصل الشتاء، في حين يمتد خط الهجرة الثالث من وسط آسيا وصولا إلى جنوب وجنوب شرق إيران وباكستان وأفغانستان".

ولفت علي مبارك الشامسي إلى أن هذه الدراسات كشفت أن بعض طيور الحبارى التي تزور الإمارات في فصل الشتاء، تتكاثر في شمال شرق آسيا، وبتتبعها تبيّن أن دورة الهجرة تمتد من أبوظبي إلى الصين والعودة مرة أخرى إلى أبوظبي.

ونجح الصندوق الدولي للحفاظ على طيور الحبارى في إكثار 53 ألفا و743 طائر حبارى خلال العام الجاري، ليزيد مجموع ما تمّ إنتاجه منذ عام 1996 إلى أكثر من 285 ألف طائر حبارى.

خطأ في فيسبوك يقتل مليوني مستخدم

❏ **واشنطن** – تسبب خطأ في فيسبوك في وفاة العديد من مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي، وفي مقدمتهم مؤسسه مارك زوكربيرغ.

وأقر الموقع الأزرق بارتكابه لغلطة فظيعة وهفوة لا تغتفر، ولكنها غير متعمدة، حين نشر على صفحاته رسالة نعي ورثاء لوفاة أكثر من مليوني مستخدم، حسب ما كشفت وسائل إعلام غربية عديدة، الجمعة.

وقالت صحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية، إن بعض مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي استغربوا من نشر عبارات أعلى صفحتهم الشخصية الجمعة، تشير إلى أنهم توفوا، وتواسي رفاقهم.

ويسمح فيسبوك للمستخدمين بتحويل ملفاتهم الشخصية إلى صفحة تذكارية بعد وفاتهم، حيث يمكن للمستخدمين الآخرين نشر نعي على صفحاتهم بعد الوفاة.

واللافت أن إعلان وفاة ملايين المستخدمين عن طريق الخطأ الذي أثار حالة من الصدمة والذعر والذهول، شمل أيضا الرئيس التنفيذي لفيسبوك مارك زوكربيرغ، حسب ما ذكرت من جانبها "الغارديان" البريطانية.

ولم تعرف بالضبط طبيعة الخطأ التقني الذي تسبّب في نشر رسالة النعي على صفحات أشخاص أحياء لوقت وجيز.

وأفاد متحدث من قبل الشركة الأميركية أن فيسبوك كان يختبر خدمة جديدة لنشر رسالة المواساة على صفحات أشخاص توفوا فعلا، إلا أن خطأ تقنيا تسبب في نشرها على حسابات أخرى لأشخاص لا يزالون على قيد الحياة. وأضاف أن الموقع، الذي يعدّ من أبرز مواقع التواصل نجح في معالجة "الخطأ الفظيع"، معربا عن أسفه إزاء ما تعرض له بعض المستخدمين من جراء ذلك.

وتوصل باحثون أميركيون في علم الإحصاء إلى أن عدد حسابات المستخدمين الذين فارقوا الحياة على موقع فيسبوك سيفوق عدد نظرائهم من المستخدمين الأحياء قبل نهاية القرن الجاري.